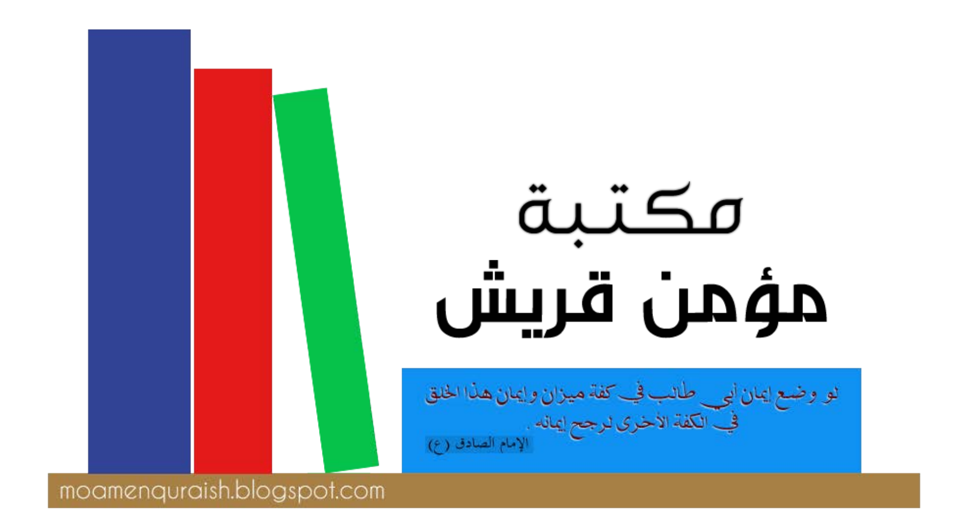
# العنف / المقاومة / الإرهاب



جمعية
علماء البقاع

دار المحجة البيضاء




# العنف

# المقاومة

# الإرهاب



# العنف / المقاومة / الإرهاب

اسم الكتـاب : العنف / المقاومة / الإرهاب

إعداد ونشـر : جمعية علماء البقاع

تصميم الغلاف: الاستاذ طلال الحاج حسن

توزيـــع : دار المحجة البيضاء

الطبعـة : الأولى

تاريخ الطبع : ٢٠٠٩

# فهرس المحتويات

**الموضوع** **الصفحة**

# مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لك يا مبدع الوجود، يا من أخرجتنا من ظلمات العدم إلى نور الوجود، أنت الحكيم الخبير، لا فوضى، ولا لغوية،ولا عبثية... بل دقة وإتقان،تقدير ونظام.

أنت المالك المتصرف، الكل بقبضتك ، والخلق آيات من آيات تجلياتك ولك في كل شيء آية تشهد أنك واحد لاشريك لك .

وصلى الله على نبيه نبي الرحمة ، وصاحب الهداية الكبرى وعلى آله الأطيبين وأصحابه المنتجبين.

اقتضت مشيئة الله تعالى تكريم الإنسان ، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [1] .

وأحب للإنسان أن يصل إلى الهدف الأسمى ـ الكمال والسعادة ـ ولكن أن يكون الوصول بملء إرادته واختياره . قد تزود من عالم الطبيعة، الدنيا الزائلة الفانية التي لم يخلق لها وإنما خلق للآخرة الأبدية التي لا فناء فيها و لا زوال والدنيا هي دار ممر وقنطرة إلى عالم الأبدية والإنسان قد فطره الله تعالى على الخير والإيمان، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا

---

١ ـ سورة الإسراء، الآية ٧٠.

لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[1] .

والإنسان الذي تتجاذبه قوى الخير و الشر ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾[2] .

وقد زين له الحطام في دنيا الامتحان والابتلاء ،﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ﴾ .

وقد يأخذه الغرور رغم أنه فقير وضعيف ذاتاً ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[3] .

وقال تعالى :﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾[4] .

كل ذلك قد يؤدي إلى الانحراف عن الفطرة ، ومن هنا كانت العناية الإلهية بالإنسان لحفظه وتسديده من خلال الأخذ بيده بوحي السماء الذي أنزل على الذين اصطفاهم أنبياء ورسل ، هداة إلى سواء السبيل وكان النبي الخاتم الرسول محمد(صلى الله عليه وآله) وبرسالته تمت الرسالة وبنبوته ختمت النبوة ﴿وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾[5] .

بكتاب ودستور ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾[6] كتاب الحق والوجود والنور﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللّهُ

---

١ ـ سورة الروم، الآية ٣٠ .
٢ ـ سورة الشمس ، من الآية ٧إلى الآية ١٠ .
٣ ـ سورة فاطر ، الآية ١٥ .
٤ ـ سورة النساء ، الآية ٢٨.
٥ ـ سورة المائدة ،الآية ٣.
٦ ـ سورة فصلت ،الآية ٤٢.

مَن اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1] .

وقد بين أمير المؤمنين(عليه السلام) أهداف بعثة الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله) بقوله(عليه السلام) :

«إن الله بعث محمداً(صلى الله عليه وآله) نذيراً للعالمين وأميناً على التنزيل وأنتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار منيخون بين حجارة خشن وحيات صم تشربون الكدر وتأكلون الجشب وتسفكون دماءكم وتقطعون أرحامكم الأصنام فيكم منصوبة والآثام بكم معصوبة»...[2]

وقد بين جعفر بن أبي طالب(عليه السلام) الإسلام للنجاشي ملك الحبشة لما هاجر إليها مع بعض المسلمين فراراً من ظلم وطغيان قريش بعد سؤاله ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين أحدٍ من هذه الملل؟... قائلاً :

أيها الملك ، كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه، وصدقه ، وأمانته ، وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه ، من الحجارة ، والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الرحم وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا

---

١ ـ سورة المائدة ،الآية ١٥ ـ ١٦

٢ ـ نهج البلاغة خطبة / ٢٦ .

بالصلاة ، والزكاة ، والصيام ـ وعدّ عليه أمور الإسلام ـ فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ألاّ نظلم عندك .

فلم يكن من النجاشي ، وهو الملك المنصف إلا أن قال :

«إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ... ليس بين دينكم وديننا أكثر من هذا الخط» ـ حيث أخذا عوداً وخطّ به على الأرض .

وكان جعفر(عليه السلام) والذين هاجروا معه بعد هذا البيان في أمنٍ ودعة حتى رجعوا إلى مكة ...[1]

إنه من الواضح الذي لا غبار عليه أن الإسلام هو دين الرحمة والرفق والاعتراف بالآخر وضرورة الحوار ...

ومن هذا المنطلق كان هذا الكتاب الذي بين أيديكم ، أعزائي القراء ، ليبحث بكل موضوعية مسألة العنف بأبعادها المختلفة ليكون القارئ الكريم على بينة مما يثار حول هذا الموضوع في المحافل السياسية والثقافية والفكرية .

نسأل الله تعالى أن نكون وفقنا لتقديم الصورة الكاملة ، وعلى الله قصد السبيل .

**جمعية علماء البقاع**

---

١ ـ محمد حسين هيكل: حياة محمد (صلى الله عليه وآله) .

# العنف في المنظور الإسلامي

سماحة الوكيل الشرعي
الشيخ محمد يزبك

بســم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ البقرة /٢٠٨

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على خاتم الأنبياء و سيد المرسلين محمد و آله الطاهرين المنتجبين .

إن الإسلام هو نقيض العنف ، لأنه مأخوذ من السلام ، وكل ما فيه يدعو إلى السلام، وهذا ما سأحاول إثباته من خلال محاور تتجلى فيها الحقيقة ، نافضاً الغبار، ورافعاً العداء ، وكاشفاً عن التزوير والبهتان ، وما أرادوا إلحاقه تشويشاً وتشويهاً للحق، وهل الحق يكون غير النور الهادي من استضاء به إلى سبل السلام، ولا يعمى عنه إلاّ الأعمى، وما من عمى أعظم من عمى القلوب التي في الصدور .

﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1] .

---

١ ـ سورة الحج الآية ٤٦ .

## المحور الأول :

# في بيان الفرق بين ماهية العنف وماهية الإسلام ...

### المطلب الأول : العنف لغة واصطلاحاً .

أـ أما لغة : قال إبن منظور : «العنف ، الخرق بالأمر ، وقلة الرفق وهو ضد الرفق» .

يقالُ : عنف به وعليه ، يعنفُ عنفاً و عنافةً ، وأعنفه تعنيفاً ، وهو عنيف ، إذا لم يكن رفيقاً في أمره ، واعتنف الأمر ، أخذه بعنف ، والتعنيف : التعبير واللوم .[1]

أما الفيروز آبادي فقال : «العنف : مثلثة العين ضد الرفق ، عنف ككرم عليه وبه، وأعنفته ، وعنفته تعنيفاً . والعنيفُ من لا رفق له بركوب الخيل ، والشديدُ من القول» .

ب_ أما اصطلاحاً :

العنفُ هو الشدة والقسوة ضد الرفق .وهو استخدام القوة استخداماً غير مشروع أو غير مطابق للقانون ... وكل فعل شديد يخالفُ طبيعة الشيء ويكون مفروضاً عليه من الخارج فهو عنيف ، والعنفُ يؤدي إلى إلحاقِ الأذى بالآخرين، وقد يكون الأذى جسدياً أو نفسياً فالسخرية والاستهزاء من الفرد وأيضاً فرض الآراء بالقوة[2] .

---

١ ـ لسان العرب .

٢ ـ خلاصة الأقوال .

## المطلب الثاني : الإسـلام لغة واصطلاحاً .

أـ أمــا لغــة : الإسلام أصله السلم : ومعناه دخول في السلم ، وأصل السلم السلامة لأنها انقياد على السلامة ، ويصلح أن يكون أصله : التسليم لأنه تسليم لأمر الله تعالى ، والتسليم من السلامة لأنـه تأدية الشيء على السلامة من الفساد ، فالإسلام هو تأدية الطاعة على السلامة من الأدغال .[١]

وقيل : الإسلام : دين السلامة والسلم والتسليم ، جزره(تسلم) من عيب أو آفة، نجا وبريء منها .

وقيل : سالم :أي صالح وأسلم : انقاد ، الإسلام : السلام[٢] .

ب_ وأمـا اصطلاحاً :

الإسلام إعلان الشهادتين : الشهادة لله تعالى بالوحدانية وللنبي محمد(صلى الله عليه وآله) بالنبوة والانقياد إلى كل ما جاء به النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) من العبادات الشرعية والأخلاقية والأحكام و القوانين في جميع مرافق الحياة .

وقال الإمام علي(عليه السلام) :«لأنسبن الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي : الإسلام هو التسليم ، والتسليم هو اليقين ، واليقين هو التصديق ، والتصديق هو الإقرار ، والإقرار هو الأداء ، والأداء هو العمل .»[٣]

وقال الراغب في المفردات :

«الإسلام والسلام هو التخلص من الآفات والعاهات والأمراض الظاهرة

---

١ ـ مجمع البيان .

٢ ـ المنجد .

٣ ـ نهج البلاغة .

والباطنة، يقول تعالى : ﴿إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1] أي متعر من الدغل . وأضاف : «والسلامة الحقيقية ليست إلاّ في الجنة إذ فيها بقاء بلا فناء ، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل ، وصحة بلا سقم ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[2] أي السلامة. وقال تعالى : ﴿وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ﴾[3]. وقال : «يأتي السلام في مقابل الحرب بمعنى المعايشة القائمة على التعاون والمحبة ... وكان العرب في الجاهلية يحيون ويقولون : سلام عليكم . فكانت علاقة المسالمة ، وأنه لا حرب هناك . والمعنى الثاني مشتق من الأول . والسلام في الأصل السلام والبراءة من كل سوء وعيب سواء كان في الظاهر أم في الباطن .

والإسلام هو دين الله السالم من كل عيب وآفة ظاهرية أو معنوية ومن هنا هو سالم من آفة العنف .

## المطلب الثالث : منهج العنف ومنهج الإسلام

يتبين من تعريف العنف أنه الشدة والقوة والقهر والتسلط ، وأن الإسلام يقوم على الرفق و اللين ، فالاختلاف بينهما جوهري ، ولكل منهما منهجه المختلف عن الآخر ...

### ١ـ أما منهج العنف .

أ ـ ما يستوحى من القرآن الكريم: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا

١ ـ سورة الشعراء ، الآية٨٩.
٢ ـ سورة الأنعام ،الآية ١٢٧ .
٣ ـ سورة يونس، الآية ٢٥

شـيَعًا يَسْتَضْـعفُ طَائفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ منَ الْمُفْسـدينَ﴾[1] ، وقـال تعالى : ﴿ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِـي نسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُـمْ قَاهِرُونَ﴾[2] ، وقـال تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُـوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نسَاءكُمْ﴾[3] ، وقال تعالى :﴿ وَاتْلُ عَلَـيْهِمْ نَـبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ من أَحَدهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ منَ الآخَـرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ منَ الْمُتَّقِينَ﴾[4] وقال تعالى :﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِه أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا منْ أَحَد مِّن الْعَالَمِينَ﴾ ، إلـى أن قـال :﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِه إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَـتَطَهَّرُونَ﴾[5] . وقـال تعـالى: ﴿ قَـالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَـنَرَاكَ فِيـنَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾[6] . وقولـه تعالى :﴿ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾[7] ...

هـذه نمـاذج مـن الآيـات التي يستفادُ منهـا دوافع العنف من قهـر وتسلط وعدم اعتراف بالآخر ، فإنّ فرعونَ وقومه كانوا يمارسونَ القهـر والتسلط والقتل لكلّ من يخـالفهم . وقابيلُ ابـنُ آدم دفعـه حسـدهُ لقتل أخيه (هابيل) ، إلى قوم لوط الذين

---

١ ـ سورة القصص ، الآية ٤ .
٢ ـ سورة الأعراف ، الآية ١٢٧ .
٣ ـ سورة البقرة ، الآية ٤٩ .
٤ ـ سورة المائدة ، الآية ٢٧ .
٥ ـ سورة الأعراف ، الآية ٨٠ و ٨٢ .
٦ ـ سورة هـود ، الآية ٩١ .
٧ ـ سورة آل عمران ، الآية ٧٥ .

أمروا بإخراج لوط ومن معه ، لأنه قد خالفهم وحذرهم من ارتكاب الفاحشة ، وقوم شعيب الذين هدّدوه وأنه ضعيفٌ عندهم لولاَ رهطه وجماعته إلى اليهود الذين أباحوا لأنفسهم كل شيئ ، وأنه لا سبيل عليهم في الأمّيّين ، وأنّهم شعب الله المختار لا يسألون عمّا يفعلونه ، ولا يقبلون الآخرينَ إلاّ خدماً ...

هذه هي أبرز مصاديق وبواعث العنف التي عرضها القرآن الكريم مستنكراً ومحذراً أتباعه من تلك الأساليب .

ب ـ ما وردَ في السّنّة الشّريفة :

عشرات الروايات في أبوابٍ متعددة كانت صريحة في حرمة الظّلمِ والإعتداء والقمع والتسلط والعنف، نذكر بعضاً منها على سبيل المثال :

منها : ما وردفي حرمة التعذيب (أشدّ أنواع العنف) كما في رواية الإمام الصادق(عليه السلام) : (إن امرأة عذبت في هرة ربطتها حتى ماتت عطشاً )[1] .

هذه المرأة استخدمت العنف مع هذا الحيوان الضعيف (الهرة) حينما أقدمت على ربطها و حرمانها من حقها في شرب الماء ، حتى ماتت عطشاً،فاستحقت اللوم والعذاب من الله تعالى على هذا الفعل المذموم العنيف ...

ومما ورد في الرفق بالحيوان و عدم القسوة عليه ما روي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : «لا تذبح الشاة عند الشاة ، ولا الجزور عند الجزور وهو ينظر إليه».[2] ... فذبح الحيوان أمام الحيوان فيه عنف مكروه ، لأنّ فيه تخويفاً وتعذيباً ، لذلك كان المطلوب أن لا يذبح أمامه و هو ينظر إليه .

---

١ ـ وسائل الشيعة .

٢ ـ وسائل الشيعة.

ومنها : ما ورد في حرمة الظلم ، فعن رسول الله(ﷺ) : «لا يقف أحدكم موقفاً يضرب فيه رجل مظلوم ، فإن اللّعنة تنزل على من حضر حيث لم يدفعوا عنه»...[1]

فإذا حضر ولم يدفع عنه وهو متمكن فهو ملعون ، فكيف بمن يمارس عملية الضرب والقهر و الظلم .

ومنها : ما ورد في التحذير عن العنف ، فعن رسول الله(ﷺ) :«ما من عمل أبغض إلى الله من الإشراك بالله تعالى والعنف على عباده»[2] ، فقد قرن رسول الله (ﷺ) العنف بالإشراك بالله تعالى من حيث مبغوضية كل من العملين .

ومنها ما ورد في تحديد الظالم ، حيث قال رسول الله(ﷺ) : «الظّالم يقهر من دونه بالغلبة»[3] هذا هو الموقف الإسلامي من العنف كتاباً وسنّة ...

## ٢ـ أما منهج الرفق واللّين:

أـ ما يستوحى من القرآن الكريم : أولاً : في الدعوة ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[4] .

إن الدعوة بالحكمة هي عبارة عن استخدام الخطاب والأسلوب الذي يقنع العقول بالحجة والبرهان والموعظة الحسنة هي تعبير عن الخطاب الذي يستميل العواطف ويؤثر في القلب رغباً ورهباً . والجدال بالتي هي أحسن تعبير عن الحوار مع المخالف بأحسن الطرق وأرق الأساليب التي تقرب ولا تبعد .. فالدعوة هذه

---

١ ـ وسائل الشيعة .
٢ ـ نوادر الراوندي .
٣ ـ ميزان الحكمة .
٤ ـ سورة النحل، الآية ١٢٥.

بـروحها وأبعادهـا هـي التـي جسدها الأنبياء مع أقوامهم كما جاء في قصصهم قال تعـالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[1] وقال تعـالى : ﴿ وَإِلَــى عَــادٍ أَخَــاهُمْ هُــوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَـيْرُهُ﴾[2] ما أجملها لغة «يا قومي» يحسسهم أنهم قومه وأنه منهم لا يريد لهم إلاّ الخير وقـال تعالى :﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[3] لغة واحدة وأسلوب واحد ودعوة واحدة من نبع واحد ؟؟..

وقال تعالى :﴿ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَـنكَ شَـيْئًا * يَـا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾[4] .

مـا أعظمهـا مـن رقة قلبٍ لنبي الله إبراهيم(عليه السلام) بعد بيان ما يخاف منه ودعوته إلـى التفكـير والـتأمل والأعظم ، هو موقفه بعد التهديد بالقتل كما في قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[5] .

وثانـياً: مقابلـة الجـاهل بالسـلام ومقابلـة اللغـو بالإعـراض ، فأيـن القمع ؟ وأين العنف ؟ قال تعالى : ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾[6] .

وقـال تعـالى : ﴿ وَإِذَا سَـمِعُوا اللَّغْـوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ

---

١ ـ سورة الشعراء ، الاية ١٠٦ ـ ١٠٧ .
٢ ـ سورة الأعراف ، الآية ٥٦ .
٣ ـ سورة الأعراف ، الآية ٧٣ .
٤ ـ سورة الأعراف ، الآية ٨٥ .
٥ ـ سورة مريم ، الآية ٤٢ ـ ٤٣ .
٦ ـ سورة مريم ، الآية ٤٧ .

﴿أَعْمَالُكُمْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[1]

وثالثاً: دعوة نبي الله موسى(عليه السلام) فرعون الذي كان يدّعي الربوبية والألوهية ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[2] وما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾[3] بعدما أمر الله تعالى موسى(عليه السلام) وأخاه هارون بتليين القول ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلاَ تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[4].

وحين ذهب موسى (عليه السلام) إلى فرعون الطاغية ، قال له ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾[5].

ورابعاً : المنة الإلهية على الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله) حتى تميز بتلك الرحمة واللين قال تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[6] رحمة الإستيعاب ولين الكلام والعفو

قال تعالى:﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[7] ، وقال تعالى : ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[8]

هذه مجموعة مناهج من الآيات تبين أن الدعوة لا تكون إلا باللين بعيداً عن

---

١ ـ سورة الفرقان ، الآية ٦٣ .
٢ ـ سورة القصص ، الآية ٥٥ .
٣ ـ سورة النازعات ، الآية ٤٢ .
٤ ـ سورة القصص ، الآية ٣٨ .
٥ ـ سورة طه ، الآية ٤٢ ـ ٤٣ ـ ٤٤ .
٦ ـ سورة آل عمران ، الآية ١٥٩ .
٧ ـ سورة آل عمران ، الآية ١٣٤ .
٨ ـ سورة الشورى ، الآية ٤٠ .

العنف ، وأن الإستيعاب يكون بالرفق والعفو ، لا بالإستبداد والظلم والقهر والعنف ...

ب ـ وأما السنة :

روايات كثيرة وردت في الرحمة والرفق منها ما روي عن النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) «أنا الرحمة المهداة»[1] ، فقد بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ، والرحمة تتلائم مع الرفق ، ولا تتناسب مع العنف ، ولهذا تمحضت دعوة الرسول(صلى الله عليه وآله) بالرفق ، وإلى الرفق ونهت عن العنف بأي شكل من أشكاله .

ولا يخفى ذلك على من تتبع سيرة النبي(صلى الله عليه وآله) ومنهجية حياته حتى إنّ الله تعالى وصفه بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2] . وقد حصر بعثته المباركة بقوله(صلى الله عليه وآله) «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[3] .

ومنها ما ورد في الرفق حيث قال(صلى الله عليه وآله): ﴿إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله﴾[4] .

وروى البخاري عن عائشة أنها قالت :(استأذن رهط من اليهود على النبي(صلى الله عليه وآله) فقالوا:« السّامُّ عليكم فقلت ـ أي عائشة ـ بل عليكم السام واللعنة ، فقال (صلى الله عليه وآله) : «يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله ، قلت : أولم تسمع ما قالوا ؟ ، قال :قلت : وعليكم[5] .

---

١ ـ ميزان الحكمة .

٢ ـ سورة القلم ، الآية ٤ .

٣ ـ ميزان الحكمة .

٤ ـ صحيح البخاري .

٥ ـ صحيح البخاري .

وروى مسلمٌ في صحيحه عن عائشة أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: «يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على غيره».

وروي في صحيح البخاري عن أبي هريرة قال: «قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس، فقال لهم النبي(صلى الله عليه وآله) دعوه، و هريقوا على بوله سجلاً من الماء فإنما بعثتم ميسرين و لم تبعثوامعسرين»...

وكان النبي(صلى الله عليه وآله) يحب التخفيف والتيسير على الناس، و روى أنس بن مالك عن النبي(صلى الله عليه وآله) أنه قال: «يسروا ولا تعسروا و بشروا ولا تنفروا»[1].

وروي عن عائشة أنها قالت: «ما خير رسول الله(صلى الله عليه وآله) بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان ثمّ إثم كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله(صلى الله عليه وآله) لنفسه قط، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى»[2].

وقد تحدث النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) عن أنّ مهمّة الأنبياء والرسل هي مداراة الناس وهي لا تقلّ عن مهمتهم بإرشاد الناس و إبلاغهم لأداء الفرائض حيث قال(صلى الله عليه وآله): «إنا أمرنا ـ معاشر الأنبياء ـ بمداراة الناس كما أمرنا بأداء الفرائض»[3].

وأمير المؤمنين(عليه السلام) يقول: «واخلط الشدة بضغث من اللين، وارفق ما كان الرفق أرفق»[4].

فالقاعدة الأولية هي الرفق و اللين، ولكن إذا لم ينفع و اقتضى الأمر دفاعاً عن

---

١ ـ المصدر السابق.
٢ ـ المصدر السابق.
٣ ـ بحار الأنوار.
٤ ـ نهج البلاغة.

الحقوق و القوانين فاستخدم الشدة ، وإذا أمكن مزجها مع ضغث من اللين ،فافعل والسبيل هوالرفق ما كان أرفق ،فالشدة و العنف إنما هما في حالة الضرورة وكقاعدة ثانوية وهي حينئذ بالدقة ليست عنفاً...

و يقول الإمام الصادق (عليه السلام) : «العفو عند القدرة من سنن المرسلين والمتقين»[1]. والعفو الذي هو سنة المرسلين و المتقين ، هل يبقي مكاناً للعنف ، أم هو أعلى مراتب الرفق؟ ...

ورسول الله(صلى الله عليه وآله) يدل أصحابه على خير الدنيا والآخرة وأنه لا يكون إلا بالتسامح والرفق والانفتاح واستيعاب الآخر حيث قال(صلى الله عليه وآله):«ألا أدلكم على خير الدنيا والآخرة ؟تصل من قطعك ، و تعطي من حرمك ، و تعفو عمّن ظلمك»[2] .

ومن أسمى آيات الرفق ما رواه محمد بن الفضيل عن الإمام الرضا(عليه السلام) حيث قال :قلت له:«كان عندي كبش سنة لأضحي به ، فلما أخذته وأضجعته نظر إليّ فرحمته ، ورفقت له ، ثمّ إنّي ذبحته»، قال : قال(عليه السلام) :

«ما كنت أحب لك أن تفعل ،لا تربّينّ شيئاً من هذا ثم تذبحه»[3].

ويتحدث النبي(صلى الله عليه وآله) عن أهمية الرفق قائلاً : «إنّ الرفق من جنود العقل ، وضده الخرق ، وإنّ الرفق يمنٌ وزينٌ كما أنّ ضده شين»[4] .

و قال(صلى الله عليه وآله): «إنّ الرفق لم يوضع على شيء إلاّ زانه ولا نزع من شيءٍ إلاّ

---

١ ـ سفينة النجاة .
٢ ـ أصول الكافي .
٣ ـ وسائل الشيعة .
٤ ـ نوادر الراوندي .

شانه»[1].

وقال (صلى الله عليه وآله) :«لو كان الرفق خلقاً يرى ما كان مما خلق الله شيء أحسن منه»[2].

والإمام ا لصادق(عليه السلام) يقول «من أراد أن ينال ما عند الناس فعليه بالرفق حيث قال :«مَن كان رفيقاً في أمره، نال ما يريد من الناس»[3].

هذا غيض من فيض روايات في أبواب مختلفة يجمعها اللين والرفق والمعاشرة الحسنة وقبول الآخر وإنصافه وإشعاره بالرحمة والمحبة ...

وبعد هذا العرض لمنهجي العنف والرفق كتاباً وسنة ، فهل يبقى مجال لأدنى شك و شبهة أن العنف ممنوع و ممجوج ومرفوض من المنظار الإسلامي وأنّ الإسلام هو داعية الرفق والرحمة والمحبة ...

---

١ ـ الكافي .
٢ ـ المصدر السابق .
٣ ـ المصدر السابق .

## المحور الثاني:

# السيرة العملية للرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله) قبل الهجرة وبعدها

### ١ـ أما قبل الهجرة :

أـ أمر الله تعالى رسوله(صلى الله عليه وآله) بعد ثلاث سنين من بعثته أن يظهر ما خفي من أمره وأن يصدع بما جاءه من الله تعالى ، ونزل به الوحي ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ* وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[2] .

إستجاب النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) ، ودعا عشيرته إلى الطعام ، وحاول أن يحدّثهم بما جاء به ، فقطع أبولهب حديثه ، واستنفر القوم للخروج ، ثم دعاهم النبي(صلى الله عليه وآله) كرّةً أخرى ، فلما طعموا قال لهم(صلى الله عليه وآله) :

«ما أعلمُ إنساناً من العربِ جاء قومه بأفضل ما جئتكم به ، وقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني ربّي أن أدعوكم إليه ، فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر ويكون أخي ووصيّي و خليفتي فيكم ؟. فأعرضوا عنه وهّموا بتركه ، لكنّ عليّاً(عليه السلام) نهضَ وما يزال صبيّاً دون الحلم وقال :«أنا يا رسول الله عونك، أنا حربٌ لمن حاربت ... فابتسم بنو هاشم ، وقهقه بعضهم ، وجعلوا نظرهم ينتقل من أبي طالب إلى ابنه ، ثم انصرفوا مستهزئين[3] .

---

١ ـ سورة المؤمنون ، الآية ٢١٤ ـ ٢١٥ .

٢ ـ سورة الأنعام ، الآية ١٩٩ .

٣ ـ محمد حسين الهيكل: حياة محمد (صلى الله عليه وآله) .

هل في هذه الدعوة عنف ومصادرة لآراء الآخرين ؟وهل هناك من إكراه وجبر ؟ أم هي دعوةٌ بأعذب الكلمات وأرقّها ، وأنه لا يحمل إليهم إلا ما هو خيرٌ لهم . وقد دعاهم ليحركوا عقولهم بالتفكر والتأمل .

وها هو الرسول(ﷺ) يقعدُ على الصفا وينادي :«يا معشر قريش».

قالت قريش : محمد على الصفا يهتف، وأقبلوا عليه يسألون ما له ؟

قال : «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقونني» ؟

قالوا : «نعم ، أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذباً قط».

قال : «فإني نذيرٌ لكم بين يديّ عذاب شديد، يا بني عبد المطلب ، يا بني عبد مناف ، يا بني زهرة ، يا بني تيم ، يا بني مخزوم ، يا بني أسد، إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين وإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا: لاإله إلا الله ..

فنهض أبو لهب ، وكان رجلاً بديناًسريع الغضب ، وصاح : تبا لك سائر هذا اليوم ! ألهذا جمعتنا . فنزل الوحي ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ** ﴾[1] .

فأيُّ خطابٍ هذا وأيُّ رفقٍ ولين ، إنه خطابُ رسول الإنسانية وقيمها وضميرها فأين العنف ؟.

---

١ ـ سورة المسد ، الآية ١ ـ ٣.

## ب ـ الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) في الطائف :

عـام الحـزن هـو ذاك العام الذي افتقد فيه الرسول(صلى الله عليه وآله) عمه أبا طالب(عليه السلام) وزوجـته السيدة خديجـة الكـبرى (عليها السلام) ... واشـتدت قريش بأذيتـهـا ، وضيـقـت عليه بمـا لا يطـاق ، وغـدت دعوتـه إلى مزيدٍ مـن الخطـر... فكر وتأمل باحثاً عن مـنطلق لدعوتـه ، فوقـع اختـياره علـى الطـائف ، وهـو علـى بعـد أمـيال من مكة . ويحـتل الطـائف مركـزاً مهمـاً لموقعـه الجغرافـي المميز فـي تلـك الجزيـرة وثقلاً اجتماعياً مهاب الجناح ، عشيـرةُ ثقيف كبارها أصحاب رأي .

وصـلها مـتوكلاً علـى ربـه ، كلـه ثقـةً بأن يؤدي دوره بتبليغ رسالته لا يبتغي إلا هداية الناس وإخراجهم من عبادة الوثن إلى عبادة الله تعالى ...

إلـتقى زعماءهم في ناديهم ، وعرض عليهم دعوته ، ودعاهم للتفكر والتأمل لا يـريد لهم إلا الخير والصلاح ، ولا يسألهم على ذلك أجراً . ولكن القوم ردوا عليه بالرفض، وأوعزوا إلى صبيانهم وجهّالهم أن يتعرضوا للنبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) بالأذية، وأغلقـوا أبوابهـم بوجهـه كمـا أغلقـوا قلوبهـم وعقولهـم عـن سـماع حديـثه .. خـرج(صلى الله عليه وآله) والصـبيان يلاحقونـه بالحجـارة والكـلام المؤذي ، فالتجأ إلى حائطٍ بعيد. عرقٌ يتصببُ ، ودماءٌ تسيلُ من رجليه . رفع يديه قائلاً :

«إلهـي إلـى مـن تكلنـي وأنـت ثقتـي ورجائي وعليك توكلي ؟ إن لم يكن بك عليَّ غضبٌ لا أبالي . لك العتبى حتى ترضى» ...

يـا ترى هل من يحمل هموم الناس ويسعى لهدايتهم والأخذ بأيدهم إلى الحق وجادة الصواب والنور يكون صاحب عنف وقهر ...

ج ـ في مكة بعد الطائف :

أين يذهب؟ إن معي ربي سيهدين ، لا بديل عن مكة ، وإن كانت الصورة قاتمة ، عاد متوكلاً على الله تعالى ، ووضع خطته يعرض نفسه على حجاج البيت في الموسم ، والتقى الوفود وعيون قريش تلاحقه ، وبعد أن اطمأن إلى وفد المدينة كان الاتفاق على اللقاء بعيداً عن الأنظار ، وهناك تمت بيعة العقبة ووضعت خطة الهجرة إلى المدينة ، وبعث مصعب بن عمير معلماً وممهداً يهيءُ الناسَ لقدوم النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) ...

تآمر زعماء قريش في دار الندوة على قتل رسول الله(صلى الله عليه وآله) **﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾**[1]

خرج النبي(صلى الله عليه وآله) ليلاً بعد مبيت الإمام علي(عليه السلام) على فراشه وصل المدينة واستقبل بالترحاب والحفاوة ، وصدع بدعوته ، والتف الناس حوله ، وآثروه ومن معه على أنفسهم ... فأين العنف والقهر والإكراه وقد ألّف بين الأنصار (أوساً وخزرجاً) ، ووحدهم بعد فرقة وقتال وحرب ودماء لم يسلم منها بيت **﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**[2] .

د ـ أما بعد الهجرة و موقف الرسول (صلى الله عليه وآله) من الأحداث :

تحوّلت المدينة المنوّرة إلى مركز للدعوة الإسلامية و قام الرسول(صلى الله عليه وآله)

---

١ ـ سورة الأنفال ، الآية ٣ .
٢ ـ سورة الأنفال ، الآية ٦٣ .

بتأسيس الحكومة الإسلامية وإقامة العدل ، والنّظام ، والأمن ، والاستقرار ... عقد اتفاقية ومعاهدة تعايش مع اليهود الذين يسكنون المدينة ، تتكفّل المعاهدة عدم الاعتداء وحفظ الجميع وحماية المدينة ، وأن لا يقدّم اليهود مساعدة لأعداء المسلمين من المشركين ، هذه روحية العيش المشترك ، لا مكان فيها للعنف والإكراه و عدم الاعتراف بالآخر ...

وما خاض المسلمون تحت راية النبي(ﷺ) من حروب خلال السنوات العشرة إلاّ دفاعاً عن الوجود،وهل الدفاع عنف؟ أم أنّه ردّ على العنف واقتلاع له؟

وكان صلح الحديبية وما فيه من بعض البنود التي انتقدها بعض المسلمين شعوراً بالغبن ، إلاّ أنّ الرسول(ﷺ) وافق عليها مبرراً أنّ الذي يتركنا ويخرج إلى مكة ويلتحق بالمشركين لا حاجة لنا به ،ومن يأتينا من المشركين مسلماً نردّه إلى مجتمعه و يتحمّل صابراً إلى أن يقضي الله تعالى بالفرج ، و هذا باب امتحان وابتلاء ، فإذا كان خروجه من أجل العقيدة والإسلام فإرجاعه لا يفوّت عليه الفرصة ، بل يزيد من روحيّته وهو يواجه العنف وا لقمع والقهر من ذلك المجتمع الجاهلي وهو يتوقع الحرّيّة التواق إليها والتي لا بدّ أن تتحقق بمزيد من التّصميم والإرادة والعزّة ، فإنّ جوهر الحرّيّة هو بالإنتماء ، هي حرّيّة المبدأ والرّوح وليست الحرّيّة المصطنعة ظاهراً مع قيود الرّوح والفكرو العقيدة ...

وقد بلغت قلوب القرشيين يوم فتح مكة الحناجر خوفاً من الثأر لما أقدمت عليه خلال سنوات الدعوة من قتل وتشريد ومصادرة وقمع . ولم تترك أسلوباً من أساليب القهر والغدر إلا واستخدمته بحق النبي(ﷺ) والمسلمين ، ولكن الرسول الأكرم(ﷺ) وقف قائلاً لجنده وأصحابه على مسمع من قريش اليوم

يوم المرحمة لا تثريب عليكم أيها الناس اذهبوا فأنتم الطلقاء ... ما أعظم الرحمة والعفو عند المقدرة وهي تبرهن عن قيم أخلاقية وإنسانية لا يضاهيها شيء هذا هو الإسلام ونبيه(صلى الله عليه وآله) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1] .

هذه قطرات من محيط وبحر الرحمة والرفق التي جبلت عليها شخصية الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله) وقامت عليها مبادئ الإسلام العزيز من أجل كمال الإنسان وبلوغه آفاق سعادته في الدارين وهل يبقى بعد ذلك إحتمال لعنف وقهر والأساس هو ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[2] ويدعو أهل الكتاب إلى الحوار الهادئ والهادف﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[3] .

وإن رفضوا ذلك وأبوا إلاّ المحاجّة فالدعوة إلى المباهلة ليكون الحق هو الحكم ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[4] .

---

١ ـ سورة الأنبياء ، الآية ١١٧ .
٢ ـ سورة البقرة ، الآية ٢٦٥ .
٣ ـ سورة آل عمران ، الآية ٦٤ .
٤ ـ سورة آل عمران ، الآية ٦١ .

*المحور الثالث :*

# نظرة الإسلام إلى العنف

تحكّمت الجاهلية الجهلاء بكلّ أبعادها في مجتمع الجزيرة العربية حتى غدت متلازمة معه ، وظاهرة العنف من أبرز الظواهر ، فكان السيف و القمع والقهر وتسلّط القوي على الضعيف ، وفي المقدّمة وأد البنات ، والتّصرّف مع المرأة بأبشع أساليب العنف والمجتمعات الأخرى في العالم لا تختلف كثيراً عن ظاهرة العنف .

وجاء الإسلام ليخرج الناس من ذلك الظلم والقهر إلى مجتمع الحرّيّة والعدالة، وقد اصطفى الله تعالى النّبي الأكرم محمداً (صلى الله عليه وآله) واختاره لعملية الإنقاذ ﴿ **لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[1] .

رسول من أنفسكم مرتبط بالنّاس والمجتمع يتألم لآلامكم ويعيش مشاكلكم وهمومكم وغمومكم حريص عليكم رؤوف رحيم بكم ، جاء لخيركم وسعادتكم يرفع عنكم كابوس القهر والإستبداد ، ويقطع جذور العنف والقمع ، ويفسح لكم المجال للتأمل والنّظر والتّفكر وإحياء القيم والأخلاق الإنسانية ، رافعاً شعار الإرتباط بالخالق والتّحرر من عبودية الإنسان والوثن (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)...

---

١ ـ سورة التوبة ، الآية ١٢٨ .

ثورة على العنف بالحكمة والموعظة الحسنة والسلوك والسيرة الحميدة التي تجسّد قيمة الإنسان بحرّيّة الاختيار ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾[1] .

ولشدّة حرص الرسول(ﷺ) وتألمه على الناس حتّى كادت نفسه أن تذهب عليهم حسرات وهم معرضون نزل الوحي بقوله تعالى : ﴿**أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾[2]

يا رسول الله لا تتعب نفسك ﴿ **إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء**﴾[3] ، أنت بشير ونذير ومعلّم والهداية والضّلالة خاضعة لمشيئة الإنسان، فمن شاء الهداية وفّق إليها و سدد بتوفيق من الله تعالى ودعوتك ومن شاء الضّلالة فلا يمكنك هدايته ، لأنّه وضع الحجب على قلبه وختم عليه بسوء إرادته ، فهذا يحرم من التّوفيق ويهمل ويترك يتخبّط في تلك الظّلمات ، وما هو بخارج منها إلاّ بالتفاتة منه وإرادة وتمسّك بدعوتك يا رسول الله .

وأنت يا رسول الله مذكّر ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ**﴾[4] وأنت يا رسول الله ﴿**لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ**﴾[5] ..

فالإسلام لا يقرّ ظاهرة العنف بل يحاربها لأنها من الظّواهر والصّفات الذميمة وهي تعبير عن انفعالات النّفس الأمّارة بالسوء ، ودوافع العنف الشعور بالعجز

---

١ ـ سورة البقرة ، الآية ٢٦٥ .

٢ ـ سورة فاطر ، الآية ٨ .

٣ ـ سورة القصص ، الآية ٥٦ .

٤ ـ سورة الغاشية ، الآية ٢١ .

٥ ـ سورة الغاشية ، الآية ٢٢ .

والدّونيّة وحبّ الظهور والكبرياء . وكثيراً ما يكون العنف انعكاساً لعادات وتربية خاطئة . وجاء الإسلام ليهذب النّفس لكي لا تتعدّى حدودها .

جاء الإسلام ليقضي على ظاهرة العنف ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾[1] بثقافة روحية أخلاقية إنسانية رسالية ، وأن ينظر الإنسان إلى الإنسان نظرة أخوة ومحبة ، وأنه يرضى له ما يرضاه لنفسه ، ويكره له ما يكرهه لنفسه... فالعنف غير مشروع فضلاً عن أن يكون وسيلة للتوصل إلى أهداف الإسلام .

وما يشاع ويقال بأن الإسلام تبنى نظرية الجهاد وورد في القرآن كلمة (جهاد) في ثلاثين موردا ونيفاً بالإضافة إلى كلمة (قتال) و(إرهاب) و(اغلظ) ومعه كيف لا يكون العنف هو الوسيلة فضلاً عما ورد في باب الحدود والقصاص .

ولكن قد فات هؤلاء أنّ الجهاد الذي يتحدثون عنه إنما هو دفاعي لحماية المجتمع والأمّة ، وهذا ليس من مصاديق العنف في شيء وإن استخدمت فيه القوة والبأس إذ ليس كل قوة وبأس عنفاً ، بل في الواقع هو ردّ للعنف و قضاء عليه . وهذا قد أقرت به جميع الشرائع والقوانين ، وقضى به العقل إذ لولا ذلك لاختلّت الموازين وانتشرت الفوضى ولم تبق هيئة اجتماعية ...

لا بد من حماية الدول و توفير الأمن الاجتماعي ولا يكون إلا بعداد جيش يرابط على الثغور ويتصدى للغزاة الطامعين وفي الدّاخل يحافظ على حقوق

---

١ ـ سورة الجمعة ، الآية ٢ .

الناس.

والقوانين الشرعية والوضعية شُرِّعت لتحقيق العدالة وإنصاف كلّ ذي حق ومواجهة الفساد والاعتداء. فقانون العقوبات يكون رادعاً، وليس ذلك من العنف بل هو من حسن التّدبير وجمال السياسة ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

ولا يفهم معنى الآية وأبعادها الحقيقية إلاّ بالتأمل والتّدبر بقوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[2]

بعد عرض قصة ولدي آدم وقتل قابيل هابيل ممثلاً بذلك أبشع صور الاعتداء والعنف والظلم وكأنه قتل النّاس جميعاً، أي لو تسنّى لقابيل أن يقتل الناس جميعاً لما توانى عن ذلك، وكان في المقابل هابيل بهدوئه وتقواه وعفّته يمثل الناس جميعاً في الخط المعاكس تماماً لشخصية قابيل وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

وفي القصاص حياة وتطهير للمجتمع من أدوات الفساد والمفسدين الذين لم ينفع معهم الوعظ والإرشاد والنّصائح ولكن أصروا على الظلم والاعتداء، فهل معاقبة هذا يكون فيه إجحافٌ وعنف مهما كان العقاب؟!.

والإسلام قد أقرّ العقاب في باب العلاج الوقائي، وإلاّ لانتشر الوباء والفساد، ولم يبق معنى للحياة. فأسلوب الردع والعلاج والتأديب ليس من باب العنف في

---

١ ـ سورة البقرة، الآية ١٧٩.

٢ ـ سورة المائدة، الآية ٣٢.

شيء.

نعم ، لو تجاوز الردع والعلاج الحدود المرسومة وعن موضوعه لكان تشفياً وثأراً ولو كان تحت عنوان العقاب وإقامة الحدّ ، وكان ظلماً يعاقب فاعله ويغرم مع سابق إصرارٍ وتصميم على الاعتداء والانتقام .

الإسلام هو التسليم لأمر الله تعالى ولا ينفكّ التسليم عن الإلتزام بأحكام الإسلام وقوانينه ، واللاعنف والسلام هما من السّمات التي لا تنفكّ عن الإسلام ، وما يحصل من تجاوزٍ لذلك التّسليم بأعمال تتنافى مع تعاليم الإسلام يعود إلى قصور وجهل عند المسلمين ، لأن ذلك ليس من الإسلام في شيء ، فما يقوله الإسلام ويسعى إلى تطبيقه من خلال المسلمين هو أن تحلّوا بالرفق بعيداً عن العنف من غير ضعف أو عجز ، وهذه هي الشجاعة الحقيقية ، ولنا في سلوك النبي(صلى الله عليه وآله) والأئمة(عليهم السلام) خير نموذج للاقتداء بهم .

## تساؤلات

### ١ـ الإسلام يقرّ العنف الأسروي؟

إنّ الإسلام شرّع العنف في حقّ المرأة حيث أجاز ضربها كما في قوله تعالى : **﴿ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾**[1].

هذا التساؤل يدفعه التأمل بالآية : **﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ**

---

١ ـ سورة النساء ، الآية ٣٤ .

﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ ... إلى أن قال :
﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾.

قال السيد الطّباطبائي(قده) في تفسيره : «إنّ المراد بما فضّل الله بعضهم على بعض هو ما يفضّل و يزيد فيه الرّجال بحسب الطّبع على النّساء ، و هو زيادة قوّة التعقّل فيهم وما يتفرّع عليه من شدّة البأس والقوّة والطّاقة على الشّدائد من الأعمال ونحوها فإنّ حياة النّساء حياة إحساسية عاطفية مبنية على الرّقّة واللّطافة والمراد بما أنفقوا من أموالهم ما أنفقوه من مهورهنّ و نفقاتهنّ ... إلى أن قال :

﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ والنّشوز هو العصيان والاستكبار عن الطّاعة والمراد بخوف النّشوز ظهور آياته وعلائمه ولعلّ التّفريع على خوف النّشوز دون نفسه لمراعاة حال العظة من بين العلاجات الثلاث المذكورة ، فإنّ الوعظ كما أنّ له محلاً مع تحقق العصيان ،كذلك له محل مع بدء آثار العصيان وعلائمه والأمور الثّلاثة ، أعني ما يدلّ عليه قوله :﴿ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ . و إن ذكرت معاً ، وعطف بعضها على بعض بالواو فهي أمور مترتّبة تدريجيّة فالموعظة ، فإن لم تنجح فالهجرة ، فإن لم تنفع فالضرب .

ويدلّ على كون المراد بها التّدرّج فيها أنّها بحسب الطّبع وسائل للزجر مختلفة آخذة من الضعف إلى الشّدّة بحسب التّرتيب المأخوذ في الكلام ، فالتّرتيب مفهوم من السّياق دون الواو . إلى أن قال :﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ أي لا تتخذوا علّة تعتلون بها في إيذائهنّ مع إطاعتهنّ لكم ثم علّل هذا

النّهي بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[1] .

إذا حصلت مقدمّات النّشوز فعلى الزوج القيّم على الأسرة وعلى صلاحها وتنظيمها و حمايتها أن يعالج تلك المقدمات متدرّجاً كما وضحت الآية ، والضرب كسابقيه من أساليب التربية والتأديب حفاظاً على الحقوق إذا كان يترتب على ذلك الأمر وإلا فلا تجوز الأذية ...

يقول سماحة السيّد السّيستاني (دام ظله) :

«إذا نشزت الزوجة جاز للزوج أن يتصدى لإرجاعها إلى طاعته ، وذلك بأن يعظها أوّلاً فإن لم ينفع الوعظ هجرها في المضجع إذا احتمل نفعه كأن يحول إليها ظهره في الفراش ، ويعتزل فراشها إذا كان يشاركها فيه من قبل ، فإن لم يؤثّر ذلك أيضاً جاز له ضربها إذا كان يؤمل معه رجوعها إلى الطاعة وترك النشوز . ويقتصر منه على أقل مقدار يحتمل معه التأثير ، فلا يجوز الزّيادة عليه مع حصول الغرض به وإلاّ تدرّج إلى الأقوى فالأقوى ما لم يكن مدمياً ولا شديداً مؤثراً من اسوداد بدنها أو احمراره . واللاّزم أن يكون ذلك بقصد الإصلاح، لا التّشفّي والانتقام ولو حصل بالضرب جناية وجب الغرم .

وإذا لم تنفع معها الإجراءات المتقدّمة وأصرّت على نشوزها فليس للزوج أن يتخذ ضدها إجراء آخر سواء أكان قولياً كإبعادها ، بما لا يجوز فعله بخلاف الإبعاد بما يجوز له كالطلاق والتزويج عليها ، أوكان فعلياً كفرك أذنها أو جرّ شعرها أو حبسها أو غير ذلك ، نعم يجوز له رفع أمره إلى الحاكم الشرعي ليلزمها

---

١ ـ الميزان في تفسير القرآن .

بما يراه مناسباً كالتعزير ونحوه .[1]

فالضرب بعد تقييده بما عرفت لا يبقى معه أي أذى إلاّ أذى معنوي الذي هو مغتفر لأن المقصود منه الإصلاح ومعالجة ذلك النشوز والخروج عن أجواء التفاهم والإنسجام وتضييع حقوق الزوج ، وهل يقال لمثل هذا تسلّط وقهر وظلم ليكون عنفاً وقساوة ..

ومما يؤكد ما ذكرنا إهتمام الإسلام بالأسرة ، وأنها ركن من الأركان الأساسية في المجتمع وتحدثت الشريعة عن الحقوق المتبادلة بين الزوج والزوجة والأولاد، فعن رسول الله(صلى الله عليه وآله):

«لا يخدم العيال إلاّ صِدّيقٌ شهيد ، أو رجلٌ يريد الله به خير الدّنيا والآخرة»[2] .

فصاحب القيمومة هو خادم إذا ما أحسنها كان بمنزلة الصدّيق والشّهيد وأنّه ممن وفقهم الله تعالى لخير الدّارين، وهل مثل هذا يتلائم مع العنف؟

وروي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنه قال :

«حقّ المرأة على زوجها أن يسدّ جوعتها وأن يستر عورتها ولا يقبّح لها وجهاً»[3] .

فأي عبارة أبلغ من قوله (صلى الله عليه وآله) : «ولا يقبح لها وجهاً « فهل هناك تعبير أبلغ على المنع من العنف من هذه الجملة و خصوصاً إذا ما أضفنا إليها قوله (صلى الله عليه وآله) : «جلوس المرء عند عياله أحب إلى الله تعالى من اعتكافٍ في مسجدي هذا»[4].

---

١ ـ السيد السيستاني : منهاج الصالحين ، ج ٣، ص ١٠٧ .

٢ ـ ميزان الحكمة .

٣ ـ المصدر السابق .

٤ ـ المصدر السابق .

الجلوس مع العيال وإدخال السرور على قلوبهنّ والتّلطف إليهنّ أحب إلى الله من اعتكاف عبادي في مسجد رسول الله(ﷺ) . فهل معاشرة ورفق أفضل من هذا ؟

وقال (ﷺ) : «أيضرب أحدكم المرأة ثم يظلّ معانقها»[1] . فأي عاقلٍ ذاك الذي يضرب زوجته وهو يعانقها ؟ استفهام إستنكاري على التصرف غير اللاّئق والعنيف مع المرأة .

وروي عن الرسول (ﷺ) : «من كان له امرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها ولا حسنة من عملها حتى تعينه وترضيه وإن صامت الدهر وقامت ... ثم قال (ﷺ): «وعلى الرجل مثل ذلك الوزر والعذاب إذا كان لها مؤذياً ظالماً»[2] .

فالعنف والظلم مرفوض من كلٍ من الزوجة تجاه زوجها ومن الزوج تجاه زوجته ، ومع كل هذا العرض فأين العنف الأسروي الذي يقره الإسلام بحسب التساؤل ؟..

## ٢ـ الإسلام يأمر بالقتل والجهاد والغلظة ؟

و هل هذا غير العنف ؟...

قالوا هذا القرآن يدعو إلى العنف حيث يقول : ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[3] فإنه يأمر بقتل كل من يخالف ، أليس ذلك من العنف والقهر والتّسلط وقمع الحريات الفكرية والعقائدية ...

---

١ ـ المصدر السابق .
٢ ـ ميزان الحكمة .
٣ ـ سورة البقرة ، الآية ١٩١ .

هـذا الكـلام بصـيغة التساؤل هو مجتزأ كما لو قال إنسان ( لا إله ) فهـل يحكم علـيه بالكفـر وعـدم الإيمـان قبل إكمال كلامه بقوله (إلا الله ) ؟! وهنا ما ذكر لم يلاحـظ مـا سبقه ومـا لحقـه ، فـإن ما سبقه قوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾[1] .

ومـا أكملـت به الآية التي أخذ منها ﴿ وَقَاتِلُواْ ...﴾ حيث قال : ﴿ وَأَخْرِجُوهُم مِّـنْ حَيْـثُ أَخْـرَجُوكُمْ وَالْفِتْـنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾

فـإن فـي الـتأمل فــي الآيتيـن ووحـدة السياق يتبين أن قولـه﴿ وَاقْتُلُوهُمْ﴾ ردٌّ علـى اعتداءاتهم وقتالهم وأن لا يكون قتالٌ إذا لم يحصل إعتداء ، فهذا ردّ للعنف وقتال وجهاد دفاعي فمع هذا التأمل هل يـبقى من مجال لاتهام الإسلام بالعنف .

إن الإسـلام يعـارض العـنف ، ولكن لا يقبل بالذل والإذلال ، ويعتبر الرد علـى العـنف واقـتلاعه مـن جذوره أمراً مباحاً ، بل واجباً ومشروعاً ، وهذا ما عليه جميع الشـرايع والقوانيـن ، فالدفـاع عـن الوطن والعقيدة والمال والنفس ليس من العنف أبداً..

---

١ ـ سورة البقرة ، الآية ١٩٠ .

# خاتمة

الإسلام الذي رفض العنف لم يكتفِ بذلك بل عالج أسباب العنف وما يؤدي إلى فساد العباد ودمار البلاد ، ومن أبرز تلك الأسباب الصفات الذميمة وقد ورد النهي عنها وتحريمها من غضب وحسدٍ وعصبيّةٍ وبغيٍ وحقد وغيبة ونميمة وتنابز بالألقاب وما شابها ذلك ...

وأتناول منها الغضب والحسد والنّفاق كنموذج ...

أما الغضب فقد ورد بأنّ الغضب يفقد الإنسان صوابه ويهوي به في أوحال العنف ويسوقه إلى أمورٍ لا تحمد عقباها ، ومن هنا كان تأكيد الرسول(ﷺ) على ترك الغضب والنّهي عنه ، حيث قال(ﷺ) لرجلٍ قال له : «يا رسول الله علمني» ، قال : «إذهب ولا تغضب» . فقال الرجل :«إكتفيت بذلك»، وذهب الرجل إلى أهله ، فإذا بين قومه حرب ، فقاموا صفوفاً ، ولبسوا السلاح ، فلما رأى ذلك لبس سلاحه ، ثم قام معهم ، ثم ذكر قول الرسول(ﷺ) : « لا تغضب» . فرمى السلاح ، ثم جاء يمشي إلى القوم الذين هم عدو فقال :

«يا هؤلاء ما كانت لكم من جراحة أو قتل أو ضرب فعليّ في مالي أنا أوفيكموه ، فقال القوم : «فما كان فهو لكم نحن أولى بذلك منكم».

قال : «فاصطلح القوم وذهب الغضب»[1] .

وفي حديث آخر عنه(ﷺ) : «الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل

---

١ ـ الكافي .

العسل»[1] فالإيمان لا يكون مع العنف . والغضب أبرز مصاديق العنف الذي يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل.

وروي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) : «ما لإبليس جندٌ أعظم من الغضَب»[2] فالشيطان عدو للإنسان والغضب يجعل صاحبه جندياً من جنود الشيطان .

وروي عن الإمام جعفر الصادق(صلى الله عليه وآله) : «من لم يملك غضبه لم يملك عقله»[3]. فالذي لا يملك عقله لا يبقى ما يردعه عن عنف وعن أي شيء ..

أما الحسد فهو الآخر يأخذ بيد الإنسان نحو الهاوية ، فلا يقل خطورة على حياة البشرية من الغضب .

وروي عن الإمام الصادق(عليه السلام) : «الحاسد يضر بنفسه قبل أن يضر بالمحسود كإبليس أورث بحسده لنفسه اللعنة ولآدم الاجتباء والهدى والرفع إلى محل حقائق العهد والاصطفاء»[4] .

وأما النفاق الذي حذر منه القرآن الكريم فهو أداة قاتلة لا يولد إلا عنفاً وذلك عبر إفشاء الحروب العنيفة التي كانت تشغل المسلمين وتستنزف طاقاتهم .

وقد وردت الآيات والروايات بذم النفاق .. قال تعالى :﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ**

---

١ ـ المصدر السابق .
٢ ـ المصدر السابق .
٣ ـ المصدر السابق .
٤ ـ مستدرك الوسا ئل .

اللّهُ مَرَضاً﴾[1] .

وروي عـن الصـادق(عليه السلام) : « أربع من علامات النفاق : قساوة القلب ، وجمود العين ، والإصرار علـى الذنـب ، والحرص على الدنيا»[2] ..

لقد فرَّق الإسلام بين العنف والقهر وبين التأديب والدفاع عن الحقوق وما شرع مـن قوانيـن من أجل تحصين المجتمع وقطع دابر الفساد ، والعقاب والتأديب خالٍ عـن الانـتقام والتشـفي و إنما هي من أجل الإصلاح وهذا ما نجده في ملكات كل القوانيـن والأحكـام فالإسـلام هـو السـلام . والسـلام عـذب علـى القلـوب ورحمة للنفوس وانفتاح للروح على الخالق والمخلوق لين ورفق ولا عنف .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العـالـميـن .

---

١ ـ سورة البقرة ٨ ـ ١٠ .
٢ ـ بحار الأنوار .

# العنف في القانون الدولي

سعادة النائب نوّار الساحلي

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

أصبح العنف من الأشياء الخطيرة التي تهدد جودة حياتنا ، فهو يوجد في كل مكان من حولنا في المنزل - الشارع - المدرسة - العمل .

فكل إنسان بداخله طاقة مكبوتة يعبر عنها بصورة مختلفة وإحدى هذه الصور هو العنف.

## في معنى العنف :

العنف كأي ظاهرة مجتمعية ، هو بحاجة إلى تعريف دقيق ، وتحديد علمي ومعرفي لمسبباته وعوامله وموجباته ، وذلك لأننا لا يمكن أن نحدد طبيعة الجذور والعوامل التي أفرزت هذه الظاهرة دون تفسيرها تفسيراً علمياً دقيقاً .

فالعنف في معناه اللغوي ضد الرفق ، وعنفوان الشيء : أوله وهو في عنفوان شبابه : أي قوته ، وعنَّفه تعنيفاً ، لامه وعتب عليه مما يعني أن العنف ضد الرأفة متمثلاً في استخدام القوة القولية أو الفعلية ضد شخص آخر .

وقد جاءت بعض الأحاديث النبوية الشريفة لتجعل الرفق مقابل العنف ؛ فقال : (صلى الله عليه وآله) : إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه .

وقال (صلى الله عليه وآله) : من يحرم الرفق يحرم الخير .

فالعنف في اللغة : هو كل قول أو فعل ضد الرأفة والرفق واللين .

## الحدود القانونية :

وفي إطار التشريعات الجنائية ، تصدى فقهاء القانون الجنائي لتعريف العنف في إطار نظريتين تتنازعان مفهوم العنف :

النظرية التقليدية : حيث تأخذ بالقوى المادية بالتركيز على ممارسة القوة الجسدية .

النظرية الحديثة : - التي لها السيادة في الفقه الجنائي المعاصر - فتأخذ بالضغط والإكراه الإرادي ، دون تركيز على الوسيلة ، وإنما على نتيجة متمثلة في إجبار إرادة غيره بوسائل معينة على إتيان تصرف معين .

وعلى ضوء ما سبق عرّف البعض العنف بأنه المس بسلامة الجسم ولو لم يكن جسيماً بل كان صورة تعدٍّ وإيذاء .

كما يعرفه آخر بأنه : تجسيد الطاقة أو القوى المادية في الإضرار المادي بشخص آخر .

بينما يعرفه آخر بأنه الجرائم التي تستخدم فيها أية وسيلة تتسم بالشدة للاعتداء على شخص الإنسان أو عرضه ، ولا يتحقق العنف في جرائم الاعتداء على الأموال باستخدام الوسائل المادية .

وعليه ، فإن تعريف العنف في التشريعات الجنائية : **هو كل مساس بسلامة جسم المجني عليه ، من شأنه إلحاق الإيذاء به والتعدي عليه .**

## العنف في التشريع الإسلامي :

حين نتتبع أقوال العلماء والفقهاء لتحديد معنى العنف فقهياً نجد أن الفقهاء - بكل طبقاتهم وأطوارهم التاريخية ـ لم يميزوا بين مقولة الإكراه ومقولة العنف ؛

فهي تستخدم بوصفها من المترادفات .

وهكـذا نجد أن معنى العنف في الفقه الإسلامي يتحقق باستخدام وسائل مادية تؤثـر فـي جسـم المجنـي علـيه مباشـرة ، وتلحـق بـه الأذى ، كمـا يـتحقق بالقول وبالتهديد وبالترك وبالمنع متى انتهى إلى إلحاق الأذى بجسم المجني عليه .

## العنف من منظور اجتماعي:

يعـرف العـنف بأنـه : الإيـذاء بالـيد أو باللسـان او بـالفعـل أو بكلمـة في الحقل التصـادمي مـع الآخـر ، ولا فـرق فـي ذلك بين أن يكون فعل العنف والإيذاء على المسـتوى الفـردي أو المستوى الجماعي . فلا يخرج في كلتا الحالتين من ممارسة الإيذاء سواء باللسان أو اليد .

فالعـنف سـلوك إيذائـي ، قوامـه إنكـار الآخـر كقـيمة متماثلة للأنـا أو للنحن ، كقـيمة تستحق الحياة والاحترام ، ومن مرتكزه استبعـاد الآخر عن حلبة التغـالـب ، إمـا بخفضـه إلـى تابع ، وإما بنفيه خارج الساحة (إخراجه من اللعبة) وإما بتصفيته معنوياً أو جسدياً .

وعلـيه فـإن العـنف هـو واقعـة اجتمـاعـية تاريخـية ، ينـتجها الفـاعل الفـردي (المتسـلط الأنـوي ) مثلمـا ينتجهـا الفـاعل الجمعي (المتسلط الجمعي) في سباق التصـارع علـى الامـتلاك الأنـوي أو الجمعـي للآخريـن ، وفـي غـياب أي إنتظام علائقي من النوع الديمقراطي أو المساواتي العضوي .

ويعـرف «لوكـا» في مؤلفه (آليات منطق العنف ) بأنه (مفهوم يدل على انفجار القـوة التـي تعتدي بطريقة مباشرة على الأشخـاص وأمتعتهم ، سواء أكانوا أفراداً أو جماعـات ، مـن أجـل السيطرة عليه عن طريق القتل او التحطيم أو الإخضاع أو

الهزيمة) .

فالعنف في المنظور الاجتماعي : هو كل إيذاء بالقول أو بالفعل للآخر ، سواء كان هذا الآخر فرداً أو جماعة .

وعملية الإيذاء تارة تكون فردية ، حيث يقوم شخص ما باستخدام اليد أو اللسان بشكل عنيف تجاه شخص آخر ، ويصطلح على هذه العملية بـ(التسلط الأنوي) ، وتارة يكون العنف جماعياً (المتسلط الجمعي) إذ تقوم مجموعة بشرية ذات خصائص مشتركة ، باستخدام العنف والقوة وسيلة من وسائل تحقيق تطلعاتها الخاصة أو تطبيق سياقها الخاص على الواقع الخارجي .

وفي كلتا الحالتين لا تكون ظاهرة العنف والتعصب بمعزل عن الموجبات الاجتماعية والمسارات التاريخية ـ التي خلقت هذه الظاهرة في الوجود الاجتماعي.

لهذا فهي ظاهرة لا تقبل التبسيط والتسطيح ، لأنها وليدة مجموعة عوامل وأدوات مركبة .

وعلى المستوى النظري والفكري ، نجد أن أغلب حالات العنف هي :

وليدة معرفية تجريدية ، على موروث ذهني جاهز ، قوالب مصممة عن الآخرين : الوثن الذهني ، بكل أولياته ومفاعلات ارتباطه ، يحل أو يقترن بالوثن المادي . الآخر يوضع في القالب المجهّز ، على منوال قاطع الطرق الأسطوري ، بروكست ، الذي كان يخطف (الآخر) من قارعة الطريق ، ويضعه فوق سرير (رمز للقالب الجاهز) فإذا كان المخطوف أطول من سريره ضغطه حتى يتناسب مع طوله ، واذا كان اقصر منه مطه ليناسبه ، وفي الحالتين المخطوف ضحية مزدوجة :

ضحية خيار الفاعل العنفي (الخيار الواعي أو اللاواعي) وضحية أدواته الجاهزة.

والعنف بوصفه ظاهرة فردية أو مجتمعية، هو تعبير عن خلل ما في سياق صانعها، إن على المستوى النفسي أو على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي. دفعه هذا السياق الذي يعانيه نحو استخدام العنف متوهماً أن خيار العنف والقوة سيوفر له كل متطلباته أو محققاً له كل أهدافه. وفي حقيقة الأمر أن استخدام العنف والقوة في العلاقات الاجتماعية تحت أي مسوغ كان يعد انتهاكاً صريحاً للنواميس الاجتماعية، التي حددت نمط التعاطي والتعامل في العلاقات الاجتماعية، لأن العنف على المستوى المجتمعي يعني ـ على حد تعبير خليل أحمد خليل ـ أن يغتصب (صانع العنف) أدوات صراعية وصدامية من أجل أن يتمكن (كما يرى) من البوح برأيه، والتعبير عن مكنون خاطره وفكره ...

لهذا فإننا نرى العنف من الأسلحة الخطيرة التي تقوض الكثير من مكاسب المجتمع، وانجازات الأمة والوطن، لأن العنف بتداعياته المختلفة، وموجباته العميقة والجوهرية، سيصنع جواً وظروفاً استثنائية وغير مستقرة، تعرقل الحياة الاجتماعية والسياسية والتنموية.

ونظرة واحدة الى الكثير من البلدان التي تحول العنف المضاد الى ثابتة من ثوابت الفضاء السياسي والمجتمعي فيها، نجد أن العنف بتداعياته ومتوالياته الكثيرة هو أحد الأسباب الرئيسة لإخفاق مشاريع التنمية الاجتماعية والسياسية، لأن عسكرة الحياة المدنية تفرض واقعاً عاماً ووحيداً، هو واقع العنف والعنف المضاد؛ لأنه حينما تنعدم الحقوق الطبيعية للحياة الإنسانية المدنية تتحول هذه الحقوق إلى سياسة مكبوتة؛ إذ تنزل من ساحة العلن، ومن مجال التفاعل الحر

بين الإرادات والمصالح والمثل العامة إلى أقبية الكبت ، وتهرب من النور ، وتدخل دهاليز الحرمان . هناك تتابع نموها غير الطبيعي ، دون أية مراقبة مشروعة، ومن هنا كانت صيغة الدولة المتغربة المستعارة كعصبية جديدة تضاف الى العصبيات التقليدية ، يشل في الواقع نمو المشاركة الجماهيرية الأوسع ؛ إذ يبني في النهاية (الدولة ـ الفئة) ضد مشروع (الدولة ـ الأمة) الذي وحده يناط به إلغاء السلطات التقليدية ، وصهرها في بوتقة المشاركة الأشمل .

فإن (الدولة ـ الفئة) تحرض ضدها مختلف القوى الفئوية الأخرى التي تجد نفسها مهددة في مصالحها الحيوية ، وبالتالي فهي مضطرة للكفاح من أجل بلوغ العنف بطرق العنف المتاحة .

هكذا يتعسكر المجتمع بكامل فئاته وطوائفه ؛ إذ يأخذ الصراع بينهما شكل الإعدام المتبادل ، الذي يحول التناقضات الرأسية فيه الى مستوى التناقضات الأفقية ، فيقيم الحواجز النفسية والإيديولوجية الحادة الحاسمة حتى فوق الأرض الواحدة المشتركة وبين أبناء المجتمع الواحد ، وتفرز هذه الحواجز النفسية والأيديولوجية حدوداً مادية وإستراتيجية ، تحول فئاتها الى ما يشبه الجيوش المعبأة بالقوة أو بالفعل .

وهنا تتحول الحياة الاجتماعية في نظر صانع العنف إلى حياة مرضية ، تكثر فيها الميكروبات ، وتتفشى فيها الأمراض والأزمات ، ويضطرب فيها السلوك الاجتماعي ، وتتشكل كل الظروف وعوامل الخصب لنمو ظاهرة العنف في العلاقات الإجتماعية .

## العنف والثقافة :

لعلنا لا نأتي بجديد حين نقول : إن هناك ترابطاً عميقاً بين مظاهر العنف وأدواته المستخدمة ، والثقافة التي توجه الإنسان وتتحكم في سلوكه الخاص والعام .

فالعنف من حيث هو أذى باليد أو باللسان إنما يرتكز على مسوغات وطاقات ودوافع يمكن تعيينها في تداوب الطاقة العنفية وثقافة العنف . فهذا التداؤب أو العلاقة العضوية هي التي تساعدنا على إكتشاف المساحة المشتركة والعلاقة المباشرة بين الثقافة والعنف .

فالإنسان القادر على فعل العنف قادر أيضاً على عدم فعله . وسلوكه هذا مشروط ليس فقط بالقدرة على الفعل بل متوجه ومحدود أيضاً بالظروف التي تسمح بالفعل العنفي أو لا تسمح به .

فالفعل العنفي هو نتاج جملة من الحالات والعوامل المتداخلة والمركبة مع بعضها بعضاً والتي تتسع للعوامل والشروط الذاتية ، كما تتسع للعوامل والظروف الموضوعية . فطبيعة الثقافة هي التي تحدد - إلى حد بعيد - طبيعة فعل اليد أو اللسان ؛ فإذا كانت الثقافة عنفية يتحول اللسان إلى أداة للأذى بكل صنوفه وأشكاله ، واليد إلى ممارسة القتل والتدمير وكل أشكال العنف المادي .

أما إذا كانت الثقافة تحتضن مفاهيم الرفق والعفو والتسامح ؛ فإن اللسان يتحول الى مبشر بهذه القيم والمضامين ، وتكون اليد معطاءة ومبادرة لفعل الخير.

فالفعل العنفي هو نتاج لحالات من التوتر الفارد أو الجامع ، وفي كل فعل يتلازم الخير والشر ، اللاعنف والعنف ، إذا أخذنا بالاعتبار وضع الفاعل والقابل

ونسبة الفعل وتفسيره وحتى لا نخفض السلوك العنفي إلى مجرد مقولة أو مصادرة فلسفية ، نقول : إنه ظاهرة اجتماعية واقعة ، تجد تفسيرها في التاريخ الإنساني ذاته وفي تواجه الطاقات النفسانية والاجتماعية والاقتصادية ، أي طاقات القوة نحو تنازع الوجود وتغالب الإرادات ومما لا ريب فيه أن الفرد أو الجماعة يكتسبان السلوك العنفي ـ اللاعنفي من خلال الثقافة التي توجه المجتمع ، وتحكمه أو لا تحكمه من خلال أدوات الضبط العنفي ومعايير سلوك قيم السياسة.

فالمحبط أو العاجز أو المخفق ، بصرف النظر عن دوافع وأسباب ومستويات الإحباط او العجز أو الإخفاق فإنه سيجد نفسه بحاجة الى اكتشاف أو تصور مسوغ للحالة التي يعيشها .

ومثل هذا المسوغ يجده في التاريخ ، وفي التراث وفي السياسة ، وفي الراهن لدى آخرين ، لكنه يعبر عنه ، في كل الحالات من خلال ثقافته .

ومن هنا تبرز أمامنا مظاهر العنف في الخطاب والرؤية الثقافية ، كاغتيال الشيء بواسطة الكلمة (إغتيال الشخص إنطلاقاً من اغتيال سمعته ، صفاته معاييره، قيمه ... الخ )

فالعنف بوصفه ظاهرة مجمتعية ، له جذوره الثقافية وموجباته المعرفية ولا يمكن معرفة هذه الظاهرة حق المعرفة إلا من خلال معرفة الجذور والحواضن الثقافية للعنف .

## العنف والعدوان :

على المستوى الواقعي يتداخل مفهوم العنف مع مفهوم العدوان ، بحيث من

الصعوبة بمكان تحديد التمايزات الدقيقة بين العنف والعدوان .

فالعدوان يعرف بأنه مجموعة متنوعة من مظاهر السلوك تراوح بين مجرد إغاظة الآخرين ، أو إبداء العداوة نحوهم الى الاعتداء الفيزيقي .

ويشير (زيلمان) في مؤلفه (العداوة والعدوان) إلى تعريف العدوان بأنه (نشاط يسعى من خلاله شخص أن يحدث أذى جسمانياً أو ألماً فيزيقياً لشخص آخر ، يكون مدفوعاً إلى تجنب هذا السلوك ، أو أنه سلوك يحاول أن يحقق هدفاً معيناً يتحدد في إيذاء شخص آخر )

ومن خلال التعريفات المذكورة آنفاً للعنف ، نستطيع القول : إن بعض تعريفات العدوان هي بعض مضامين العنف .

من هنا نستطيع القول : إن العدوان من المفاهيم العامة التي تستوعب غيره من أنواع السلوك الإنساني . وبتعبير أدق ؛ فإن العنف هو السلوك البارز والظاهر لميل الانسان الفرد أو الجماعة الكامن للعدوان .

## العنف والإرهاب :

من الصعوبة بمكان أيضاً تحديد الفروقات الدقيقة بين مفهومي العنف والإرهاب ؛ إذ إن مضمونهما واحد . ولعل الفرق الدقيق بينهما يعود الى الدوافع والأهداف المرجوة من فعل العنف ، أو فعل الإرهاب .

إن العنف بكل مستوياته وأشكاله ليس وليد الصدفة ، وإنما هو نتاج عوامل وأسباب عديدة .

من أهم العوامل والأسباب التي تؤدي الى نشوء ظاهرة العنف وبروزها في الفضاء الاجتماعي والسياسي العربي هي :

### * الأسباب الدينية ـ الثقافية :

إن مشـهد العنف المعاصر في الفضاء العربي تقوده جماعات وتنظيمات تنتسب الـى الإسـلام ، وتـرفعه شـعاراً ومشـروعاً لأجـندتها وأهدافها . وحين التأمل العميق فـي هـذه الظـاهـرة ، نكتشـف أن القراءة الدينية أو الفهم الديني لهذه الجماعات ، هـو عامل من عوامل جنوح هؤلاء إلى الأخذ بأسلوب العنف . (وليس معنى هذا ـ ولا ينبغـي أن يفهـم مـنه ـ أن العـنف يجد جذوره أو مرجعه في العقيدة الإسلامية على نحو مـا يذهب الى ذلك كثيرون !).

بـل معـناه أن نسـق القـيم المتشـبع بالدين ـ لدى المجتمعات العربية ـ يجد نفسه أحياناً فـي صـراع مع مـنظومات جديدة من القيم ، ويجد عسراً في التكيف معها فـيرجمها قسـم مـن المجـتمع بالـبدعة والانحـراف عـن محجـة الـنظام الدينـي والأخلاقـي ، فيمـا يجنح بعض منهم الى انتخاب النفس لدور رسولي ، فتراه يكفر المجـتمع الجاهلـي الجديـد ، بعـد تكفـيـره الدولـة ، وينصرف الى إنفـاذ الأمـر الإلهي بوجوب إقامة الحد على الظلال وتحديداً من عتبته القصية : الجهـاد .

ومع العلم أنه لم يحصل أن وقع ـ أو انعقد ـ إجماع بين سائر الإسلاميين العرب علـى وجوب النهوض بـ (الفريضة الغائبة) أي الجهاد ضد الدولة والمجتمع ، بل علـى الـرغم مـن تصـدي مثقفين إسلاميين وعلماء دين كبار لمهمة دحض دعوى الجهـاد ضـد المسـلمين تحـت أي ظـرف ، واعتبـارها شططاً وغلواء في النظر الى الدين واستقراء أحكامه ، إلا أن ذلك لم يغير من الحقيقة شيئـاً .. والحقيقة هي أن دم الـناس يسفك يومياً بفتاوى رجال يشك في مدى حجتهم الدينية وفي أن الذي أرادوه جهاداً بات ينذر بالصيرورة فتنة .

وليس من شك أن هذه الرؤية المتطرفة تتغذى من طبيعة الاختيارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة في المجتمع العربي المعاصر .

هذه الاختيارات التي تركت تأثيراتها العميقة في الفضاء العربي على المستويات النفسية والإجتماعية والثقافية ، مما دفع البعض إلى الانكفاء والعزلة وبناء جزر اجتماعية معزولة عن الفضاء العام . وكانت هذه الجزر وهذه العزلة تتغذى باستمرار من رؤية دينية ضيقة تسوغ هذا الخيار ، وهذه الممارسة ، وتشرع لعملية الرفض بكل صوره للواقع القائم بكل خياراته ووقائعه .

من هنا لا علاقة للدين بالأمر من حيث هو نصوص ووقائع قابلة للتأويل ، أما إذا كان ثمة خلل ، فالبحث فيه ينبغي أن ينصرف الى صاحب التأويل والى ظروف هذا التأويل .

### * الأسباب السياسية

عديدة هي المؤشرات والحقائق التي تؤكد أن المشهد السياسي العربي يعيش الكثير من المشكلات البنيوية والهيكلية التي لا تؤثر على راهن العرب فحسب بل على مستقبلهم ومكاسبهم الحضارية .

وبسبب هذه الأزمات والمشكلات البنيوية التي يعانيها المشهد السياسي العربي، تعمل الكثير من النظم والمؤسسات على ممارسة أنواع العنف كلها لتجاوز نقاط الضعف البنيوية وبدلاً من أن تبحث هذه المؤسسات عن حلول حقيقية وواقعية لهذه الأزمات ، فإن استخدامها للعنف يفاقم من المشكلة ، ويوفر لها المزيد من أسباب وعوامل الحياة .

(ومن الطبيعي تماماً أن ينتهي إقفال الحقل السياسي أمام المجتمع ، بأعمال

القمع وتقييد الحريات وهضمها إلى دفع هذا المجتمع إلى سلوك مسارب أخرى للتعبير عن مصالحه وحقوقه وإلى ممارسة الاحتجاج على التسلط الدولتي المتغول أي على العنف الرسمي بعنف مضاد ، قد يستعيد فيه المجتمع مخزونه الرمزي وتقاليد المقاومة لديه ـ وقد جربها حديثاً مع الاحتلال ـ لتحصيل حقوقه. وينبغي أن ندرك تماماً معنى أن يشعر قسم من المجتمع بالغبن والاضطهاد، ويفقد الثقة في العملية السياسية برمتها ، وفي مدونة النزاعات والمنافسات السلمية، وخصوصاً حينما يكون مرجعه الثقافي عسير الانفتاح على منظومة السياسة الحديثة).

فرؤية متزنة وواعية ورشيدة للكثير من نماذج العنف في الفضاء العربي تجعلنا نعتقد أن هناك أسباباً سياسية مباشرة لبروز هذه الظاهرة وهذا بطبيعة الحال لا يسوغ ممارسة العنف ، ولكننا بحاجة إلى تحديد دقيق لأسباب هذه الظاهرة .

ولا ريب أن وجود توترات ظاهرة أو كامنة بين الدولة والمجتمع في الفضاء العربي ، يساهم عبر تأثيراته ومولداته في بروز ظاهرة العنف وتجارب الحروب الأهلية المؤلمة التي جرت في بعض البلدان العربية تؤكد بشكل لا لبس فيه تناقض الخيارات الكبرى بين السلطة والمجتمع يقود في المحصلة النهائية لنشوء ظاهرة العنف وبروزها .

وقد عبر هذا التناقض والتدهور عن أعلى تجلياته المادية ، في انفلات غرائز العدوان المتبادل بين مكونات الحقل السياسي في مشاهد متلاحقة من العنف والإقصاء المتبادل ، إلى درجة باتت فيها العملية السياسية عاجزة ـ أو تكاد ـ عن أن تعبر عن نفسها في صورة طبيعية أي كفعالية تنافسية سلمية ، وإلى الحد الذي كاد فيه العنف ـ المادي والرمزي ـ أن يتحول إلى اللغة الوحيدة التي يترجم بها

الجميع مطالبه ضد الجميع .

(وعلم الاجتماع السياسي المعاصر يفرق اليوم بين الدولة القمعية ، ويرى أن الدولة التي تلتحم في خياراتها ومشروعاتها مع مجتمعها وشعبها هي الدولة القوية، حتى لو لم تمتلك موارد طبيعية هائلة . فالدولة القوية حقاً هي التي تكون مؤسسة للإجماع الوطني وأداة تنفيذه ، وتنبثق خياراتها وإرادتها السياسية من إرادة الشعب وخياراته العليا .

ولا ريب أن الدولة القمعية ـ بتداعياتها ومتوالياتها النفسية والسياسية والاجتماعية ـ هي من الأسباب الرئيسية في إخفاق المجتمعات العربية والإسلامية في مشروعات نهضتها وتقدمها لأنها تحولت الى وعاء كبير لاستهلاك مقدرات الأمة وإمكاناتها في قضايا غير مهمة ومارست التعسف والقهر لمنع بناء ذاتية وطنية مستقلة) .

فالإخفاق السياسي ـ سواء على صعيد مؤسسة الدولة أو مؤسسات المجتمع ـ دفع باتجاه النزوع الى التعبير عن الأهداف والغايات والمصالح بالعنف المادي والرمزي بحيث إن غياب العلاقة السوية والعميقة بين السلطة والمجتمع دفع الأولى في المجال العربي إلى تبني خيارات ومشروعات فوقية ـ قسرية ، وبفعل ذلك لجأت السلطة في العديد من مناطق العالم العربي إلى أدوات العنف لتسيير مشروعاتها وإنجاح خططها الاجتماعية والاقتصادية .

وفي المقابل فإن المجتمع في ظل هذه الظروف يعبر عن نفسه وخياراته بامتلاك أدوات العنف وإستخدامها .

فيتحول الفضاء السياسي والاجتماعي العربي ، من جراء هذا التوتر والتباين

إلى وعاء للعديد من النزاعات المجردة من القيم الإنسانية والأخلاقية واللاهثة صوب مصالح آنية وضيقة .

وفي أحشاء هذا التوتر تترعرع مشاريع العنف والإقصاء ، وتتسع دائرة التناقض والتصادم وتزيد فرص الانتقام وممارسة العسف بحق الآخر .

وهكذا نصل إلى مسألة أساسية ؛ وهي : أن أحد الأسباب الرئيسية لبروز ظاهرة العنف ، هو غياب حياة سياسية سليمة ومدنية في العديد من بلدان العالم العربي .

لذلك من الأهمية بمكان أن نرفض الاستئثار والتوحش في السياسة مهما كانت الإيديولوجية التي تسوغ له ذلك ، ونقف ضد التنابذ والإقصاء مهما كان الفكر الذي يقف وراءه .

وإن النهج السياسي المعتدل ، الذي يتعاطى مع الأمور والقضايا والحقائق السياسية والاجتماعية بعقلية منفتحة ومتسامحة هو القادر على ضبط نزاعات العنف ، وهو المؤهل لمراكمة الفعل السياسي الراشد في المجتمع .

*** الأسباب الاقتصادية - الاجتماعية**

لو تأملنا في وقائع العنف في المجال العربي لاكتشفنا ، ودون عناء وصعوبة ، أن إخفاقات التنمية والتفاوت الصارخ في مستويات المعيشة والبطالة وتدني مستويات الحياة والعيش الكريم ، من الحقائق التي تساهم في بروز ظاهرة العنف في المجال العربي .

لذلك نلحظ ، بوضوح وفي العديد من الدول ، أن القاعدة الاجتماعية التي تعتمد عليها جماعات العنف ، وتوفر لها الكادر البشري والحماية ، هي مدن الصفيح وأحزمة البؤس التي تضرب طوقاً رمزياً ومادياً على كبريات المدن

العربية.

فالـتدهور الاقتصـادي يقـود الـى تصـدعات اجتماعـية خطـيرة ، وبدورهـا (التصـدعات الاجتماعـية) ، توفـر كـل مسـتلزمات بـروز ظاهرة العنـف في الفضاء الاجتماعـي . فلـيس مستغرباً أن تـتحول حـالات التهمـيش الاقتصادي إلى قنبلة قابلـة للإنفجار . فماذا ننتظر من ذلك الإنسان الذي لا يملك أدنى ضرورات حياته، ويفـتقد إلـى نظام الرعاية والحماية الاجتماعية ودولاب الحياة المتسارع يزيد من ضنكه وصعوباته .

فالمجـتمعات المهمشـة التـي تعـيش الضـنك فـي كـل مـراحل حـياتها ، هـي مجـتمعـات مريضـة لأنهـا ببسـاطة لا تحـيا حـياة طبيعـية . والمجـتمع الـذي تعيشه سـلوكه العام مضطرب تغشاه الأزمات الفجائية في كل مجال تتفجر أحداثه العامة بشـكل هـبّات وانحـرافات جماعـية ، ولا يـبقى له وسـيلة للتعبـير عـن معاناتـه إلا بإسـتعارة أسـاليب القمـع الممارسة ضده ذاتها . إنه المجتمع المرشح للعنف بكافة أشـكاله وأدواتـه والمتقـبل لكـل الأفكـار والإيديولوجيات التـي تخاطب جمهور المحرومـين والمقموعـين . فالفقـر لا يقـود الـى الاسـتقرار ، والبطالة لا تؤدي الى الأمن ، بل إنهما الارضية الاقتصادية الاجتماعية لبروز حالات التمرد والعنف .

إن ظاهـرة العـنف فـي المجـال العربـي هـي ظاهـرة مركبة ، نشأت عن اجتماع جملـة مـن العناصـر والأسـباب وتضـافرها علـى النحو الذي لا يمكـن إرجاع هذه الظاهـرة إلـى سـبب أو عنصـر واحـد دون سـواه . ولا يمكـن فهم هذه الظاهرة إلا ضمـن شبكة العوامل والأسباب التي أفضت إلى بروزها وأدت الى ظهورها .

## العنف والإرهاب :

إرتبط ظهور الإرهاب بظهور المجتمع الطبقي ، أي عندما انقسم المجتمع الى طبقتين رئيسيتين ، طبقة تملك السلطة وكل وسائل الانتاج ، وطبقة محرومة ومضطهدة ومستغلة ومجبرة على بيع قوة عملها من أجل العيش والبقاء وقد ظهر الإرهاب السياسي والاقتصادي والعسكري بظهور الملكية الخاصة لوسائل الانتاج وأن الحروب غير العادلة نابعة من طبيعة المجتمع الطبقي أي من أساسه الاقتصادي ـ الاجتماعي المتمثل بالملكية الخاصة لوسائل الإنتاج ، إذ جاء في إحصاء لليونيسكو أنه خلال ٣٤٠٠ عام من التاريخ المدون للمجتمع لم تعش البشرية إلا ٢٣٤ عام بدون حروب !!

ظهر العنف في المجتمع العبودي والإقطاعي والرأسمالي وارتبط تطوره شكلاً ومضموناً بتطور الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، وبلغ الإرهاب السياسي والاقتصادي والايديولوجي والإعلامي والعسكري ... ذروته في النظام الرأسمالي وخاصة في مرحلته المتقدمة - الإمبريالية العالمية فالعالم يواجه اليوم إرهاباً إمبريالياً عالمياً تقوده الإمبريالية الأمريكية وحلفاؤها بهدف السيطرة على العالم وقيادته .

## العنف والإرهاب في القانون الدولي :

إن الحديث عن الإرهاب والمواثيق الدولية المعنية بمكافحة الإرهاب الدولي من خلال نظرة تحليلية يستدعي بالضرورة بداية التمييز ما بين المقاومة وما بين الإرهاب نظراً للتضارب الحاصل في تعريف هذين المفهومين .

فبعد الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ تفجرت موجة عارمة من الإرهاب الدولي لم تقتصر على استهداف الدول الغربية بل تعدتها لتطال ايضاً الدول العربية والإسلامية بحيث بات من الممكن القول إن هناك عولمة للإرهاب أسوة بالعولمة الاقتصادية التي ظهرت ملامحها في بداية التسعينات مع سقوط جدار برلين وتفكك جمهوريات الاتحاد السوفياتي وتقهقر الايديولوجية الاشتراكية بالمفهوم الشيوعي .

وظن الإرهابيون الأصوليون أنهم عبر اللجوء إلى العنف والتدمير والقتل والتفجير إنما يؤرخون لمرحلة جديدة من الصراع الدولي حيث اعتبروا أن القوى الرأسمالية تقف في خندق ، ويقف في مواجهتها في الخندق المقابل دعاة الإسلام من الذين فسّروا تعاليم وشرائع هذا الدين الحنيف بما يخدم توجهاتهم وتطلعاتهم ، وبما يحقق مآربهم وغايتهم الذاتية .

ولقد سمح هؤلاء لأنفسهم أن يصنّفوا دول العالم كما يشاؤون ما بين عدو وصديق ، وعمدوا عبر بياناتهم وأطروحاتهم الإيديولوجية وأنشطتهم الإعلامية إلى تكريس هذا التصنيف مستهدفين من وراء ذلك التأثير على العامة من المسلمين ممن يملكون ثقافة دينية محدودة .

## التميز بين الكفاح المسلح لحركات التحرير الوطني والإرهاب الدولي :

فلقد أكدت قرارات الجمعية العامة وأعمال اللجنة الخاصة المعنية بالإرهاب على شرعية الكفاح المسلح لحركات التحرير الوطني ، وقد تم تدعيم هذا المبدأ القانوني والتميز بينه وبين الإرهاب الدولي في الاتفاقيات الدولية ، فقد اعتبرت الاتفاقية الدولية لمناهضة أخذ الرهائن التي أقرتها الأمم المتحدة في ديسمبر أن

أي شخص يقبل علـــى شخص آخر الرهينة ويحتجزه ويهدد بقتله او إيذائه أو استمرار إحتجازه من أجل إكراه طرف ثالث سواء أكان دولة أو منظمة دولية حكومية أو شخصاً طبيعياً أو اعتبارياً أو مجموعة من الأشخاص على القيام أو الامتناع عن القيام بفعل معين كشرط صريح أو ضمني للإفراج عن الرهينة يرتكب جريمة أخذ الرهائن بالمعنى الوارد في هذه الاتفاقية .

إنطلاقاً من هذا يتضح أن الامم المتحدة لم تحرز أي تقدم نحو تعريف الإرهاب الدولي أو التوصل إلى اتفاق بشأن كيفية مواجهة الأعمـــال الإرهابية ومكـــافحتهـــا ، فقد تضمنت قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ذات الصلة عبارات عامة لا يمكن بموجبها التوصل إلى صيغة مشتركة لتوحيد الإجراءات التي يجب اتخاذها في مـواجهة الإرهاب . ولعل ذلك يرجع الى التباين الشديد في وجهات نظر الدول فيما يتعلق بالجوانب القانونية للإرهاب الدولي وعدم اتفاقها على العناصر المكونة لتلك الجريمة .

هناك إذاً انقسام عميق في المجتمع الدولي حول تعريف الإرهاب الدولي فعلى الرغم من أن الأفعال الإرهابية تشمل تهديداً لأمن وسلامة واستقرار المجتمع الدولي واستفزازاً خطيراً لمشاعر الإنسانية والضمير العالمي وعاملاً من عوامل التوتر في العلاقات الدولية مما يجعل من الضروري اعتبار هذه الأفعال بمثابة جرائم دولية ضد أمن وسلامة البشرية إلا انه ما زال هناك تباين شديد في وجهات النظر بين أعضاء المجتمع الدولي حول تعريف المقصود بمصطلح الارهاب الدولي .

إلا أنه مع ذلك يمكن تصنيف دوافع الإرهاب الدولي وأسبابه إلى اتجاهات

رئيسية أهمها الدوافع السياسية والاقتصادية والإعلامية .

أما عن تحديد المسؤولية عن أعمال الإرهاب الدولي فإن النظام القانوني الدولي يتكون من مجموعة من القواعد والمبادئ القانونية التي تحدد حقوق وواجبات الدول وتنظم سلوكها .

## المواثيق الدولية المعنية بمكافحة الارهاب:

أما عن المواثيق الدولية المعنية بمكافحة الإرهاب فمنذ بداية القرن العشرين إنشغل العالم بإعداد المواثيق لمكافحة الارهاب ، وصاغ الاتفاقيات الدولية المعنية بمكافحة الإرهاب كما صاغ بهذا الصدد عدة اتفاقيات أبرزها اتفاقية جنيف لمنع ومعاقبة الارهاب .

## اتفاقية جنيف :

تتميز هذه الاتفاقية بأنها تتناول بالتحديد مجموعة الأفعال المكونة للارهاب والتي تشكل جرائم يعاقب عليها طبقاً لنصوصها كما توضح الاتفاقية هذه الجريمة والتدابير الوقائية والإجراءات الجنائية لمنع الإرهاب ومعاقبة مرتكبيه .

ولم تدخل اتفاقية جنيف حيز التنفيذ بسبب عدم التصديق عليها من جانب الدول الموقعة ، ولم يصدق عليها إلا دولة واحدة هي الهند .

ومع ذلك فالاتفاقية تُعد أول محاولة جادة لمعالجة ظاهرة الإرهاب على المستوى الدولي .

ثم هناك الاتفاقية الأوروبية لقمع الإرهاب العام والاتفاقية الدولية لمناهضة أخذ الرهائن الموقعة في نيويورك .

وهناك أيضاً الاتفاقية المتعلقة بقمع التدخل غير المشروع في خدمات الطيران

المدني الدولي بعد أن تزايدت أعمال العنف ضد الطيران المدني .

# العنف في العقيدة اليهودية

سماحة الشيخ إبراهيم البدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين ، وصحبه المنتجبين .

## تمهيد

العنف والشدة والقسوة مرادفات لا تكاد تخلو منها لغة ، ولا يستغني عنها زمن أو شعب أو أمة . إنها من ضروريات الحياة ، بل هي إحدى وسائل المحافظة على العيش على وجه هذه الأرض ، وقد زود الله تعالى الإنسان بقوة الغضب ، وأمده بالقوة الجسدية ليتمكن من الدفاع عن نفسه ، ولو باستخدام العنف ، فيما إذا تعرض لأي خطر يمكن أن يهدد حياته ، ولولا هذه النعمة لانقرض الإنسان منذ أزمان بعيدة .

ومنذ القدم استخدمت الأمم المختلفة العنف في الدفاع عن أنفسها ، ثم طورت الأمر لتستخدمه في توسيع سلطانها وبسط نفوذها على الآخرين ، فأسرفت بعض الأمم في استخدام العنف أيما إسراف .

وفي مقابل ذلك كان هناك من وقف على الطرف النقيض من ذلك ، فأسرف في استخدام السلم ، واللاعنف ، وبادل الأذى بالسكوت ، والإجرام بالغفران ، حتى لعبت به الرياح ، وتناولته يد القتلة والأشرار ، وهذه نتيجة طبيعية لكل مواجهة تحصل بين الذئاب وقطيعٍ من الحملان ليس بينها كلب شرس يدافع عنها بأنيابه ومخالبه ، وقد عبرت كلمات الشاعر أبي الأسود الدؤلي عن هذه الحقيقة

حين قال :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له    وتتقي صولة المستأسد الحامي

فمن لم يستخدم العنف للدفاع عن نفسه لا يستطيع أن يحميها ، ولا أن يحافظ على وجوده ، وقديما قال الشاعر العربي زهير بن أبي سلمى :

ومن لم يَذُد عن حوضه بسلاحه    يهدم ومن لا يظلم الناس يُظلم

ولكن العنف والقسوة ليسا سوى وسيلة دفاع عن النفس طلباً للحياة ، فيدور أمر استخدامهما مدار تحقيق الحياة ، فإذا صارا سبباً للموت والانعدام لم يعد لهما من معنى .

ومع ذلك فإنهما ليسا الوسيلة الفضلى لتحقيق هذا الهدف أو غيره من الأهداف في مقابل الوسائل السلمية، فقد يكون السلم محققاً للحياة أفضل بكثير من العنف، فلا يبقى للعنف دور إلا دور دفاعي محدود جداً ، يمكن معه تشبيهه بالدواء المر.

وعليه يمكن القول : مشروعية استخدام العنف تقتصر على صورة واحدة ، وهي عندما تعجز الوسائل السلمية واللين والحوار من تحقيق أهداف مشروعة ومحقة إنسانياً ودينياً .

من هنا عندما نجد من يفرط في استخدام العنف ، في محله وغير محله ، نشعر تجاهه بمشاعر البغض وربما الحقد ، ونتعامل معه معاملة الاحتقار والازدراء ، وهو بدوره قد يخيف الناس كلهم منه ، ولكنه لن يتمكن من نيل احترامهم وتقديرهم، ولا أن يزرع محبته في قلوبهم . إنه حالة شاذة وبغيضة في المجتمع ، يترقب الجميع فرصة التخلص منه لينقضوا عليه بلا رحمة .

## مدخل إلى موضوع البحث

ربما نجد أمماً كثيرة مرت في تاريخ البشرية الطويل مارست العنف ، والتقتيل، وأحرقت الأراضي ، وأفسدت البيئة ، وقضت على الحيوانات ، ولم توفر من شرها حتى الأطفال والحوامل والمرضى والشيوخ، ولكن لم يبلغ الأمر بأية أمة من هذه الأمم أن جعلت ذلك عقيدة لها أدخلته ضمن التعاليم المقدسة التي تنسبها إلى إلهها .

الأمة الوحيدة التي فعلت ذلك هي أمة بني إسرائيل ، أي اليهود . فالمعروف تاريخياً أن الأمم التي اشتهرت بالعنف كانت تبرر أفعالها البربرية التي صدرت عنها بالضرورة والاضطرار، ثم تحاول العمل جاهدة على ستر ما صدر عنها ، وتحاول بكل الوسائل محو هذه الصورة القبيحة التي لحقت بها ، فتسعى إلى إعادة كتابة التاريخ على نحو جديد لا تظهر فيه دمويتها وإجرامها وعنفها.

إذن هي تتبرأ من فعلها لأنها تراه قبيحاً . ولا أحتاج أن أضرب على ذلك الأمثلة فيمكنك استقراء التاريخ ، من العهد القديم والحضارات البائدة إلى الروم والفرس مروراً بالمغول والتتار وانتهاء بأمريكا التي تمارس أسوأ أنواع العنف والإرهاب ، ولكنها تقدمه على أنه الحضارة والديمقراطية والحرية ، وتتبرأ – ولو لفظياً – من كل ما يسمى الإرهاب والتعذيب والعنف والتقتيل .

أما اليهود فإنهم يمتازون عن سائر الشعوب في أنهم يمارسون العنف ، ويبررونه ، لا بالضرورة، وإنما بما هو مقدس وسماوي ، أي ينسبونه إلى الله تعالى بزعم أنه هو من أَمَرَهم به . وهنا تكمن الخطورة ، إذ هنا تنقلب المفاهيم ، وتنحط القيم ، ويصبح الشر مأموراً به ، بل مقدساً . ومن المؤكد الذي لا يعتريه الريب أنه

ليس هذا شأن الأديان ، ولا حتى الفلسفات الإنسانية ، والمبادئ الأخلاقية .

هذا الانحراف الفاقع هو ما يميز الأمة اليهودية عن سائر الملل الأخرى .

إنهم يقتلون البشر باسم الرب ، ويزعمون أنه أمرهم بذلك ، مع أن الرب لا يكون إلا رحيماً بعباده ، يبغض القتل وسفك الدماء ، ولا يرى طريق الحرب طريقاً إلا عندما تُسد كل الطرق الأخرى ، وبمقدار الضرورة فقط . فالله تعالى يأمر أنبياءه بنشر دينه بالكلمة والقول الطيب والحوار والمجادلة بالتي هي أحسن ، حتى إذا استُفرغ الوسع ، وبطلت كل الوسائل السلمية ، أمر باللجوء إلى العنف في التعامل مع خصوص من يقف بالسيف في وجه الدعوة ، فيستحق المواجهة بالسيف من باب المعاملة بالمثل ، فإما أن يثوب إلى رشده ، وإما أن يقتل بشخصه المحدد ، لا يتعدى الأمر شخصه ، فلا تقتل نساؤه ، ولا أطفاله ، ولا أقرباؤه . أما سائر مخلوقات الله فما هو ذنبها ، وما معنى إهلاكها وإعدامها ؟

ونحن في هذا البحث نود إلقاء الضوء على هذا الجانب بالخصوص من دور العقيدة اليهودية في نشر العنف وممارسته بكل صنوفه وصوره ، عسى أن نتمكن من تقديم صورة واضحة عن الخلفية الدينية المزعومة التي ينطلق منها الكيان الإسرائيلي الغاصب في معاملة الشعوب كافة ، وخصوصاً الشعب الفلسطيني المظلوم المضطهد .

وفي الوقت ذاته ، يمكننا أن نعرف حق المعرفة مدى النفاق الذي تمارسه الكثير من الأنظمة الغربية التي تزعم أن الكيان الإسرائيلي كيان ديمقراطي ، وتنسب الإرهاب ، في المقابل ، إلى الإسلام ، بل وإلى كل ما يمت إلى الإسلام بصلة .

وسنقسم البحث إلى ثلاثة عناوين وخاتمة ، نلقي في العنوان الأول الضوء على ما يروجه التوراة في هذا الصدد ، ونبين في الثاني الأبعاد التي ترمي إليه هذه العقيدة المزعومة ، ونكشف في الثالث الأثر الذي ألقته هذه العقيدة على الواقع اليهودي المعاصر .

## عنصرية اليهود

لعل أبرز مثال يقدَّم اليوم على ممارسة العنصرية الإنسانية هم اليهود ، فهم يرون أنهم مختلفون عن العالم بأسره ، وتراهم يكثرون من رصف صفات المدح والتعظيم لأنفسهم، فهم أحباء الله وأولياؤه ، وهم شعب الله المختار، اختارهم من بين الأمم دون سواهم لما رآه فيهم من طينة خاصة تستحق كل هذا التقدير والاحترام ، فسخَّر نفسه لخدمتهم ، ولنيل رضاهم ، ووصل به الأمر، على حد زعمهم ، إلى أنه صار إلهاً خاصاً بهم ، ولا يقيم وزناً لغيرهم من الشعوب فضلاً عن سائر المخلوقات ، إلا بمقدار ما يخدم بوجوده وجودَهم وبقاءَهم وهيمنتَهم على العالم .

«لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك اصطفى الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب التي على وجه الأرض»[1].

إنهم يقدمون للناس أنفسهم على أنهم «الشعب المقدس« ، أي الشعب الذي يجب على كل الشعوب أن تحترمه ، وتحبه ، وتتبرك به .

وليت الأمر يقف عند هذا الحد ، بل يتعدى ذلك إلى إهدار دم الأمم الأخرى،

---

١ ـ سفر الثنية:الإصحاح السابع ، فقرة ٧ .

واستباحة أموالها وأعراضها وأوطانها، جاء في سفر التثنية ما يسمونه وصايا الله تعالى للشعب الإسرائيلي في كيفية التعامل مع الآخرين :

«... لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم ، ولا تصاهرهم . بنتك لا تعط لابنه وبنته لا تأخذ لابنك . لأنه يرد ابنك من ورائي فيعبد آلهة أخرى فيحمى غضب الرب عليكم ويهلككم سريعاً . ولكن هكذا تفعلون بهم تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم وتحرقون تماثيلهم بالنار . لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك . إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض »[1].

وفي الإصحاح السادس والعشرين منه :

**﴿وواعدك الرب اليوم أن تكون له شعبا خاصا كما قال لك وتحفظ جميع وصاياه * وأن يجعلك مستعليا على جميع القبائل التي عملها في الثناء والاسم والبهاء وأن تكون شعباً مقدساً للرب إلهك كما قال﴾.**[2]

وفي الإصحاح العشرين منه :

«حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح . فإن أجابتك إلى الصلح وفُتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها . وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والأطفال والبهائم وكلُّ ما في المدينة ،كلُّ غنيمتها ، فتغتنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك

---

١ ـ المصدر السابق ، فقرة ٢-٨

٢ ـ المصدر السابق ، الإصحاح ٢٦ ، فقرة ١٨ و ١٩ .

الرب إلهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا . وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما»[1].

الشيء الطبيعي في الحروب الدينية ، وهو ما عليه الإسلام ، أن يعرض الصلح على الأمم الكافرة ، والمراد من الصلح هنا الإيمان بالله تعالى ، فإن كانت وثنية وآمنت بالله فقد عصمت نفسها من السيف ، ولا معنى لاسترقاقها بعد إيمانها وقبولها بالصلح والمسالمة . ولكننا نرى ذلك معلَماً أساسياً في العقيدة اليهودية .

وإن كانت وثنية ولم تؤمن ، وآثرت الحرب على الإسلام يُقتل المقاتلون فقط، لأن تلك هي إرادتهم ، ولم يظلمهم أحد ، بل اختاروا مصيرهم . وأما الباقون فكان من المتعارف في الأمم السالفة قبل الإسلام سبيهم واتخاذهم عبيداً ، ولا يبعد أن يكون اليهود من أوائل من رسخ هذه العادة ، وعمل بها .

إذن السبي في صورة اختيار الحرب ، لا في صورة اختيار الصلح .

أما أهل الكتاب فلا يحتاج الأمر معهم أكثر من قبولهم بالجزية كعلامة قبول الانصهار في الدولة الإسلامية ، فلا حاجة لقتل رجالهم فضلا عن ذراريهم ، ولا لدخولهم في الإسلام .

فلا يوجد في الدين الإسلامي قتل الأطفال والنساء في الحروب بأية حال . وهذا ما ينبغي أن يكون عليه دين الله الرحيم بعباده . إنه يريد أن يهديهم لا أن يبيدهم .

وكم من فرق بين النظرتين والتشريعين من الناحية الإنسانية .

---

١ـ المصدر السابق ، الإصحاح ٢٠ ، فقرة ١٠ -١٧ .

وقد جُمعت قوانين الحرب في « العهد القديم « في سفر التثنية، وهي تحدد لهم أسلوب الاستيلاء على المدن، وأسلوب التعامل مع أهل البلاد. ففي الحرب الهجومية أباحت الشرائع اليهودية قتل الذكور البالغين فقط من العدو وسلب أموالهم، وفي الحرب الدفاعية أباحت لهم إبادة العدو كله أي قتل جميع النفوس المعادية، والاستيلاء على جميع الممتلكات .

## النظرة الفوقية

ثم إن نظرة اليهود إلى الشعوب الأخرى هي نظرة فوقية استعلائية لا تقرها الإنسانية ولا الأديان كافة، فجميع شعوب الأرض خلقوا لأجل أن يكونوا خدماً لبني إسرائيل يخدمونهم ، ويقدمون لهم ما يحتاجونه في حياتهم . إن هذه هي العنصرية بأبشع صورها .

نقل عن سفر المكابيين الثاني عن موسى (عليه السلام) قوله:

«يا رب، لماذا خلقت شعبا سوى شعبك المختار؟! فقال: لتركبوا ظهورهم، وتمتصوا دماءهم، وتحرقوا أخضرهم، وتلوثوا طاهرهم، وتهدموا عامرهم»[1].

يا الله ، ما هذه الفرية العظيمة على خالق الكون ومدبره ، وخالق الخلائق أجمعين ؟!!

وينقل أنه جاء في التلمود:

«أقتل الصالح من غير الإسرائيليين، وحرم على اليهودي أن ينجي أحداً من باقي الأمم من هلاك، أو يخرجه من حفرة يقع فيها، لأنه بذلك يكون حفظ حياة

---

١ـ سفر المكابيين الثاني ، الإصحاح ١٥، فقرة ٣٤.

أحد الوثنيين» .[1]

وتبلغ النظرة الفوقية للشعوب الأخرى المعبر عنها بالأجانب غايتها في النص التالي :

﴿... ويقف الأجانب ويرعون غنمكم ، ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم، أما أنتم فتدعون كهنة الرب تسمون «خدام إلهنا» ، تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتأمرون﴾.[2]

إن اليهود هم الأسياد ، ولا عمل لهم إلا إصدار الأوامر باسم الدين ، لأنهم خدام الله. أما بقية الشعوب فهم الخدم والفلاحون الذين يعملون لهم في حرث أرضهم وإصلاح كرومهم .

## احتكار الإله

ثم بلغ بهم الأمر أن احتكروا الله تعالى لأنفسهم ، فجعلوه قائماً على خدمتهم ، لا يفكر إلا بمصالحهم ، ولا يخلق شيئاً إلا لأجل تسخيره لخدمتهم، وعليه أن يحارب دائماً إلى جانبهم ، وإذا ألمت بهم ملمة فدوره هو الوقوف معهم في تجاوزها بتقديم كل ما يستطيعه ، حتى بات لهم إله خاص بهم يصورونه على النحو الذي يحلو لهم . ولهذا ذكروه في التوراة مراراً باسم «إله إسرائيل» و «رب إسرائيل» بينما نرى القرآن الكريم يقول : رب العالمين ، ولم نر كلمة واحدة تقول : «رب العرب» أو «رب محمد» .

---

١ـ عن كتاب اليهود على حسب التلمود: أوغست روهلنج ، ترجمة يوسف حنا نصر اللّه، دار فلسطين، بيروت، ١٩٧٠: ص٤٥.

٢ـ سفر أشعيا ، الإصحاح السادس ، فقرة ٥ و٦.

أليس احتكار الإله منتهى الأنانية .

دخل أعرابي المسجد ورسول الله (صلى الله عليه وآله) جالس ، فقال :

اللهم اغفر لي ولمحمد ، ولا تغفر لأحد معنا .

فضحك رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقال : لقد احتظرت واسعاً .[1]

أي ضيقت واسعاً ، فإن رحمة الله واسعة تشمل الجميع ، فلا معنى لتخصيصها بقوم دون قوم .

## العنف المقدس

إله إسرائيل إله قاس يأمر شعبه المختار بقتل جميع الذكور في المدن البعيدة عن أرض الميعاد. أما سكان هذه الأرض نفسها فمصيرهم الإبادة ذكوراً كانوا أم إناثاً أم أطفالاً، ويبررون أفعالهم الشنيعة هذه بأن الله هو الذي أمرهم بذلك .

جاء في سفر التثنية كما تقدم :

«حين تقترب من مدينة لكي تحاربها ... فلا تستبق منهم نسمة واحدة»[2].

ويأمر بعدم الشفقة على غير اليهود فيقول:

«وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك لا تشفق عيناك عنهم»[3].

وتتوج وصايا الحرب تلك العبارة الناضحة بالشر:

قومي ودوسي يا بنت صهيون، لأني أجعل قرنك حديداً ، وأظلافك أجعلها نحاساً، فتسحقين شعوبا كثيرين، وأحرّم غنيمتهم للرب، وثروتهم لسيد كل

---

١ ـ ابن حنبل ، أحمد ، مسند احمد ، ج ٢ ، ص ٥٠٣ .
٢ ـ سفر التثنية ، الإصحاح الثاني ، فقرة ١٠.
٣ ـ المصدر السابق ، الإصحاح السابع ، فقرة ١٦.

الأرض.[1]

ويذهبون أبعد من ذلك حين يدعون أنهم لم يأمرهم فقط بقتل الشعوب الأخرى ، بل أجبرهم على هذا الفعل ، فهم إن لم يفعلوا ما يأمرهم به من التجزير والتقتيل سيكونون عرضة لانتقامه منهم ، فينسبون إليه قوله لهم :

«فإن لم تتبعوا أوامري بالقتل والإبسال فيكون أني كما نويت أن أصنع بهم أصنع بكم»[2].

وينسبون إليه أفعالاً لا تعرف الرحمة ، ربما ليكون ذلك مبرراً لهم ليفعلوا مثل فعله .

جاء في سفر الخروج:

«فحدث في نصف الليل أن الرب ضرب كل بكر في أرض مصر، من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الأسير الذي في السجن، وكل بكر بهيمة»[3].

قد نفهم ضرب أبكار فرعون ، ولكن ما الوجه في ضرب أبكار الفقراء والمستضعفين والأسرى في السجون ممن لم يقترفوا ذنباً ؟

نعم عندما يكون نوع العذاب نوعاً شاملا لا يمكن التفريق فيه كالصاعقة والطوفان والصيحة وما شابه ذلك فمن الطبيعي أن يعم جميع من يقع في دائرته ، أما ما كان مثل القتل بالسيف وما شابهه فلماذا يشمل الأبرياء ؟

وفي سفر أشعيا يتحدد موقف اليهود من قضية السلام بكل وضوح :

---

١ـ سفر ميخا، الإصحاح الرابع ، فقرة ١٣.

٢ ـ سفر العدد، الإصحاح الثالث والثلاثون ، فقرة ٥٦.

٣ ـ سفر الخروج، الإصحاح الثاني عشر ، فقرة ٢٩.

لا سلام ، قال الرب للأشرار.[1]

## أنبياء ...ومجرمون ؟

لئن كان الإله الذي هو رمز الرحمة والمغفرة ، وعنوان المحبة والتحنن ، على تلك الصورة القاسية العدوانية التي رسمتها ريشة كتبة التوراة والتلمود ؛ فلا عجب أن يكون الأنبياء كذلك عندهم ، فلا يتورعون عن نسبة القبائح لهم ، بل ويجعلون ذلك من دواعي الفخر والقوة والمنعة .

وفي حكايات الكتاب المقدس اليهودي ما لا يحصى من أمثلة ذلك، فحينما انتصر جند موسى (عليه السلام) على المديانيين وجاءوا بالسبايا والغنائم، سخط عليهم موسى (عليه السلام) ؛ لأنهم لم يبيدوا الأطفال والنساء ، وقال لهم:

«فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال. وكل امرأة عَرَفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها. لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات»[2].

ويشوع بن نون بعد أن تمكن من دخول أريحا، وضع أسس التعامل مع أهل المدينة بزعمهم :

«وحرّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير، بحد السيف»[3].

والتحريم في المعنى اليهودي هو إبادة كل شيء في مدينة مهزومة، أو

---

١ـ سفر إشعياء، الإصحاح ٤٨ ، فقرة ٢٢.
٢ـ سفر العدد، الإصحاح الحادي والثلاثون ، فقرة ١٧-١٨ .
٣ـ سفر يشوع ، الإصحاح السادس ، فقرة ٢١.

إهلاكها، أو تخريبها تخريباً تاماً.

**﴿ثم رجع يشوع في ذلك الوقت وأخذ حاصور وضرب ملكها بالسيف. لأن حاصور كانت قبلا رأس جميع تلك الممالك . وضربوا كل نفس بها بحد السيف . حرموهم . ولم تبق نسمة . وأحرق حاصور بالنار . فأخذ يشوع كل مدن أولئك الملوك وجميع ملوكها وضربهم بحد السيف . حرمهم كما أمر موسى عبد الرب ﴾[1].**

وفي موضع آخر :

**﴿ففعل يشوع بهم كما قال له الرب . عرقب خيلهم وأحرق مركباتهم بالنار﴾[2].**

وهذا النبي داود عليه السلام ينسبون إليه أفظع الجرائم:

«وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد، وفؤوس من حديد، وأمرّهم في أتون الآجر. وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون. ثم رجع داود وجميع الشعب إلى أورشليم»[3].

## ممارسات يهودية

من الطبيعي أن يطيع العبيد سيدهم في كل ما يأمرهم به ، وبما أن اليهود شعب «مطواع» لربه ولأنبيائه فقد راح يطبق تلك التعاليم المزعومة حرفاً بحرف ، فكانت

---

١ـ سفر يشوع ، الإصحاح الحادي عشر ، فقرة ١٠ -١٢ .
٢ـ المصدر السابق ، فقرة ٩ .
٣ـ سفر صموئيل الثاني ، الإصحاح الثاني عشر ، فقرة ٣١ .

ممارساتهم عبر التاريخ على وفق ما كتبته أيديهم من تعاليم إلهية مزعومة ، وسطروا ذلك في توراتهم ، وإليك بعض النماذج :

**﴿وحارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وضربوها بحد السيف وأشعلوا المدينة بالنار﴾**[1] .

وقد تكررت عبارة : وأحرقوا ، أو «وأشعلوا المدينة بالنار» خمس مرات في التوراة .

**﴿فصعد يهوذا . ودفع الرب الكنعانيين والفرزيين بيدهم فضربوا منهم في بازق عشرة آلاف رجل﴾**[2] .

**﴿وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها . إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب﴾**[3] .

هذا ما يفتخر به اليهود من تاريخهم الدموي . إن ما قتلوه في حرب واحدة (عشرة آلاف رجل ) يربو عن عدد قتلى حروب النبي كلها . ثم يحدثونك عن الإرهاب ....

## العنف ضد الأنبياء

ثم بلغ بهم الأمر مداه الأقصى ، فراحوا يستعملون العنف عينه وسيلة لمواجهة الأنبياء أنفسهم ، فكلما جاءهم نبي بما لا تهوى أنفسهم لم يجدوا وسيلة لمواجهته

---

١ـ سفر القضاة ، افصحاح الأول ، فقرة ٨ .
٢ـ المصدر السابق ، فقرة ٤ .
٣ـ سفر يشوع ، الإصحاح السادس ، فقرة ٢٤ .

سوى قتله ، وقد سجلت كتبهم المقدسة ذلك، كأن ذلك مفخرة لهم ، أخزاهم الله تعالى. وقد أخبر الله عنهم بذلك في آيات منها قوله تعالى:

﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾[1] .

ومن نصوصهم في ذلك ما جاء في معرض الحديث عن النبي إرميا من حصول محاولات عديدة لقتله ، ومن هذه النصوص ما جاء في سفر إرميا:

«وكان لما فرغ إرميا من التكلم بما أوصاه الرب أن يكلم كل الشعب به أن الكهنة والأنبياء أمسكوه قائلين تموت موتاً»[2] .

## العنف عند اليهود الصهاينة

لقد استلهم اليهود من التوراة والتلمود سياستهم في البطش والعنف، ومنها استقوا القوانين التي يتسلمها القادة الإسرائيليون كمصدر وحي، وكشريعة مقدسة؛ فتتحول كل جريمة يقترفونها شرعية وقانونية من أجل تحقيق وعد الرب، ولا مجال لأي كلام يقال بعد عمليات التقتيل الوحشية والجماعية التي يقومون بها في الأراضي التي يحتلونها، ولن تجدي معهم نصوص المعاهدات والمواثيق الدولية ، فهم يفعلون ما يفعلونه بأمر من دينهم لإرضاء ربهم، كما يزعمون .

إن الجانب العدواني تجاه المسلمين والعرب ، سواءٌ الفلسطينيون وغيرهم ، بارز عملياً أمام الأنظار إلى درجة لا نحتاج معها إلى استدلال وبرهنة ، وممارساتهم

---

١ـ سورة البقرة ، آية ٨٧.

٢ـ سفر إرميا ، الإصحاح السادس والعشرون ، فقرة ٩.

اليومية في غزة والضفة الغربية تشهد بذلك ، فضلا عن الممارسات السابقة التي تظهر قتل الأبرياء من المدنيين والأطفال والنساء والعجزة ، وكل ما يمكنهم قتله من العرب .

وهذا ما جرى عبر سلسة طويلة بشعة من المجازر الإرهابية، من دير ياسين القرية العربية التي دمرها اليهود في ١٩٤٨، وذبحوا جميع سكانها من نساء وأطفال وشيوخ ، مروراً بمجزرة غزة ، والتوافيق ، والسموع ، وبلد الشيخ ، وسكرير ، وناصر الدين ، وعيلوط، وحولا ، وصبرا وشاتيلا ، وقانا الأولى ، وانتهاء بمجزرة قانا الثانية في تموز عام ٢٠٠٦ ، وما ذلك سوى مثال بسيط على إجرامهم وعنفهم الذي لا يعرف حدوداً .

إنهم يهدمون البيت فوق رؤوس أصحابه وساكنيه لمجرد الشك بوجود رجل معاد لهم فيه ، ولا يتورعون أن يقصفوا بيتاً مكوناً من عدة طبقات يشغله عدد من العوائل المشتملة على الكثير من الأطفال والنساء لقتل شاب مختبئ فيه .

ووفقًا لأحكام الشريعة اليهودية التي تستبيح حياة الأجنبي ماله وعرضه ودمه فقد جاء في كتاب وزعته قيادة الجيش الإسرائيلي على الجنود في مطلع السبعينات من القرن الماضي فتوى حاخامية مستوحاة من تلك الشريعة تجعل من قتل العرب رجالاً كانوا أو نساءً ليس مسموحاً به فقط ، ولكنه واجب ديني.

ولاحقاً جعلوا قتل العرب عنواناً لحملة تبرعات واسعة في الدول الغربية : «ادفع دولاراً واقتل عربياً» .

أما موقفهم من النصارى فكتابهم التلمود مليء بالنصوص التي تبرز العداء الشديد والحقد الكبير الذي يكنه اليهود للنصارى.

وقد نشر كتاب بعنوان «فضح التلمود - تعاليم الحاخامين السرية» ، وهو من تأليف الأب الكاهن «آي . بي. برانايتس» أظهر فيه بشكل واضح ما يكنه اليهود تجاه النصارى ، ومما جاء فيه :

ومما ذكره التلمود «اعتبار الكنائس المسيحية بمثابة بيوت للباطل، وأماكن للقاذورات، لذلك يجب هدمها وتخريبها» .

وذكر أيضاً ، كما نقل عنه ، أنه يأمر أتباعه بقتل جميع المسيحيين دون رحمة حتى أفضلهم؛ لأنهم إذا استمروا في الحياة فالأمل في تحرير اليهود يصبح عقيماً[1] .

إنهم لا يعرفون حرمة للبريء من غير الصهاينة ، فالمهم عندهم أن يحققوا أهدافهم الصهيونية ، ولو باستخدام العنف المفرط ضاربين بعرض الحائط كل ما يعرف بالرأي العام الدولي .

والطريف في الأمر أننا أكثر ما نجد الإدانات الدولية التي صدرت ضد إسرائيل تتحدث عن «الاستخدام المفرط للعنف» ، فكأنها تبرر لها أصل استخدام العنف ضد الأبرياء ، ولكنها تطلب الحد منه لا زواله بالكلية . والأطرف من ذلك أنه حتى الدول المشتهرة باستخدام العنف ترى ، من خلال بيانات الإدانة ، فيما تفعله إسرائيل استخداماً مفرطاً للعنف .

إن الصهاينة جعلوا العنف ركيزة أساسية من ركائز إقامة دولتهم إسرائيل على أرض فلسطين ، بل من ركائز سيطرتهم على العالم .

---

١ـ راجع : آي . بي. برانايتس ، «فضح التلمود - تعاليم الحاخامين السرية» ، ترجمة: زهدي الفاتح، طبعة دار النفائس، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ .

ولن نجد وثيقة تبين لنا ما عليه اليهود المعاصرون الصهاينة من تبانٍ على ضرورة استخدام العنف مثل برتوكولات حكماء صهيون[1] الذي صرح واضعوه بكل ما أشارت إليه التوراة والتلمود حسبما تقدم ، والذي أعيد صياغته وتقديمه للشعب اليهودي على أنه اتفاق عام ملزم لكل من يريد أن يساهم في إقامة دولة إسرائيل ، وهو المراد بكلمة «بروتوكول» .

جاء في البروتوكول الخامس :

«إننا نقرأ في قاموس الأنبياء أن الله اختارنا لحكم العالم ، وقد وهبنا الله العبقرية لنقوم بهذا العمل » .

وفي موضع آخر منه :

«أروع النتائج التي - يمكن الحصول عليها في سبيل حكم العالم يتحقق باستخدام العنف والتهديد لا بالمناقشات الأكاديمية ».

وفي موضع ثالث :

«يجب أن يكون شعارنا : جميع وسائل القوة والنفاق ، ويتحتم أن يكون البطش هو المبدأ ... » .

وفي البروتوكول العاشر :

«يجب بث الاضطرابات بصفة مستديمة في العلاقات القائمة بين الشعب والحكومات، وإشاعة الأعمال العدوانية والأحقاد ، وحتى عذاب الجوع والحاجة والأمراض ، لدرجة لا يرى معها غير اليهود مخرجا للأرزاء التي تحل بهم سوى

---

١ـ طبعت البروتوكولات في روسيا سنة ١٩١٧ باللغة الفرنسية ، ثم صودرت هذه الطبعة رسمياً، ولم يسمح بطبعها بعد ذلك ، والمتداول منها الآن نسخة كمبيوترية مصورة .

الالتجاء إلى أموالنا وإلى سيادتنا المطلقة » .

وجاء في البروتوكول الحادي عشر حول نظرة اليهود العنصرية للشعوب الأخرى :

«غير اليهود كقطيع من الأغنام أما نحن فإننا الذئاب ، وهل تعلمون ما تفعل الأغنام إذا اقتحم الذئاب حظيرتها ؟ إنها تغمض عينيها ، وسندفعهم إلى ذلك » .

## الخاتمة

هذا غيض من فيض ، وقطرة من بحر ، ولو أردنا استقصاء النصوص الدالة على الجوانب العدوانية في الكتب المقدسة لليهود لطال بنا المقام ، وأصيب القارئ بالضجر والسآمة ، ولكننا نكتفي بهذا المقدار ، والتلميح أبلغ من التصريح .

إذن ، لا عجب إذا رأينا هذه الوحشية التي تصدر عن هؤلاء اليهود؛ فهم ينطلقون في ذلك من نصوص مقدسة، وعليه فأعمالهم الإرهابية مبررة من قبل دينهم المحرف.

يقول روجيه غارودي معلقاً على نصوص التوراة التي تطالب بتوسيع أرض إسرائيل، وطرد أهلها، بل وإبادتهم :

«لهذا يُظهر الحاخامات في إسرائيل حماساً جنونياً لتوسيع حدود إسرائيل باستمرار، ويبررون كل المغامرات العسكرية الدموية، ومجازر صبرا وشاتيلا »[1] .

وقد برز ذلك ، ولا يزال يبرز في اعترافات رجال الدين والساسة والعسكريين مما في دولة إسرائيل الغاصبة ، وما خفي عنا ، وما لم يعترفوا به أعظم.

---

١ـ غارودي ، روجيه ، إسرائيل الصهيونية الإسرائيلية، دار الشروق:٩٠.

ولكن السؤال: ماذا ينتظر من اليهود إذا كان الأمر بهذه الصورة؟!!.

هل ننتظر أن يأتي اليوم الذي يصبح فيه اليهود مسالمين للبشر ، وخصوصاً للعرب ؟ إن أطماع إسرائيل لا تعرف الحدود ، ونهمها للدم لا ينتهي .

وما دام العنف «معشعشاً» في عقيدتهم التوراتية المصطنعة ، فلو تغير اليوم كل الجيل اليهودي سيأتي الجيل اللاحق حاملاً الأفكار عينها . لا أمل في إصلاحهم إلا من خلال إصلاح العقيدة نفسها .

وبدل أن يدعوا ، ويعملوا على حذف الآيات القرآنية الداعية إلى الجهاد ، وهو عنف محدد بقدر الضرورة ، أي هو العنف الذي لا بد منه لنشر السلام في العالم ، عليهم أن يعيدوا كتابة التوراة والتلمود كليهما على أسس تتناسب مع دين الله تعالى ، لا مع مصالح المترفين والطواغيت .

# العنف:

# دوافع وموانع

الدكتورة راغدة المصري

بسم الله الرحمن الرحيم

يحتل موضوع العنف وما يتولد عنه من تطرف وإرهاب حيزاً كبيراً من اهتمام فقهاء القانون الدولي، والقانون الجنائي، لما تشكله هذه الظاهرة من تهديد للمجتمع وضياع أمنه: من خلال انتهاك للحرمات وتدنيس للمقدسات وقتل وخطف للمدنيين وتدمير الممتلكات.

فما هو العنف ؟ وما هي دوافعه لدى الفرد والدولة ؟ وما هي الموانع منه ؟

## أولاً : تعريف العنف

### ١ـ العنف في اللغة:

يعرف لسان العرب (العنف) بأنّه الخُرقُ بالأمر، وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق. عَنُفَ به وعليه، يعنُفُ عنفاً وعنافة واعنفه أوعنفه تعنيفاً، وهو عنيفٌ إذا لم يكن رفيقاً في مالا يُعطي على العنف.

**والتعنيف** : التعبير واللوم، التعنيف، التوبيخ والتقريع واللوم .

### ٢ـ الإسلام والعنف :

يقف الإسلام ضد كل عدوان يمارسه الأفراد أو الجماعات أو الدول بغيا ، ويشمل كل أنواع التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق .

وكل فعل من أفعال العنف هو صورة من صور الفساد في الارض التي نهى

الله عنها:«ولا تبغ الفساد في الأرض. إن الله لا يحب المفسدين»[١] .

والإسلام يرفض المعاملة السيئة (Abuse) أو إيقاع الظلم بالآخرين أو استخدام القسوة أو التعسف ببني الإنسان، فأفعال العنف بأنواعه التي تقع في المجتمعات وتستهدف الآخرين هي مخالفة لدين الرحمة « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»[٢] .

## ثانياً : دوافع العنف

الدافع Motive هو حالة داخلية تنتج عن حاجة ما، تعمل على تنشيط واستثارة سلوك إما نحو الخير أو نحو الشر ... ودافع العنف تطغى عليه مظاهر الكراهية والبغض وتوقع الشر من الآخرين، وتصل إلى حد القيام بأعمال إجرامية، وهو بنفس الوقت حالة ارتكاسية للشعور بالإحباط نتيجة فشل التواصل بين الذات وبين الآخر .

وتتعدد دوافع العنف بتعدد الظروف البيئية المحيطة فمنها ما له علاقة : بالفرد، بالدولة ، بالجماعة .

### ١ـ الفرد :

يتولد العنف لدى الفرد من حاجات أساسية ، تساهم بشكل مباشر في صياغة شخصية من يقوم بهذا العمل ، وكلما انتهكت هذه الحاجات أصبحت الفرصة مهيأة للاتجاه نحو ممارسة هي أقرب للعنف ، فالإنسان يتأثر ويؤثر اجتماعياً،

---

١ـ سورة القصص ، آية ٧٧.

٢ـ سورة الأنبياء آية ١٠٧ .

بكـل مـا يحيط به، أهله ومجتمعه... يكتسب قيمهم ويدرك تقاليدهم وأعرافهم ، ممـا يشـكل لـدى الأفـراد فـي المجـتمع الواحـد معايـير Norms مـن قواعد غير مكـتوبة تحـدد سـلوك وظائفهم الاجتماعية كأنماط تعامل غير مكتوبة، ومن تلك السلوكيات (العنف) .

تضـع معظـم المجـتمعات إسـتراتيجيات معيـنة لهـا مـثل الفروسـية والقسوة أو الـتحمل الشـاق، وتدريـب أبـنائها على هذه الإستراتيجيات، بحيث ينشأ الفرد وهو يحملها معه، ويظل هاجسه الحفاظ عليها طيلة حياته..

ودوافع العنف الشخصية قائمة على الموقف والبيئة المحفزة لذلك السلوك،يتم التعبـير عـنها إلـى حـد مـا مـن موقف إلى آخر، وحسب طبيعة القوة الضاغطة لأن يسـلك هـذا السلوك أو غيره، فسلوك العنف ودوافعه تتناقص وتتزايد حسب شدة الإفـراط أو الـتفريط فـي الـتوتر والإجهـاد الشخصـي للفـرد ومـدى اندفاعه وشدة الاستثارة المؤثرة.

يظهـر سـلوك العـنف عند الصغر في صورة إتلاف الممتلكات، والمقتنيات أو تشـويهها تعبـيراً عـن عـدم الاسـتجابة للمطالـب أو الأنانـية ، ويصـبح أكثر خطورة حيـنما يـأخذ صـورة سلوك جماعي أو عصبة لتفريغ الطاقة ، وحينما يصبح سلوكا مرضـيا تـنعكس آثـاره علـى المحيطيـن فـي الأسـرة والمجتمع بل في الدول على مستوى عالمي .

يـرى مـنظرو التحليـل النفسي **sycho analysis** أن السلوك العدواني والعنف وإيـذاء الغـير أو الـذات ، عن طريق العنف المادي أو المعنوي ناتج عن أسباب عديدة منها:

**الانتقام** : عند إحساس الفرد بالدونية واستصغار الناس له وبخسهم لإمكانياته.

**الدفـاع عن النفس** : حيـن يشعر الفرد بخطر الموت وبأن حياته مهددة يختل لديه توازنه النفسي ـ الجسدي .

**الإحباط**: الإحباط يؤدي عادة ـ لا دائماً ـ إلى العدوان على عكس ما ذهب إليه فـرويد بـأن العدوان فطري أصيل في بني آدم، إذ إن البحوث التجريبية لم تساند هـذا الـرأي، وتـرى أن العـدوان والعـنف يكونان في العادة نتيجة إحباط سابق، أو توقع لهذا الإحباط[1] .

تؤثـر عـدة عوامـل فـي تكوين دوافع العنف كمرور الفرد بخبرة انفعالية حادة، مـن شـأنها أن تغير الاتجـاه وتحـول الدوافع من الحب إلى البغض وقد تصل إلى العـنف والعـدوان وسـلوك التدمـير، فـالعدوان طاقـة انفعالـية لا بـد لها من منفس، وعادة يتخذ لذلك العدوان موضوعاً معيناً تفرغ فيه الشحنة الزائدة، وإذا لم يتمكن العدوان من أن يصل إلى مصدر ، فإنه يلتمس مصدراً آخر.

أو مـن خـلال مشـاهدة سـلوكيات معيـنة وتسـمى (الـتعلم بالملاحظة) أو تقليد سلوك الآخرين خلال مراحل الطفولة والمراهقة.

يمكن حصر محركات السلوك بثلاث مجموعات :

ـ ما يدركه ويحسه الفرد قبل أن يقدم على عمل مباشرة.

ـ ما يجري في ذهنه قبل فترة طويلة من الفعل.

ـ ما يعلق عليه في المستقبل من أهداف ونتائج إذا ما قام بالفعل[2] .

---

١ـ عزت راجح، أصول علم النفس، المكتب المصري الحديث، الإسكندرية ،١٩٧٠، ص٥٥٢ .
٢ـ فخري الدباغ، السلوك الإنساني، مطبعة حكومة الكويت، الكويت ١٩٨٦، ص٣٢.

## ٢ـ دوافع العنف السياسية :

يقصد بالعنف السياسي استخدام القوة العنيفة المباشرة لإنجاز أهداف سياسية، سواء تم ذلك من قبل فرد أو جماعة أو دولة، بشكل سري أو علني، منظم أو غير منظم[1].

وعليه فإن العوامل المؤدية إلى العنف السياسي ودوافعه تأخذ مظاهر وأشكالاً مختلفة أبرزها:

### أ- الاستبداد والتسلط السياسي:

إن الشكل الحديث والمتطور للاستبداد والطغيان السياسي يتجسد بالأنظمة الدكتاتورية، التي تدّعي الديمقراطية ، وتحافظ على المؤسسات التمثيلية والتشريعية والقضائية بصورة شكلية فقط والأنظمة « **التوتاليتارية**»، حيث تقوم بقمع الحريات العامة وضرب المعارضة السياسية بعنف، لردع كل محاولة للتغيير والظهور للتعبير عن نفسها ، مما تفرض وضعية لا يبقى فيها أمام الشعب خياره مواجهة وسائل الحكم القمعية وإجراءاتها التعسفية التي تواجهه بها أجهزة القمع ، ليشكل بالمقابل سلطة نافية Pouvoir Negateur يستطيع بفضلها أن ينفي عن السلطة الحاكمة شرعيتها المستمدة مبدئياً من الشعب .

ويولد عنف الدولة المنظم و يتحرك بضروب التمرد العنيفة ضد الدولة، ويتخذ شكل التمرد أو قتال الشارع أو الاغتيال أو حرب عصابات أو حرب أهلية أو ثورة. ويختلف الموقف السياسي الذي يجب تبنيه حيال مختلف نماذج العنف

---

١ـ حسن بكر، أسباب العنف السياسي ودوافعه، مجلة الفكر العربي، العدد ٩٣، صيف ١٩٩٨، ص٦.

باختلاف الموقف من الدولة أو مختلف نماذج الدول[1].

إن الاستبداد السياسي هو أحد الأسباب الرئيسة للعنف ،وإن لجوء الأنظمة لاستخدام القوة من قبل السلطات الأمنية والشرطة في إخضاع الشعوب أمر تحدده المتغيرات الداخلية لأي بلد أو المتغيرات الدولية عالمياً ، فعندما تسمي الدول حركات التحرر بالإرهاب، واستخدام القسوة، فإنها تنطلق من معيارها الذي يحدد نوع هذا السلوك أو الدافع باتجاه سياستها ..

فأحداث العنف في أي بلد ، أو أية مؤسسة دولية أو ضد أي مجتمع، تعبر عنه الدولة وحسب قوة تأثيرها في العالم بأنها أعمال إرهابية، أو حق مشروع في الدفاع عن نفسها، فالمعيار السياسي ذو بعدين قابل للتأويل بالاتجاه الإيجابي أو السلبي نحو أية قضية.

## ب- عنف الثوار :

إن القناعة التي تتولد لدى جماعة ما، أو حركة سياسية ما، أو دولة ما، بأن الحلول السلمية أو التغييرات ذات الطابع السلمي غير العنيف مستحيلة، يتمخض عنها اللجوء إلى العنف لتبرير دوافعها وتنفيذ خططها السياسية لغرض إخضاع الآخر لمطاليبها.

وعادة ما تميل التغيرات القائمة على أساس العنف إلى فقد مدعمات سياستها وبالمقابل تكسب عوامل كالقنوات السلبية للديمقراطية، وعدم استجابتها لمطالب الجماهير، و تبرر استخدامها ذلك بأنها حصلت الاعتراف عن طريق القوة والعنف.

---

١ـ قاموس الفكر السياسي، ج١، مجموعة من المختصين، ترجمة أنطوان حمصي، منشورات وزارة الثقافة - دمشق ١٩٩٤ ، ص ٤٩٠ .

إن أي تنظيم الثوري يجب أن تتوفر لديه شروطٌ متعارفٌ عليها في مجال العلوم السياسية والقانونية وهى ثلاثة :

- التنظيم المؤسسي .
- الهدف التغييري أو التحرري .
- التأييد الشعبي .

وإذا لم تتوافر هذه الشروط فإن الأعمال العنيفة التي يقوم بها، تنحصر في الفوضوية دون أن تتعداها إلى مصاف الثورة، مهما حاول الفاعلون عن طريق وسائل الإعلام والبيانات أن يسبغوا على مواقفهم الصبغة الثورية.

### ج ـ الاستعمار والتدخل الأجنبي:

وفدت ظاهرة العنف إلى منطقتنا منذ بدايات القرن العشرين حيث حلت مع المشاريع الاستعمارية الغربية، وكان ذلك لأسباب عديدة منها :

- تمرير اتفاقية سايكس بيكو وتفتيت المنطقة واقتسام ممتلكات الدولة العثمانية، وتقديم فلسطين لليهود عبر وعد بلفور. وزرع الصهيونية، الكيان الغريب عن هذه الأمة والتي مارست مختلف مظاهر العنف: اغتصبت أرض ، وشتت شعب، وقامت بالمذابح الجماعية .
- الدعم الغربي خصوصا لدولة إسرائيل على حساب حق العرب والمسلمين في فلسطين ، ويتوالى العنف الصهيوني ، وأميركا مستمرة في دعمها للإرهاب الصهيوني الذي يمارس أبشع صوره .
- الهيمنة على بعض الأنظمة التي تسير بركبها معاكسة لتاريخ وحضارة الأمة العربية والإسلامية. خاصة أن العداء الغربي للحركات الإسلامية واضحٌ لأنه لا

يتوافق مع سياستها ، وتبنيها سياسات معادية لقيام أنظمة إسلامية في المنطقة.

- أدت العولمة بأبعادها المختلفة إلى خلق ثقافة عالمية موحدة، أدى إلى شعور المسلمين بأن الغرب يسعى لطمس هويتهم وثقافتهم ودينهم، ليثبت بذلك نمط التفاعلات القائمة بين الغرب والعالم الإسلامي وهي التفاعلات التي تتسم باستغلال طرف لطرف آخر.
- اختلال الموازين الأمريكية ووقوفها بوجه عمليات الكفاح المسلح، التي تخوضها حركات وطنية، من أجل أن يرجع الحق الى نصابه ويدخل الأمر تحت حكم وطني وهي عمليات مشروعة في القانون الدولي ، وعلى الرغم من شرعيتها فإن الولايات المتحدة استخدمت مصطلح الإرهاب على المقاومة المشروعة للاحتلال خصوصاً بعد تفجيرات برجي التجارة العالمية.
- تدخل الدول القوية في الشؤون الداخلية للدول الضعيفة، تحت ستار المساعدة الاقتصادية، أو العسكرية، أو بحجة المحافظة على الأمن والاستقرار الدوليين، أو حماية الأقليات الإثنية ، أو الدينية .
- ممارسة العنف لفرض رأي أو نظرية كالاحتلال لأفغانستان والعراق ، حرب تموز ٢٠٠٦ على لبنان بدعوى فرض الديمقراطية والحرية.

د- دوافع الجهاد :

ساهم واقع العالم الإسلامي، على ظهور العنف من خلال الدافع السياسي للمجموعات الجهادية الخاص بها والإعلان عن (إقامة الدولة الإسلامية في الأرض).

ورفض أي دولة مدنية لا تحكم بالإسلام، أو تحتكم إلى المنظمات الدولية

والنظم الديمقراطية، والسعي إلى تفكيكها وإعادة مفهوم الدولة الإسلامية .

لذلك كانت لهذه الجماعات دوافع عالمية تنضوي تحت لوائها الجماعات الجهادية، وهي إقامة الخلافة الإسلامية في الأرض، وهذا هدف سياسي سيادي الغرض منه الوصول إلى حكم العالم.

- وتقوم فكرة الجهاديين اليوم على بعدين سياسين:

ـ البعد الأول: مرتكزات سيادية تسعى لاستعادة سيادة الإسلام وخلع المنظومات الدولية بجميع أشكالها وكافة صورها.

ـ البعد الثاني: عالمية الخطاب من حيث المفاهيم و المصطلحات، وعالمية الصراع من حيث الأفراد والحدود، فلا حدود لمعاركهم ولا جنسية لجنودهم.

## هـ- الدافع العنصري والنزعة العرقية :

إن مظاهر العنف والعدوان توجد بشكل واضح في بعض الثقافات ، وتكاد لا توجد بتاتاً في ثقافات أخرى. وتتجلى بوضوح النزعة العنصرية مع الصهيونية العالمية وشعار العداء للسامية ، والتي ساهمت بنشوء ظاهرة الإرهاب وانتشارها، ومن بين الأشكال المختلفة التي ترتديها هذه النزعة نشير إلى التمييز العنصري (Apartheid) الذي يسود أفريقيا الجنوبية ويهدد القرن الأفريقي بأكمله بالحروب الأهلية وبإرهاب الثوار .

تدعم قوانين بعض البلدان العنف وتراه سلوكاً مناسباً يتعلمه الأفراد، حتى أنها تدخله في برامج التدريبات العسكرية لما يمكن أن يفعله التعليم لتقوية المواقع المثيرة للعنف، إذ تستقبل الأكاديميات العسكرية الشبان الصغار من

مختلف فئات المجتمع، ويعرضون لهم برامج لبناء صورة معينة للعدو، ولتطوير اتجاهات سلبية نحوه، ولإثارة كراهيته في نفوسهم، وتهيئتهم للانقضاض عليه بقوة وتدميره بسرعة.

### و- الدوافع الفكرية للإرهاب والعنف والتطرف :

إن الغزو الثقافي الذي يشن من خلال تكريس ثقافة عالمية موحدة ، هو إرهاب فكري على المستويات العالمية كافة، متمثلةً باستخدام الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية للدول المتقدمة ، عبارة عن عملية مصادرة لحقوق شعوب العالم ،بسبب عدم وجود وسائل دفاعية تستطيع أن تصد ما يلقى إليها من سموم .

إن الإرهاب الفكري العقائدي لايقتصر على أمة دون أمة، وإنما هو عملية منظمة مبرمجة، يقوم بها القوي من أجل أن يحتوي الضعيف، بشتى الأساليب ، وإفراغ فكر الضعيف من مقوماته وإدماجه، وبالمقابل يعاني العالم الإسلامي من انقسامات فكرية حادة، بين تياراته المختلفة. أبرزها :

- الجهل بالدين .
- تيار الحداثة المتأثر بالحضارة الغربية .
- تيارات متطرفة تعارض كل ما يتصل بالتقدم الحضاري.
- ظهور اتجاهات عقدية مغالية متطرفة.

### ٣ـ الدافع الاجتماعي ـ الاقتصادي :

للعنف دوافع اجتماعية Social motives تكون موجهة نحو إشباعات الفرد الاجتماعية من خلال الاتصال بالآخرين والتفاعل معهم، وترتبط عادة بمشاعر الحب والاستحسان والقبول والاحترام ، وتغطي هذه المشاعر على الكثير من

الظروف المعوقة للتوافق الاجتماعي الناجح مثل الفقر الشديد والإعاقات الجسمية وقساوة التربية التي تترك لدى الأفراد شرخاً نفسياً حتى بعد النضج في مراحل العمر اللاحقة.

وتلعب العوامل الاقتصادية دوراً مهماً في توجيه دوافع العنف والعدوان عند الناس والمجتمعات. فالحاجة الاقتصادية لا يشبعها أي بديل محتمل، وكثرة المشكلات الاقتصادية تؤدي حتماً إلى تدمير الحضارة وأسس البناء الاجتماعي، وتترك آثارها على عامة أبناء المجتمع، فالبناء الاقتصادي يسبب نمو علاقات اجتماعية معينة[١] .

فإن كانت مشبعة اقتصادياً أحدثت التماسك والترابط الاجتماعي ، وإن كانت عكس ذلك ولّدت السلوك العدواني والعنف .

إتفقت الآراء على أن البطالة هي السبب الرئيس للعنف[٢] فالشاب الذي لا يجد فرصة عمل له يكون هدفاً سهلاً لمختلف الاتجاهات المتطرفة دينياً أو سياسياً أو عصابات النصب والاحتيال والسطو المسلح، إضافة إلى الفساد الاقتصادي والإداري والذي يولد الأزمات المستمرة ابتداءً من التضخم والكساد الاقتصادي إلى حالات الكسب غير المشروع في الصفقات تولد لدى الشباب أو الناس المحرومين سلوكاً عنيفاً من الكبت ، سرعان ما ينفجر بأفعال عدوانية منظمة تستهدف الأشخاص والمؤسسات أو الدولة ذاتها مما يؤدي إلى تدهور الأبنية

---

١ـ سرحان بن دبيل العتيبي، ظاهرة العنف السياسي في الجزائر، ص١٣ .

٢ـ حسن بكر، أسباب العنف السياسي ودوافعه، مجلة الفكر العربي، العدد (٩٣)، صيف (١٩٩٨) ، ص ٨ .

الاقتصادية ـ الاجتماعية للدولة.

يلعب العامل الاقتصادي دورا هاما في توجيه دوافع العنف فالمشاكل الاقتصادية تدمر أسس البناء الاجتماعي والذي ترتكز عليه الروابط والعلاقات الاجتماعية وبقدر ما تكون مشبعة اقتصادية بقدر ما تكون متماسكة وإن كانت عكس ذلك ولدت السلوك العدواني العنيف.

من خلال هذا العرض الموجز تبين لنا الأسباب الدافعة للعنف، فما هي الموانع التي تقف بوجهه ؟

## ثالثاً : موانع العنف

إن العنف حالة مرضية تغزو المجتمعات بشكل سريع، حتى بات ظاهرة عالمية تهدد أمن واستقرار الإنسان، وللوقوف بوجه العنف لا بد من العمل على تحصين مجتمعاتنا على صعيد الدولة والفرد . وذلك من خلال الأمور التالية:

### ١ ـ قيام دولة العدل والقانون :

تهدف الحياة السياسية إلى تحقيق السلام والوئام بين أفراد الوحدة السياسية بشكل عادل ومتكافئ، فإن الدولة كمؤسسة تمثل الضمانة الوحيدة لبسط العدل والمساواة بين أفراد الشعب، فهي تمثل سلطة القانون والنظام التي لا يجوز أن تعلوها سلطة أخرى.

وتستمد هذه الدولة قوتها من مجموعة قيم ومبادئ ترتكز عليها أبرزها:

### أ ـ العدل :

لكي نبتعد عن العنف لا بد من وجود دولة تطبق مبدأ العدالة الاجتماعية، وتتكافأ فيها الفرص وحصول كل مواطن على حقوقه الطبيعية والمدنية في: التعليم، العمل، الصحة، السكن، والزواج. وإلغاء كل مظاهر التمييز: الاجتماعي، الطبقي ، العنصري والتعصب بشتى صوره. واحترام الأقليات، حيث تمثل الأقليات بؤرة توتر نظراً للتمايزات السياسية والاقتصادية والإثنية التي تضخم من درجة المعاناة .

على الدولة أن تخلق سياسات متوازنة تنزع الغبن والحيف وتفتح كافة منافذ الحياة العامة من توظيف وفصول دراسة ونيل مناصب إدارية دون اعتبار للمذهب أو القومية أو الطائفة أو العرق خاصة في ظل التعدد الإثني في كل بلدان العالم وبالخصوص العالم العربي.

كما عليها تأصيل طرائق التعددية وبناء مفهوم جديد يقوم على تحكيم مبدأ التداول السلمي للسلطة ، وإفساح المجال أكثر للتعبير عن الرأي وفتح أبواب الحريات العامة والتلاق على القواسم المشتركة والثوابت الدينية والوطنية الجامعة، وإيجاد أجهزة أمنية وقضائية حرة ونزيهة غير خاضعة للوصاية مستقلة ، ورفض كافة أشكال الاستبداد والدكتاتورية في كافة مناحي الحياة ، وهذا يتطلب سعياً حثيثاً نحو تغيير كل مؤسسات الدولة وطرقها .

ويتطلب المشاركة المباشرة لأفراد الشعب في ممارسة السلطة وإدارة شؤونهم ضمن هيئات الدولة ومؤسساتها المختلفة. وذلك بهدف الاطلاع على مختلف القضايا العامة المطروحة من خلال المهام والوظائف التي يتولونها في مؤسسات

الدولـة ، وهـذا مـا يقـف حاجزاً دون قيام جماعات معينة باحتكار وظائف الدولة وهيـئاتها واسـتغلال وسـائلها لخدمـة مصـالح طـبقة خاصـة علـى حساب المصالح المشتركة لأفراد الشعب .

### ب- السيادة :

تعبر الدولـة عـن حضـارة الشـعب الـذي يكونها ، أما العلاقات بين الدول فهي علاقـات بيـن حضـارات الشـعوب، وكمـا أن الدولـة مؤسسـة تـنظم الأفراد داخل كيانها المستقل، من حيث مصالحهم، وفروقاتهم، واختلافاتهم بواسطة القوانين .

ولكـي تكـون دولـة ذات سـيادة يجـب أن تـتكون مـن كيان مستقل له مميزاته الخاصـة من خلال مؤسساته وهيئاته وتشكيلاته المتعددة ، غير ممتدة خارج دائرة الدسـتور والحـياة القانونـية. لأن المدنية تشكل لها مواجهة حاسمة لتمركز السلطة وتقليصها ، وعليها عدم تهميش دور الأمة في مقابل تسلط الحاكم .

إن السـيادة بمفهومهـا السياسـي حـقٌ مشـتركٌ ومشـروعٌ لجمـيع أفـراد الشـعب بالتسـاوي، وهـذا المبدأ يتعارض مع استبداد الحكام واغتصابهم لحقوق الشعوب ، ودحـض كـل مـبررات سلطتهم المطلقة . ولا تسمح لهم بإقامة أي علاقة مع دولة لا يرضـى الشـعب عنها ، بل عليها المحافظة على سيادتها وعدم السماح لأي دولة بالتدخل في شؤونها مهما كانت قوتها وعظمتها ، فلا تكون تابعة لأحد ،كما عليها أن تحمـي بلدهـا مـن اي اعـتداء خارجـي ، وتكـون دائمـا علـى استعداد للتصدي فتحفظ وحدتها وكيانها .

إن علاقـات الدولـة الخارجـية يجـب أن تكـون علاقـات تنظم فيها مصالحها ، وفـروقاتها ، واخـتلافاتها وفقـاً لقوانيـن، ومـبادئ، وقواعـد معينة يتم التوافق عليها،

واتباعها من قبل الجميع . وتكون علاقاتها مع الدول الأخرى ضمن قواعد القوانين الدولية التي تنظم تلك العلاقات، فكما أنها ضمان للقوانين داخل كيانها فهي ضمان للقوانين الدولية أيضاً .

## ٢ ـ الحل التربوي :

التربية هي عملية تشكيل الشخصية الإنسانية لأفراد المجتمع، وإكسابهم الصفات الاجتماعية والذاتية التي تجعلهم متكيفين اجتماعيا ومواطنين صالحين في حدود نطاق أيديولوجية مجتمعهم.

تغرس التربية في شخصية الفرد مجموعة من الخصائص و الصفات، يتميز بها فرد ما ، حيث يبدأ في ربط العلاقات وتوسيعها مع أفراد محيطه ، سواء داخل الأسرة أو خارجها أبرزها :رفض الجهل و التخلف والعبودية والظلم والاستبداد والطغيان والتسلط والاستغلال والتواكل والسلبية السطحية والتعصب والأنانية والغرور والتكبر والإسراف والتبذير وحياة الترف وإلى غيرها من الصفات المنبوذة اجتماعياً ، والابتعاد عن كل ما من شأنه أن يحط من قيمة الإنسان ويتنافى مع كرامته ويقلل من فاعليته .

إن تعزيز التربية يمثل احد أبرز وسائل تنشيط التنمية في أي مجتمع، حيث تتكرس الممارسة الفعالة للمواطنة، واحترام مبادئ حقوق الإنسان واللاعنف .

والمدرسة هي أول وأهم مكان يتعلم فيه الطفل كيفية ممارسة التسامح في الحياة اليومية وصقل الجيل على مشاعر الانفتاح على الآخرين واحترام الآخر مع الالتزام بمعنى التضامن والتقاسم والاحتفاظ بمشاعر الثقة بهويتهم.

إن دور التربية في تحقيق التنمية الإنسانية يقوم على إبراز عالمية بعض القيم

كالتسامح، وانفتاح وتنوع الثقافات العالمية واحترامها، والدخول في حوار مثمر بناء من أجل خير وصالح البشرية.

يتجلى الحل التربوي في إدراك خطورة إغفال المناهج التربوية لمفردات التربية الدينية المدنية والحضارية المشار إليها عند ذكر الدوافع، والمسارعة إلى فهم المقررات الدراسية الشرعية، و منها التربية الاجتماعية والوطنية.

وتأتي الوسائط التربوية من أماكن مساجد ونوادي وأجهزة إعلام لتصقل هذا التوجه عن طريق بث وإذاعة ونشر الوعي الحضاري السلمي والمدني، إن أكبر تهديدٍ للتربية يأتي من وسائل الإعلام التي تقوم بنشر ثقافة هدم القيم عبر ما يبثه الإعلام المرئي من برامج عنف ، وتجاوز الأمر حده إلى ألعاب الأطفال التي تجعلهم يجلسون لساعات طويلة أمام الكومبيوتر وغيره من الألعاب يمارسون هوايتهم بالألعاب العنيفة .

لا نستطيع القضاء على العنف بلا «وعي» الذي هو أهم ما يميز الإنسان عن غيره من الكائنات. والوعي هو مبعث المعرفة في إطار حركة المجتمع نحو النافع، وهو محرك الأفراد والجماعات والشعوب. فالوعي بمفهوم الحرية والعدوان والمقاومة هو المدخل الصحيح لفهم كيفية مواجهة الإرهاب .. فالحرية هي مسعى الفرد الواعي بذاته وبالآخر .

### ٣ ـ قيم المجتمع المدني:

يستند تنظيم المجتمع المدني إلى مبادئ وقيم جوهرية، تتجلى فيها المثل الإنسانية النبيلة وفضائل الرقي الخلقي . وهي مجموعة قواعد عملية تنظم التعامل البشري، بمختلف جوانبه ومواضيعه ومستوياته. لتمكن الإنسان من السير

والارتقاء في مسيرته إلى الكمال ،وتخلّق بالأخلاق الإلهية : كالرحمة والمحبة والعدالة ، وغيرها من الصفات العالية، فيبتعد عن العنف ، ويعيش بأمن واستقرار ويتطور نحو الأفضل.

تنطلق هذه القيم من الأسرة التي تربي الفرد على القيم، وتعوده على ممارسة أساليبها في حياته الخاصة والعامة، حيث تصبح القيم جزء من سلوكه وطريقة في معاملاته وعلاقاته، ويصبح قادرا على استخدام اللغة وبناء بعض المفاهيم الأساسية للاتصال بالآخرين ، وصولا إلى الدولة العادلة والحكيمة .

إن غياب الأخلاق وقيم المجتمع المدني في العمل السياسي والإسلامي، حولت الخلافات العملية والاجتهادات المتغايرة والمواقف المتباينة إلى صراعات دامية.

ومن أجل تعميم ظاهرة اللاعنف فإن أهم القيم التي يجب العودة إليها هي :

- تكريس المشاركة السياسية وتجذير مبادئ حقوق الإنسان والمساواة وحفظ كرامة الإنسان ضمن نطاق الدولة المدنية الحديثة ، وهذا يفتح المجال على مصراعيه لتحقيق ما يمكن أن نطلق عليه (بالشراكة الحضارية) المتمثلة في السعي المشترك بين كافة الديانات والطوائف لبناء حضارة الغد وتحقيق ازدهاره .

إن تفعيل المشاركة بتركيز السلام والاستقرار يبعد صور العنف .إن قبول الآخر وتداول السلطة والآراء معه يوفر فرصاً أكثر لتطبيق العدالة .

قال الإمام علي (عليه السلام) في خطبة له بصفين :

فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة ، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل

البادرة ، ولا تخالطوني بالممانعة ، ولا تظنوا بي استثقالاً في حق قيل لي ، ولا التماس إعظام لنفسي فإنه من استثقل الحق أن يقال له ، أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما عليه أثقل. فلا تكفوا عن مقالة بحق ومشورة بعدل .

إن الشورى تتفعل عادة من قمة السلطة وأصحاب القرار وتنهض في المجتمع إذا نهضت في الطبقات المؤثرة في الساحة، وكلما نمت في أدمغة الساسة والحكام والمثقفين ، تجنب المجتمع الانزلاق في العنف .

- الاعتراف بالآخر ، واحترامه ، وإفساح المجال للاجتهاد الفردي ناهيك عن أهمية تكريس الضوابط الشرعية بعدم الطعن والتجريح واستخدام الغيبة والنميمة والكذب وقول الزور والبهتان ضد المخالف في المنهج أو الموقف السياسي .

يقول الإمام علي (عليه السلام) لأصحابه أيام حرب صفين:

(إني أكره لكم أن تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر وقلتم مكان سبكم إياهم : اللهم احقن دماءنا ودماءهم وأصلح بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به) [1].

- الحوار ركيزة أساسية في تكريس اللاعنف من خلال الإيمان به والاعتراف بحق الآخر في الوجود، وإلا فإن إلغاء الآخر والتفكير بإقصائه غير وارد، خاصة إذا انتحى المتحاورون إلى الاعتقاد باحتكار الحقيقة ووضعها في نطاق الملكية

---

١ـ نهج البلاغة ، شرح صبحي الصالح ، خطبة ٢٠٦ ،ص٣٢٣ .

الخاصة بأن تتكئ على نص ديني أو علم ووجاهة أو ادعاء عامل السن والخبرة والأهلية الفكرية وما أشبه ذلك.

يساهم الحوار في خفض العنف من خلال :

- إزالة الحواجز النفسية بين الأطراف المتضادة بوقف مسلسل التكفير والتفسيق العشوائي.
- يكشف نقاط الاختلاف والتوافق ويوفر أرضية التسامح لبناء جسور حول مختلف القضايا .
- يفتح آفاقاً للتعاون والتواصل لبحث القضايا المتنازع عليها.
- يضع ضوابط ثابتة للعلاقة بين الأطراف تنهي حالة العداء القائم.

إن تكريس المشاركة من خلال الشورى و الحوار في كافة مناحي الحياة تساهم بخلق مجتمع تنموي ينطلق من أسس معرفية سليمة .

ـ التعايش والإيمان بالتعددية هو من ركائز إقامة المجتمع الإنساني السليم والمستقر ومفتاح تحقيق الأمن الذاتي للفرد والمجموعات . فالتعايش يعني نبذ استخدام القوة والسلاح في العلاقة بين المجموعات المختلفة وهو أساس السلام الاجتماعي. ومن الضروري أن يبدأ الطرفان بإزالة الكراهية والخوف من الطرف الآخر وفتح قنوات التفاهم والحوار.

إن القرآن الكريم يؤكد على حتمية وجود الاختلاف والتفاوت بين أبناء أدم إذ يقول عز وجل: ﴿**وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾[1].

---

١ـ سورة النحل ، آية٩٣ .

وسيادة التعددية تخفض من درجة حدة الصراعات واللجوء للتزمت والتطرف والعنف في الممارسات. وتزايد حدة الانتماءات العرقية والإثنية وارتفاع وتيرة اضطهاد الأقليات.

الإسلام يرى ضرورة احترام أصحاب الديانات الأخرى من مبدأ التعاون العالمي لتحقيق السلام بل نهى الإسلام بشدة عن الإكراه والفرض في الدين حيث يقول تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ** ﴾[1].

- إيجاد أنماط مؤسسية وأنشطة وعلاقات قيمية جماعية، من شأنها نشر الاستقرار، وتجذير مفهوم المواطنة، وتخفيف التمايزات على أساس ديني أو عرقي أو لغوي، ويجد الجميع قنوات شرعية وفعالة لتوصيل رغباتهم ومطالبهم وبذلك تقل احتمالات لجوئهم للعنف .

ويستند هذا التصور إلى افتراض أساسي قوامه نجاح عملية التكامل من خلال الأدوات الثقافية والسياسية والمؤسسية .

والمؤسسات هي الأحزاب السياسية وجماعات المصالح والجمعيات النفعية والخدماتية والمؤسسات المتخصصة في مجالات عمل متعددة . والخضوع لقانون ونظام ودستور يشكل خطوة أولى على صعيد التقدم نحو اللاعنف ويوقف من نزيف السرية والتكتم والمركزية في العمل الذي يسود في السلطات القائمة أو التيارات الإسلامية والفكرية .

---

١ـ سورة يونس ، آية٩٩ .

إن أخطر ما يواجه المؤسسات هو سيطرة الحالة الانفعالية والقرار الفردي في اتخاذ المواقف ، لذلك لا بد من تكريس آليات وأدوات سلمية للمعارضة أو التغيير في الساحة ، فالمؤسسات تفتح المجال للأفراد بالبحث عن سبل أقدر على تحقيق الطموحات بعيداً عن الالتجاء للعنف والتزمت والانعزال .

تساهم المؤسسات بعملية التغيير الاجتماعي بدرجة من المرونة، بحيث تستجيب للمطالب المجتمعية ، فتخف احتمالات انخراط بعض القوى الاجتماعية في أعمال عنف مضادة، كما يحتوي المهمشين من الفئات في أطر تنظيمية تبعدهم عن ممارسة العنف خاصة وأنهم مادة خام للعنف السياسي .

## ٤ ـ التسامح :

يفتح التسامح آفاقاً جديدة في فهم حقوق الآخرين، وواجباتهم تجاه غيرهم، وعدم فرض قيود على الآخرين ما يتيح تحول الأفراد والمجموعات لمزيد من التمدن ويؤصل من قيمة الحرية.

يدعو التسامح لفهم الأفكار واستيعابها، ويعمل على لفت انتباهنا لخلفيات كافة الأفكار المحيطة بنا، وخاصة أفكار الآخرين ، ويتعزز التسامح بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد، إنه الوئام في سياق الاختلاف، وهو ليس واجباً أخلاقياً فحسب وإنما هو واجب سياسي وقانوني أيضاً وهو الفضيلة التي تسهل قيام السلام ويسهم في إحلال ثقافة السلام بدل ثقافة الحرب(١) .

---

١ـ مايور، فيدركو مدير عام اليونسكو، صحيفة الاتحاد الإماراتية ١٩٩٧/١١/٤ .

وإن الدعوة إلى اللاعنف نجدها في الإسلام . والتربية الإسلامية تحث على العفو والتسامح والتواضع والإحساس بالمسؤولية لأن أمثال هذه الأمور أجزاء أصيلة للاسلام والتي إن عزلت عن تعاليم الدين ، لايسمى إسلاماً .

ففي مجال الدعوة إلى الدين الإسلامي يخاطب الله رسوله قائلاً: ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] .

ويقول أيضاً: ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[2] .

﴿ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾[3] .

و يدعو اليهود والنصارى إلى الاتفاق على عقيدة واحدة:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[4] .

أما في مجال المعاملات فالقرآن يوصي المسلمين بالتسامح والعفو ويقول:

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[5] .

وفي مجال الأخلاقيات يدعو الإسلام للتصافي والتصالح والعلاقة القائمة على الاحترام المتبادل والمحبة والوئام والثقة يقول تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ

---

١ـ سورة النحل، آية ١٢٥ .

٢ـ سورة البقرة ، آية٢٥٦ .

٣ـ سورة الكهف ، آية٢٩ .

٤ـ سورة آل عمران ، آية٦٤ .

٥ـ سورة فصلت آية ٣٤ .

وَلا نِسَـاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَـابِ بِـئْسَ الاسْـمُ الْفُسُـوقُ بَعْـدَ الإِيمَـانِ وَمَـن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّـالِمُونَ * يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُـوا وَلا يَغْتَـب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْـتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّـن ذَكَـرٍ وَأُنـثَى وَجَعَلْـنَاكُمْ شُـعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1] .

ويـرفض الإسـلام الـتطرف حتى فـي المشاعر أو معايـير الحب والكره فيقول الإمام علي (عليه السلام): (سيهلك فيّ اثنان محب مفرط ...ومبغض مفرط)[2] .

إن نهج التسامح نهج إسلامي أصيل وله جذوره القرآنية والتاريخية برغم أنه لم يكن تحت عناوين التسامح، عندما دخل النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) مكة فاتحاً دفع علياً لـيحمل الـراية ويصـرخ : (الـيوم يـوم المـرحمة الـيوم تصـان الحـرمة) حيـنما كان يحملهـا صـحابي آخـر ويصـرخ : الـيوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة. كما عفا (صلى الله عليه وآله) عـن كـل المجرميـن وقـادة الحرب في قريش ولم يعاقب ، وقال :(إذهبوا فأنتم الطلقاء).

إن لجـم القـوة والتسـلط لـدى الفـرد والتفكـير بطريقة متعايشة محبة للآخرين يدعـو لمـزيد مـن تشـذيب سـلوكياتنا وتقنينها ـ أخلاقياً ـ نحو الحقوق والواجبات التي تؤطر حياتنا. وسنجد أنفسنا في أحضان دولة مدنية يحكمها القانون ويسودها

---

١ـ سورة الحجرات، آية : ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

٢ـ نهج البلاغة ، خطبة ١٢٧، ص١٨٤.

التبادل القيمي النفعي وتتكرس العدالة .

إن التبادل الأخلاقي مع الآخرين وفكرهم ينطوي على صناعة وتأصيل الوعي المتزايد ويشكل خلفية ثقافية ناهضة تقبل على قراءة وتفحص ما يتبناه الآخر المختلف كما يتفحص الآخرون فكرنا، مما يثري الساحة ويحدث موجة من التلاقح الفكري والحيوية الثقافية في الساحة . إن ثقافة التسامح تفتح أبواب المعرفة على مصراعيها بينما ثقافة الموت لا تفهم غير منطق القوة .

إن ممارسة نقد الذات والأفكار والأطروحات يشكل قاعدة جوهرية في إدراك رفيع لتلك الأفكار والمضامين بعيداً عن التشنج والتعالي ، إن إحياء ثقافة السلام واللاعنف من خلال التزام الإنسانية والمجتمعات والأفراد بمجمل القيم والتقاليد والعادات والتصرفات التي تستند إلى نبذ العنف وتحقيق المساواة بين كافة أبناء البشر ، واحترام حقوق الإنسان والعدل والتضامن والتسامح والتصدي للتمييز بسب العنصر أو الجنس أو اللغة أو الدين ، وقبول الاختلاف وتحقيق التفاهم بين الأمم والدول والمجموعات العرقية والدينية والثقافية .

# المقاومة

## بين

# المشروع واللامشروع

سماحة مفتي الهرمل
الشيخ علي طه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى ، وعلى آله الطاهرين وأصحابه الأنجبين ، وجميع أنبياء الله والمرسلين .

## تمهيد

... كلمات ثلاث اشتهرت في عالم المصطلحات إلى درجة أنَّها أصبحت على كل شفة ولسان، وهي العنف، والإرهاب، والمقاومة،واشتهار هذه الكلمات يعود، في الأساس، الى واقع الصراع الدائر بين الشعوب المستضعفة،والاستكبار العالمي، الذي جنَّد كلّ قواه في مواجهة هذه الشعوب ، لإحكام سيطرته على الثروات والبلدان والمصائر ، وهذا ما جعل هذه الشعوب ، وخصوصاً في عالمنا العربي والإسلامي، والشرق الأوسط عامة ، تلجأ إلى أساليب في المواجهة أربكت خطط المستكبرين ، وجعلتهم في حالات ، ومواجهات عديدة ينكفئون ، وفي بعضها ينكسرون ، وفي البعض الآخر ينسحبون وهم يجرُّون أذيال الخيبة والخسران ..

ولهذا فإنَّ هذه القوى المستكبرة لجأت ، في عالم الإعلام والترويج والسياسة ، الى مصطلحات أطلقتها وركَّزت عليها في رسائلها الإعلامية ، وهي تعتبرها من جملة أسلحتها المستخدمة .. ومما يلفت المتتبع هو أنَّ هذه المصطلحات استعملت في غير ما وضعت له ، وإذا بشياطين السياسة الاستكبارية يطلقون على المقاومة الشريفة المشروعة ، لفظ الإرهاب ، فصار المقاوم ، الذي يدافع عن وطنه وبلاده ضد المحتل الغاصب ، إرهابياً ومخرِّباً ، وتحوَّل المحتل ، المجرم ، والإرهابي حقيقة الى مدافع عن النفس ، وعن الوطن ...

رغم كل ذلك ، فإنَّ الحق أبلج ، ولن تستطيع قوى الشر والطغيان والاستكبار مهما حاولت أنْ تلبس باطلها ثوب الحقيقة ، أنْ تغيِّر من طبيعة الأمور ، فالحق ، كما المسيح (عليه السلام) قال : «إنْ كنتم تعرفون الحق فالحق يحرركم» .

نعم الحق، هو المحرِّر للشعوب من الأغلال ، عندما تقاوم هذه الشعوب أعداء حق الشعوب في الحياة الإنسانية الكريمة ، وذلك لأنَّ معرفة الحق ، تعني قوة الحق، وبقوة الحق يكون التحرر .. وقوة الحق تعلو على حق القوة ، وبقوة الحق تتحقق حجة الحق البالغة ، وتسقط مقولة شريعة الغاب القائمة على حق القوة ، وتصبح «حجة القوي بالحق هي الأقوى» بدل المقولة الزائفة التي يتبناها إرهاب الاستكبار والصهيونية العالمية المتمثلة بقولهم : «حجة القوي (أي قوي!!) هي الأقوى»[1] .

إنَّ هذه الضبابية المقصودة ، في عالم المصطلحات ، جعلت الأمور ملتبسة على الكثيرين ، وخصوصاً أولئك الذين يخضعون لحقن إعلامي وسياسي مضاد للأمة ولمجتمعاتنا ، التي هي ـ كما أرادوها ـ جزءٌ من العالم الثالث أو بكلام ملطَّف الدول النامية ...

أضف إلى ذلك ، فإنَّ البلاد المتقدمة (أو العالم الأول والثاني) يعيش أهلها تحت وطأة إعلام قلب الحقائق فيما يخص المقاومة ، التي باتت لا تفهم بنظرهم إلا على أنَّها الإرهاب ، والعنف ، وقد اشتغلت الدوائر الاستكبارية واللوبي الصهيوني على هذا طويلاً ، وقد نجحت إلى حد ما في تصوير الحقائق عكس ما

---

١ ـ أنظر : مجتمعنا ، بين عالمية الإسلام والعولمة الغربية ـ طه : الشيخ علي حسن ـ المقدمه ـ ص ١١ ـ دار الهادي ـ بيروت .

هي في الواقع ..

ومن هذا المنطلق كان من الواجب الحتمي على الباحثين ، والمفكرين ، في مجتمعاتنا وأوطاننا أن يبيِّنوا الحقيقة ، كما هي ، بلا مسايرة على حساب المبادئ وحقوق الشعوب في مواجهة المحتلين والغاصبين للأرض والمنتهكين للحرمات .

وهذه محاولة متواضعة للحديث عن مشروعية المقاومة أو بعبارة أخرى يمكن العنونة بالآتي : «المقاومة بين المشروع واللامشروع» .. ونظراً لاختلاط المفاهيم ، فإنَّنا سنحاول ـ مجرد محاولة ـ ضبط مفهوم المقاومة بالمعنى السياسي ، والتمييز بينها وبين الإرهاب كمفهوم ، والعنف ، وأنواع الإرهاب .

## أولاً : تعريف العنف وماهيته :

العنف ، في اللغة ، كما في لسان العرب[1] هو الشدة والغلظة والقسوة ، وفي المصطلح استخدمت كلمة العنف ليوصف بها الفعل السياسي أو الاجتماعي ، والجنسي وغير ذلك ، وعليه فكل تصرف تستخدم فيه القوة ويؤدي الى الأذى ، جسدياً ، أو نفسياً ، فهو عنف غير مشروع ، وخصوصاً إذا كان هذا العنف يطال الجماعات البشرية والفئات الإجتماعية و الإخلال بالأمن الاجتماعي أو الوطني .. والعنف هو أداة الإرهاب ، فما هو الإرهاب ؟

## ثانياً : ماهية الإرهاب :

من الواضح أنَّ كلامنا عن الإرهاب ليس هدفاً بحد ذاته ، بل يهدف الى عملية ضبط لمفهوم المقاومة ، فما كان من خصائص الأعمال الإرهابية ، فلن يكون

---

١ـ أنظر : بن مكرم : محمد (ابن منظور) ـ لسان العرب ـ ج ٩ ـ مادة عنف ـ دار إحيار التراث العربي ـ بيروت.

داخلاً في مقومات مفهوم المقاومة ، التي نحن بصدد الحديث عنها كعمل جهادي ـ دفاعي (مشروع) بكل المعايير ، بخلاف ما أطلق عليه اسم « الإرهاب» باعتباره عملاً عنفياً ، عنوانه الظلم ، وهو عمل (غير مشروع) بمختلف المعايير ... فإذا عرَّفنا الإرهاب نكون قد عرَّفنا المقاومة المشروعة بطريقة غير مباشرة .

إنَّ مصطلح «الإرهاب» ، أصبح من المصطلحات التي تلوكها الألسن ، في الخطاب السياسي المعاصر ، وتتداوله ، وسائل الإعلام ـ كما سبقت الإشارة إلى ذلك ـ وكثيراً ما يجانب الذين يستخدمون هذا المصطلح الموضوعية ...

ولقد بلغت الأمور درجة جعلت دولة كبرى ، أو الدولة العظمى في العالم ، وهي الولايات المتحدة الأميركية ، وكذلك دول كبرى أخرى ، تحشد القوى العسكرية والأساطيل لمحاربة ما أسموه «إرهاباً» .

والأمر الذي يحتاج الى التوقف عنده ، مع الاهتمام البالغ لقادة وزعماء العالم وكذلك المنظمات الدولية ، والدول الكبيرة والصغيرة ، وحتى الأفراد بمسألة الإرهاب ، هو عملية الخلط «المتعمَّدة» بين «الإرهاب الإجرامي» ، وبين المقاومة «المشروعة» والتي هي حق من حقوق الشعوب «المظلومه» ، التي تستخدم القوة أو شيئاً من العنف في مواجهة عنف أكبر ، وقوة عظمى ، من أجل التحرر واسترداد الحقوق ، وطرد المحتل ، وتقرير المصير ، والوقوف بوجه ظلم القوى المستكبرة الذي يستهدف أمن هذه الشعوب ويهدد مصيرها ومستقبل أجيالها .

## الإرهاب في اللغة والإصطلاح «القرآني» :

نجد في مصادر اللغة أنَّ «الرهبة» تعني الخوف ، والخشية ، وقد جاء في المعجم الوسيط بأنَّ «الإرهاب» يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف لتحقيق

أهدافهم السياسية[1] ... وهذا يؤكّد ـ كما علّق بعض الدارسين ـ على أنَّ هذا المصطلح مستحدث تماماً.

وبالرجوع الى القرآن الكريم نلحظ أنَّ مشتقات كلمة «رهب»، وردت بصيغ متعدِّدة إحدى عشر مرة، إلا أنَّ كلمة «الإرهاب والإرهابيين» لم ترد إطلاقاً، وبهذا «تستيقن انّ لا علاقة بين معاني كلمة الإرهاب، وبين المعنى المعاصر لها..»[2] وهذا لا يعني أنَّ الإسلام لم يتصدَّ لظاهرة «الإرهاب»، بل أنَّه وضع أحكاماً ومعالجات لهذه الظاهرة «اللاإنسانية»، لا بل الوحشية، وقد عبَّر القرآن الكريم عن ظاهرة «الإرهاب» بالمصطلح القرآني «الإفساد في الأرض» لأنَّ «إهلاك الحرث والنسل، وقتل النفس التي حرَّم الله قتلها إلا بالحق، وترويع الآمنين، وإتلاف الممتلكات .. إفساد في الأرض ... ومن جهة أخرى فقد أطلق على «الإرهاب» مصطلح قرآني « الحرابة» أو «المحاربة لله ولرسوله»، فالمفسد في الأرض ـ بالمعنى الذي ذكرنا ـ هو في حالة حرب مع الله ورسوله[3] !!. وهل هناك أفظع من هذه الجريمة التي تجعل صاحبها في حرب مع الله والرسول(صلى الله عليه وآله) ... لذا كانت العقوبة شديدة، ورادعة، وصارمة، قال تعالى:

**﴿ إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ**

---

١ـ أنظر: المعجم الوسيط ـ لمؤلفيه: مصطفى: إبراهيم ـ الزيات: أحمد حسن ـ عبد القادر: حامد ـ النجار: محمد علي ـ ص ٣٧٦ ـ المكتبة الإسلامية (استانبول) ـ تركيا.

٢ـ قارن: يعقوب: أحمد حسين ـ حكم النبي(صلى الله عليه وآله) وآله على الإرهاب والإرهابيين، ص ١٥، الدار الإسلامية، بيروت.

٣ـ نفسه، ص ١٨ ـ ١٩ (بتصرف).

﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

## في تعريفات الإرهاب:

بالجمع بين عدَّة تعريفات لفقهاء مسلمين قدامى يمكن أن نحصل على تعريف للإفساد في الأرض (المحاربة) وبالمصطلح الحديث : الإرهاب :

## التعريف الفقهي للإرهاب :

«المحارب (أو المفسد في الأرض = الإرهابي) هو كل من أظهر ، السلاح وجرَّده (وكان من أهل الريبة)، لإخافة الناس في برٍّ أو بحر ، ليلاً كان أو نهاراً ، في مصر (بلد) أو غيره ، سواء أكان ذكراً أو أنثى ، قوياً أو ضعيفاً ، ولا ينظر الى العدد بل الشوكة ، ولا يشترط أخذ النصاب ويثبت بشهادة عدلين ، وبالإقرار ولو مرة ... وسواء أكان ذلك في بلاد الشرك أو في بلاد الإسلام .. في العمران والأمصار ، أو في البراري والصحارى..»[2].

## في التعريفات المعاصرة :

هاكم بعض النماذج من هذه التعريفات ، بغية التفريق بين الإرهاب من جهة والمقاومة المشروعة ، في حين أنَّ التعريفات للإرهاب بلغت حداً يجعلنا ندرك أنه لم يتم الاتفاق بين الجهات المعنية على تعريف واحد محدد .. وهناك أسباب

---

١ـ سورة المائدة، آية ٣٣.

٢ـ أخذنا هذا التعريف من جملة تعريفات للشيخ الطوسي في (النهاية في مجرد الفقه والفتاوى ـ ج ٢٣ ـ من الينابيع الفقهية ، ص ١٠١ ) وللحلي في (السرائر الحاوي لتحرير الفتاوى ـ ج ٢٣ من الينابيع ـ ص ٣٧٢) ، وللحلي في (شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام ـ ج ٢٣ من الينابيع ـ ص ٢٧٣) ولأبي عبد الله شمس الدين العاملي في (اللمعة الدمشقية ـ ج٢٣ من الينابيع ـ ص ٤٥)، وللإستزادة أنظر : يعقوب : أحمد حسين (في مرجع سبق ذكره حول الإرهاب والإرهابيين ـ ص ٤٩ ـ ٥٠) .

موضوعية ، وأخرى ذاتية تخص الدول والجهات ، أوصلت الأمور إلى حد عجز هؤلاء عن وضع التعريف الجامع ، المانع للإرهاب ، ولعل السبب الرئيس يعود الى ما سبق ان أشرنا إليه وهو «الخلط المتعمَّد بين الإرهاب ـ وبخاصة إرهاب الدولة ـ وبين المقاومة الوطنية المشروعة ، التي هي حق للشعوب المحتلة أراضيها، كما هو حال الشعب الفلسطيني (والشعب اللبناني والسوري وغيرهم) ومقاومته المسلحة لتحرير أرضه واستعادة مقدساته»[1] .

والأمم المتحدة نفسها ـ فضلاً عن دول وحقوقيين ورجال قانون دولي ـ عاجزة عن تعريف الإرهاب ، وذلك «لأنَّ المؤسسة الدولية ليست حرَّة في تحديد معالم الجريمة الدولية ، والتي غالباً ما تأخذ منحى سياسياً ، وهي قد تخطئ إذا أقدمت على وضع تعريف للإرهاب ينسجم مع مصالح الدول الكبرى ، ويتجاوز مصالح وحقوق الشعوب المستضعفة ... وحتى قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي ، الصادرة حول موضوع الإرهاب يشوبها الكثير من التشويه والانحياز ، وهي بالضرورة بحاجة إلى إعادة نظر ومراجعة دولية جديدة»[2] .

ويرى البعض أنَّ السبب في معارضة الولايات المتحدة الأميركية لأي جهد لتعريف الإرهاب ، هو التزامها الدائم والإستراتيجي بدعم الكيان الصهيوني ، هذا الكيان الذي يمارس أبشع أنواع إرهاب الدولة ضد الفلسطينيين واللبنانيين والشعوب العربية ، وهذا الرأي صحيح ومنطقي ، لأنَّ الاتفاق على تعريف واقعي

---

١ـ راجع : اللداوي : د. مصطفى يوسف ـ الإرهاب الصهيوني ـ ص ٣٧ ـ مركز دراسات الوحدة الإسلامية ـ بيروت .

٢ـ نفسه ، ص ٣٨ .

للإرهـاب لن يكون لصالح العدو الصهيوني ، على الإطلاق ، وهذا ما سيحرج ـ إن كانـت تحـرج ـ الولايـات المتحدة ، إذْ سيطالبها المجتمع الدولي ـ هذا إنْ طالبها ـ برسم سياسة جديدة غير منحازة للكيان الصهيوني !!

**التعريف الدولي للإرهاب :**

إنَّ المعـاهدة الدولـية التـي عقـدت بإشـراف عصبة الأمم لمكافحة الإرهاب ، عرَّفـت الإرهـاب الدولـي بأنـه «الأعمال الإجرامية الموجهة ضد الدولة، والتي من شـأنها وطبيعـتها إثـارة الرعـب لـدى شخصـيات أو جماعـات معيـنة ، أو لـدى الجمهور»[1] .

وقد عرَّفت الجمعية العامة للأمم المتحدة بموجب قرار رقم (٣٠٣٤) ت ١٢/١٨ /١٩٧٢م، الإرهاب ، تعريفاً يبدو أكثر وضوحاً ، في الفصل بين الإرهاب الإجرامي والمقاومـة المشروعة ، « وإن كانت الولايات المتحدة الأميركية قد حاولت خلال مناقشـة القـرار حصر المناقشـات بموضـوع الإرهـاب غير الرسمي ، وذلك بغرض إخراج الدولة الصهيونية من دائرة الإرهاب الرسمي..»[2] .

والتعريف هو كالآتي :

**الإرهـاب الدولـي :** هـو « كـل عنف منظم ، أو التهديد به ، يقوم به أفراد أو جماعـات أو حكومـات أو دول لخلق حالـة من الخوف أو الذعر أو اليأس بقصد تحقـيق أهـداف عامـة ، سياسـية أو اجتماعـية أو اقتصـادية . وتعتبر أعمالاً إرهابية أعمال القمع والتوسع والاحتلال والاستغلال والهيمنة ، بكل أشكالها التي تمارسها

---

١ـ انظر : العوجي : د. مصطفى ، القانون الجنائي العام ، النظرية العامة للجريمة ـ ص ٢٤٤ .
٢ـ الإرهاب الصهيوني (مرجع ذكر سابقاً ) ـ ص ٧٥ .

الأنظمة الاستعمارية ، وأنظمة التمييز العنصري والهيمنة الأجنبية ، ولا تعتبر أعمالاً إرهابية نضال الشعوب وحركات التحرر الوطني لأجل تقرير المصير والتحرير والاستغلال»[1] .

وللوضوح أكثر نورد هذا التعريف لإرهاب الدولة : «إرهاب الدولة» ونعني به الأعمال الإرهابية التي تقوم بها الدولة بنفسها ، وكذلك الإرهاب الذي ترعاه الدولة وتتكفَّله ، ولو قام به أفراد أو مجموعات من أناس آخرين[2] .

ونكتفي في مجال التعريف بالإرهاب ، بتعريف يميز بينه وبين العنف ، يقول جوليان فرونيد : «الإرهاب يقوم على استعمال العنف دون تقدير أو تمييز بهدف تحطيم كل مقاومة ، وذلك بإنزال الرعب في النفوس ، وهو لا يرمي فقط كما العنف إلى القضاء على أجساد الكائنات وتدمير الممتلكات المادية ، بل يستعمل العنف بشكل منسَّق ليخيف النفوس ويرهبها ، أي أنَّه يستعمل جثث العنف ليزرع اليأس في قلوب الأحياء»[3] .

## ثالثاً : التمييز بين المقاومة المشروعة ، والإرهاب :

سبقت الإشارة إلى أنَّ المعاهدات الدولية تعرِّف الإرهاب بأنَّه « كل فعل من شأنه التسبُّب بالموت، أو بضرر جسدي خطير يطال المدنيين ، أو أي أشخاص لا يشاركون مباشرة في النزاع بهدف ترويع السكان أو إرغام الحكومات والمنظمات

---

١ـ نفس المرجع ، نفس الصفحة .

٢ـ راجع : سليمان : عبد الله سليمان ـ المقدمات الأساسية في القانون الدولي الجنائي ـ ص ٢٢٢ .

٣ـ أنظر : اللداوي ـ الإرهاب الصهيوني ـ (مرجع سابق) ـ ص ٤٨ نقلاً عن : نبيل ، حاوي ، "أمراء الإرهاب في الشرق الأوسط" ـ ص ٤٧ .

الدولية على القيام بعمل أو الامتناع عن القيام بأعمال معينة» ..

وهذه هي وجهة النظر الغربية التي لا يمكن الموافقة عليها ، لأنَّها في المحصِّلة تخدم مصلحة الكيان الصهيوني ، ويعلِّق الدكتور «الفانك» على وجهة النظر هذه فيقول :

«لا بد من تعديل الموقف العربي ليصبح بالإمكان إعادة تعريف الإرهاب بحيث يمكن إستبعاد العمليات ضد الاحتلال الإسرائيلي من دائرة الإرهاب ، وإدخال المقاومين للاحتلال في دائرة المناضلين من أجل الحرية !!»

ويضيف «الفانك» :

«الإختلاف بين وجهتي النظر الغربية والعربية أساسي وجذري ، فالغرب يحكم على طبيعة أعمال العنف في حين يحكم العرب على أهداف العنف ، «مجرد قتل المدنيين هو عمل إرهابي بنظر الغرب بصرف النظر عن الهدف منه ، في حين أنَّ العرب يذهبون الى ما وراء العمل من أسباب وأهداف قد تبرِّره..»[1] ، وينسى الدكتور «الفانك» أن يقول ، بأنَّ الصهاينة جميعهم ، لا مدني بينهم ، بل كلّهم إما عسكري «محارب» في الخدمة الفعلية ، أو متقاعد أو احتياطي متدرب ومنتظر لأمر الالتحاق حيث يؤمر ، ولا فرق بين الرجال والنساء وكافة المستوطنين الصهاينة ، لأنهم جميعاً من المحتلين ، والمؤيدين لكل السياسة التي تنتهجها دولة الاحتلال لفلسطين ..

---

١ـ الفانك : د. فهد ـ جريدة الرأي الأردنية ـ العدد (١١٥٠٢) ، تاريخ ٢٠٠٢/٣/١٠ (انظر : حكم النبي(ﷺ) وأهل البيت(عليهم السلام) على الإرهاب ـ والإرهابيين (مرجع سابق) ـ ص ٥٨ .

## رابعاً : في الأطر القانونية والفقهية للمقاومة المشروعة :

### أ ـ عندما يناقش الصهيوني مسألة الإرهاب :

قبل الحديث عن الأطر الفقهية والقانونية للمقاومة ، رأيت أنْ أمهِّد لذلك بعرض مجموعة أفكار لأحد الكتاب الصهاينة وهو «نيتسان هو رفبتش» ، الذي كتب مقالة بعنوان : ما هو الإرهاب ؟ في صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية[1] ، أثار فيها عدة تساؤلات تجعل الإنسان ، حتى الصهيوني الذي يمارس الإرهاب بحق الشعب الفلسطيني بعقل بارد ، وأعصاب مسترخية ، يفكر في بعض الأوقات ، بأنَّ دفاع الضحية عن نفسها ، يعتبر أمراً مشروعاً ... أليس كذلك ؟!

ومن هذا النقاش الذاتي ، نطلُّ على مشروعية المقاومة ، فعندما يتساءل الكاتب الصهيوني الآنف الذكر : ما هو الإرهاب ؟ ومن هو الإرهابي ؟ ويقول : التعريف ، حتى ذلك الموجود في القواميس ، لا يسهِّل من هذه العقبة أبداً ... الإرهابية هي «نظام إرهاب تسلطي وأعمال عنف من أجل إخافة من يعارضه وإبادته» لتحقيق أهداف سياسية ، كما يقول قاموس «أكسفورد» ، إلا أنّه لا يذكر مغزى الإرهاب كعملية تقوم بها جماعات سرية أو حركات مقاومة تنطلق من كمائنها وتوجه الضربات ...

ويضيف الكاتب : «الإرهاب الكبير» لم يكن مجموعة من العمليات الإرهابية ضمن المفهوم السائد اليوم في وسائل الإعلام من قبل مجموعات تكافح من أجل التحرر الوطني أو تقاوم جيشاً احتلالياً ، وإنما هي بالتحديد أعمال يقوم بها جهاز

---

١ـ الصحيفة صدرت في شهر تشرين الثاني ، ٢٠٠١ م .

الدولـة القمعـي : مـثل الاتحاد السوفييتي الستاليني ، أو إسبانيا الفرانكوية في الفترة السـابقة ، كـان «الإرهـاب الكبـير» نظام الرهـبة الـذي تشـكَّل إثر الثورة الفرنسية، ووصـل الـى ذروتـه فـي عهد روبسبير . «حكومة الجمهورية تدين لأعداء الشعب بالموت فقط« قال سان جيست موضحاً في حينه ..»

ما هو المعيار في اعتبار عمل ما إرهابياً وآخر ليس إرهابياً ؟

... يؤكد الكاتب الصهيوني ، الآنف الذكر ، أنَّ المسألة الأساسية هي السياسة ، فيتساءَل : ما هـو الفـرق ، إن كان موجوداً ، بين الإرهاب وبين الحركة الثورية أو بيـن العصيان وبيـن الأعمـال التي تقوم بها الدولة والنظام .. «عندما تنفجر قنبلة في مدرسة ويقتل ٢٠ طفلاً ، يعتبر ذلك إرهاباً ، أما عندما تقوم طائرة بقصف المدرسة نفسـها ، فـإنَّ ذلـك يعتـبر عملـية عسـكرية» هـذا مـا قالـه الدكـتور «أيـل غـروس» الاختصاصي في القانون الدولي في جامعة تل أبيب منتقداً .

ويضيـف الكاتـب : مـن المهـم أن نقـول هـذا الأمـر : حسب المواثيق المختلفة ليس هناك تمييز في الواقع بين قصف أبراج التوائم وبين قصف مدرسة في كابول .. لمـاذا تعتـبر عملية تنفَّذ في «معالوت» إرهاباً ولا يعتبر ضرب لبنان كذلك؟ لماذا يعتبر مـا يفعلـه الفلسـطينيون الآن إرهابـاً ، ولا تعتـبر عمليات إسرائيل في المناطق إرهاباً ؟ هناك إرهاب تنظيمات وإرهاب دولة .. الخ ..

مـن خـلال هـذه التسـاؤلات التـي طـرحها هـذا الكاتـب الصـهيوني يمكـن لـنا الدخول في بحث الأطر من وجهة النظر الشرعية (القرآنية) :

## ب ـ الشرعية القرآنية ـ الفقهية للمقاومة :

المنطق القرآني يقول بالجهاد (المقاومة الجهادية) وليس بالإرهاب :

يقول عز وعلا: ﴿ وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ، وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ، فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ، وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[2].

نستنتج مما ذكرنا من آيات الكتاب ما يلي:

١. نحن مأمورون بالقتال في سبيل الله (وليس في سبيل أية غاية أخرى) الذين يقاتلوننا، ويعتدون علينا ...

٢. ونحن مأمورون بعدم الاعتداء، والمبدأ قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ ﴾.

٣. وهذا القتال هو لإخراجهم من حيث أخرجونا، أي استرداد الأرض والبلاد والأوطان التي أخرجنا العدو منها بفعل اعتدائه وحربه علينا.

٤. إنَّ الفتنة أشد من القتل، وقتالنا للأعداء هو من أجل منع الفتنة، ودرء المفاسد

١ـ سورة البقرة: ١٩٠ ـ ١٩١ ـ ١٩٢ ـ ١٩٣.
٢ـ سورة الممتحنة: ٨.

والظلم والاعتداء .. بكافة أشكاله .

٥. وفي حال انتهى العدو عن عدوانه ﴿فَلاَ عُدْوَانَ إلاَّ عَلَى الظَّالمينَ﴾ .

٦. ولا ينهانا الله ، بل يبيح لنا ، ويرغّبنا في التعامل الإنساني ﴿ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ مع الذين لم يقاتلونا ويعتدوا علينا لأسباب عقديه ـ دينية ، ولم يعتدوا أيضاً بإخراجنا من بلادنا وديارنا ، بأنْ يبعدونا عنها بواسطة العنف والطرد والترهيب ، (والإرهاب) .

والمبدأ المعتمد هو قوله تعالى : ﴿ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ .. وفي هذا ترغيب للمؤمنين بالمعاملة بالحسنى ، مع الآخر ، من غير المعتدين والظالمين ..

مما سبق نلاحظ أنّ القتال الذي يأمر به القرآن الكريم ، قتال دفاعي ، ومقاومة للاعتداءات التي تمارس ضد المؤمنين ، ودائماً كانت الدعوة الى الله ، قائمة على أساس قوله تعالى : ـ ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ منَ الْغَيِّ﴾[1] ..

ـ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّه..﴾[2]

والمراجع للتاريخ ، تاريخ كافة الأمم، وتاريخ الأنبياء مع أممهم وشعوبهم يجد أنّ المستكبرين ، من الفراعنة والأباطرة والأكاسرة ، والفئات الإجتماعية «المستكبرة» والمستضعِفة (بكسر العين) للعبيد والفقراء والمساكين في تلك المجتمعات ، كانوا يمارسون الإرهاب والظلم ضد هؤلاء ، لأنّ منطق الكفر ،

---

١ـ سورة البقرة : الآية ٢٥٦ .

٢ـ سورة آل عمران : الآية ٦٣ .

الـذي يعنـي فـي المصطلح اللغوي : الستر ، ستر الحق ، هو منطق الإرهاب لتحقيق أهدافهم ومآربهم ومصالحهم على حساب المستضعفين والمقهورين :

ونستوحي مـن قولـه تعالى ، هـذا المعنى ، الذي كان أعداء الحقيقة القرآنية ، يمارسونه في زمن نزول الوحي الإلهي :

قال عز من قائل : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَـدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّـهِ وَالْفِتْـنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْـتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1] .

ونخلـص الـى أنَّ الإسـلام القرآنـي ، هـو الديـن الـذي دعـا الـى السلم والسلام والحـرية والإخـاء، والقسـط ، والتسامح ، وحرَّم الظلم والاعتداء وغصب الحقوق، وغصـب الأرض ، وتشـريد الناس من أرضهم ، والاستبداد والاستعلاء والاستكبار على الخلق ، والفساد في الأرض ، ونشر الخوف في البلاد وبين العباد .. ونهى عن الغـدر والخيانة ، وجعـل للحـرب آداباً وقواعـد إنسانية، لا تجدها في أي مبدأ أو نظام آخر ، فهو «لا يجيز الحرب الاستباقية ـ الوقائية ، بل ينهى عن العدوان ، وعن التعرض للنساء والأطفال وكبار السن والرهبان ويعامل الأسرى بالحسنى» الخ...

## ج ـ ... الأحكام الفقهية ... والإرهاب

بالإضـافة الـى مـا سبق ذكـره ، فـي تعريفنا الفقهي للإرهاب عندما تحدثنا عن

---

١ـ سورة البقرة ، الآية ٢١٧ .

الحرابة والإفساد في الأرض ، نذكر بعض الفتاوى التي وردت في بعض الرسائل، والتي لا تجوِّز استخدام العنف أو الإخافة والترهيب ، وحكمت بمنع وتحريم كافة أنواع الإرهاب ، بما يعنيه في المصطلح الحديث ، ومما ورد من فتاوى ، أنه لو أنَّ شخصاً أخاف آخر ، فهرب ، فأوقع نفسه من شاهق أو في بئر فمات ، فإن زال عقله واختياره بسبب الإخافة ، فالظاهر ضمان المخيف ، وإلا فلا ضمان عليه، ويضمن صاحب الكلب العقور مثلاً ، إنْ أهمل حفظ وحبس كلبه عن الأذية ، ويضمن جنايته ...

ولو أنَّ لصاً دخل بيتاً بقصد السرقة ، فعلى صاحب البيت ردعه بمختلف الأساليب الرادعة ، الأدنى فالأدنى .. حتى يصل الى الزجر أو الإيقاف أو الحبس أو الضرب أو القتل ، ومما ورد : من شهر سلاحاً (سيفاً أو غيره) فدمه هدر ، ومن بدأ فاعتدى على شخص فلا قود له .. الخ ..

وهناك أمثلة كثيرة في هذا الباب ، اقتصرنا على ما ذكرنا طلباً للاختصار ، إلا أنَّ المتأمل فيما ذكر ، يدرك أنَّ روحية الموقف الفقهي من مسألة الإيذاء والإخافة والإرهاب بشكل عام ، توحي بالسلبية المطلقة ، وتجعل عقوبة على فاعلها تختلف باختلاف الحال .

ومسألة الحرابة والإفساد في الأرض من أوضح الأمور الدالة على موقف القرآن والفقه الإسلامي من الإرهاب (الإجرامي) ..

ـ فعن الإمام جعفرالصادق (عليه السلام) عن أبيه محمد الباقر (عليه السلام) قال : « إذا دخل عليك رجل يريد أهلك ومالك فابدأه بالضرب إنْ استطعت ، فإنَّ اللص محارب لله

ولرسوله فما تبعك من شيء فهو عليَّ »[1].

ـ وعن أبي عبد الله الصادق(عليه السلام) قال: « قدم على رسول الله قوم من بني ضبَّة، مرضى، فقال لهم الرسول(صلى الله عليه وآله) أقيموا عندي، فإذا برئتم بعثتكم في سرية، فقالوا: أخرجنا من المدينة، فبعث بهم الى إبل الصدقة يشربون من أبوالها (كدواء)، ويأكلون من ألبانها فلما برؤا واشتدوا، قتلوا ثلاثة ممن كانوا مع الإبل، فبلغ ذلك رسول الله(صلى الله عليه وآله) فبعث إليهم علياً(عليه السلام) وهم في وادٍ قد تحيَّروا، ليس يقدرون أنْ يخرجوا منه، قريب من أرض اليمن، فأسرهم وجاء بهم إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) فنزلت هذه الآية: ﴿ **إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[2].

ـ إنَّ العقوبة التي يفرضها الشارع المقدَّس على الإرهابي المفسد في الأرض تظهر الموقف الشرعي ـ الفقهي، كما أسلفنا، من الإرهاب، وتشكل ردّاً واقعياً على الذين يتهمون الإسلام والقرآن بالدعوة للإرهاب.

فقد جاء عن الإمام أبي جعفر الباقر(عليه السلام): « من شهر السلاح في مصر من الأمصار، فعقَر اقتص منه، ونفي من تلك المدينة، ومن شهر السلاح في غير الأمصار وضرب وعقر وأخذ المال ولم يقتل، فهو محارب وجزاؤه جزاء

---

١ـ الشيخ الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن ـ تهذيب الأحكام في شرح المقنعة ـ مجلد ١٣ ـ ج٥ ـ ٦ ـ ص ١٢٤.

٢ـ نفسه ـ ج٩ ـ ١٠ ـ ص ١٢٥.

المحارب ، وأمره الى الإمام (الدولة) إنْ شاء قتله ، وإنْ شاء صلبه ، وإنْ شاء قطع يده ورجله من خلاف .

ثم قال : وإنْ ضرب وقتل وأخذ المال فعلى الإمام أنْ يقطع يده اليمنى بالسرقة، ثم يدفعه الى أولياء المقتول فقال : إنْ عفوا عنه ، فإنَّ على الإمام أن يقتله (الحق العام) ، لأنه حارب الله ورسوله ، وقتل وسرق .

فقيل للإمام(عليه السلام) : أرأيت إنْ أراد أولياء المقتول أنْ يأخذوا منه الدية ، ويدعونه ألَهم ذلك ؟ فقال الإمام(عليه السلام) : لا ، عليه القتل»[1] .

## د ـ حول الأطر القانونية للمقاومة المشروعة :

إنَّ الكلام حول الأطر القانونية للمقاومة المشروعة يتطلب التمييز بين موقفين :

الموقف الأول : هو موقف الدول الأوروبية الغربية ، والولايات المتحدة الأميركية والكيان الصهيوني ، وهذه الدول تجهد لإبعاد أية صفة شرعية للمقاومة، وتخلط بين المقاومة المشروعة والمقاومة غير المشروعة وهي ما نسميه الإرهاب ، فكل العمليات التي تتسم بالعنف ، وتسقط فيها دماء سواء أمورست من قبل جماعات متطرفة أو دول لا شرعية جماهيرية لها ، أم قامت بها حركات تحررية ، تمارس كفاحها المسلح ، وجهادها المقاوم ، لرفع ظلم الطغاة والاستكبار والاحتلال ..

وهذا ما عبَّر عنه المركز القومي للتقييم التابع لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وقد أوردته مجلة «أوريس« عام ١٩٨٤م ، عندما اعتبر إرهاباً ، وليس

---

١ـ أنظر : اللمعة الدمشقية ـ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن جمال الدين مكي العاملي ، الشهير بالشهيد الأول ـ الينابيع الفقهية ـ ج٢٣ ـ ص ٢٦٧ .

مقاومة مشروعة أي تهديد باستخدام العنف لأغراض سياسية بواسطة أفراد أو جماعات سواء أكانوا يعملون مع ـ أو معارضون ـ لسلطة حكومية ثابتة،سواء قصد بأعمالهم صدم أو إكراه جماعة مستهدفة أوسع قدراً من الضحايا المباشرين ..

**الموقف الثاني** : وهو موقف الدول العربية ، وحركات التحرير، ومجموعة من دول العالم الثالث ، وهذا الموقف يدعو الى البحث « في جذور الظاهرة ، وبواعثها ، والأهداف التي دفعت القائمين بها» ، ولقد أخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة بهذا الرأي في الدورة السابعة عشرة للجمعية العام ١٩٧٣م ، وفي التوصيات جاء : «على الرغم من الحاجة الى مكافحة الإرهاب الدولي وغيره من وسائل العنف التي تهدد أرواح الأبرياء أو تحرم الأفراد من حرياتهم الأساسية ، إلا أنَّ الأمر يتطلب دراسة الأسباب التي تكمن وراء ممارسة الإرهاب ، والتي تجد جذورها في الإحساس باليأس والإحباط والظلم . والذي يدفع بعض الناس الى التضحية بالأرواح الإنسانية ، بما في ذلك أرواحهم هم أنفسهم ، وذلك من أجل إحداث تغيرات راديكالية في معالم هذه الصورة القاتمة» .

## خامساً: مشروعية المقاومة بين حق تقرير المصير، وحق الدفاع عن النفس:

### ١ـ حق تقرير المصير :

إنَّ حق تقرير المصير هو « المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب ، وبأن يكون لكل منها الحق بتقرير مصيرها» ، وفي قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ، تحت عنوان «إعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة» تحت رقم ٥١٤ (د ـ١٥) عام ١٩٦٠م ، نصت الفقرتان الأوليان من البيان على ما يلي :

١. إنَّ إخضاع الشعوب للاستعباد الأجنبي وسيطرته واستغلاله يشكِّل إنكاراً لحقوق الإنسان الأساسية ، ويناقض ميثاق الأمم المتحدة .

٢. لجميع الشعوب الحق في تقرير مصيرها ، ولها بمقتضى هذا الحق أنْ تحدد بحرية ، مركزها السياسي، وتسعى بحرية الى تحقيق إنمائها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ...

وباعتبار أنَّ حق تقرير المصير ، هو حق تدعمه الشرعية الدولية، فقد جاء في البرنامج الصادر عن الجمعية العام للأمم المتحدة (١٩٧٠/١٠/١٢) أنَّ الكفاح المسلَّح لنيل الاستقلال ، من الحقوق الأصيلة للشعوب ، كما جاء في البرنامج المذكور : إنَّ للشعوب المستعمرة حقها الأصيل في الكفاح بجميع الوسائل الضرورية التي في متناولها ضد الدول الاستعمارية التي تقمع تطلعاتها الى الحرية والاستقلال» .

وعليه فهناك نوع من العنف وهو الذي يهدف الى تقرير المصير ، والدفاع عن النفس ، والتحرر من القوى الاستكبارية ، وتحرير الأرض المحتلة ، هذا العنف الذي يمكن تسميته (مقاومة) يكتسب المشروعية الدولية ، وهو في خدمة السلام العالمي الذي يعتبر الاستعمار (والاحتلال) مناقضاً له .

## ٢ـ حق الدفاع عن النفس :

لا مشَّاحة في أنَّ حق الدفاع عن النفس هو حق طبيعي قد كفلته شرائع السماء، كما القوانين الوضعية ، وخصوصاً شرعة حقوق الإنسان وإعلانات الأمم المتحدة، ويحاول أحد الكتاب الصهاينة ، إخفاء بعض الممارسات المضادة لهذا الحق من قبل أمريكا ، إلا أنه وقع في فضح هذه الممارسات ، فقال الكاتب الصهيوني

(نيتسان هورفبتش)[1] : « قضية الدفاع عن النفس توجد من الناحية القانونية في قلب الجهاز ال المناهض للإرهاب الدولي .. القانون الدولي يضع أمام ذلك محكين اثنين : الحاجة والنسبية . الأمريكيون يدَّعون أنهم يملكون المحكين معاً . أمريكا أعلمت مجلس الأمن قبل بدء الهجمة على أفغانستان أنها تقوم بالدفاع عن نفسها حسب البند (٥١) من وثيقة الأمم المتحدة . الأسرة الدولية قبلت ـ في الواقع ـ ادعاء أمريكا أنَّ هجمة أيلول هي «هجمة مسلحة» عليها، ودخل مجلس الأمن إلى حيِّز العمل ، حسب الفصل السابع من الوثيقة ، وعنوانه «تهديدات على السلام وخرق السلام ، وأعمال عداء...» الأمريكيون يدَّعون أيضاً أنَّ هجماتهم ممركزة ومتزنة ومضبوطة ، ولذلك فهي تستجيب لمبدأ النسبية .

... قبول الادعاءات الأمريكية ـ يضيف «هورفبتش» ـ يدخل القانون الدولي في مساحة غير معروفة ، هذا الفرع يتعامل بشكل تقليدي مع الصراعات بين الدول، وفي وقت لاحق أخذ يدلي برأيه في الحروب الأهلية ، ومن ثم طبق قوانين الحرب جزئياً على المجموعات السكانية الواقعة تحت الاحتلال أو الاستعمار . وإذا نجحت الولايات المتحدة في وضع يدها على أسامة بن لادن فإنَّ الأمريكيين يطمحون لتقديمه للمحاكمة بتهمة اقتراف جرائم ضد الإنسانية ، رجال القانون من الأمريكيين يعتقدن أنَّ هذه المسألة ممكنة بالتأكيد ، بناء على تعريف قانون جرائم ضد الإنسانية .

ربما كان هذا سبب عدم تشكيل المحكمة الدولية الجنائية حتى الآن والتي

---

١ـ ذكر المرجع سابقاً .

كان بإمكانها أن تحاكم أعضاء تنظيم «القاعدة» من خلال الشرعية الدولية الراسخة «إذ إنَّ كل الرغبة في إنشاء محكمة خاصة للإرهاب تنبع من عدم وجود محكمة جنائية دولية» يقول «ليرنر» : العقبة الأساسية أمام إنشاء محكمة دائمة هو معارضة الولايات المتحدة التي تخشى من تقديم الجنود الأمريكيين لهذه المحكمة .

## قضاة العالم !.. يفتضحون !!

يقول الكاتب الصهيوني : سياسيون ون يقولون الأمر بشكل صريح : إنَّهم لا يريدون الظهور بمظهر «قضاة العالم» وكانوا يودون أنْ تقوم محكمة دولية بمساعدتهم في كفاحهم ضد الإرهاب ، الا أنهم ليسوا مستعدين لأن تحاكم هذه المحكمة أي كان ، في مرة من المرات . هم بالطبع ليسوا مستعدين أيضاً. لإيداع صلاحية مهمّة تعريف «الإرهاب» الحسّاسة والحاسمة بيد طرفٍ آخر ، «هذا التعريف هو مسألة صعبة جداً»، يقول البروفيسور «ليرنر» «ولكن رغم كل شيء فما زلت أعتقد أن من الممكن تعريف الإرهاب لأنني مؤمن كبير بقوة الكلمات».أ.هـ

## الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب[1] .. والمقاومة المشروعة:

تعرِّف هذه الاتفاقية الإرهاب ، وتستثني الكفاح المسلح ضد الاحتلال ، فتقول إنَّ الإرهاب هو كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أياً كانت بواعثه أو أغراضه .. يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي ، وبهدف إلقاء الرعب

---

١ـ وقّعت في القاهرة في ١٩٩٨/٤/٢٢ .

بيـن الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر أو إلحـاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة ، أو احتلالها أو الاستيلاء عليها ، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر .. ولا تعد جريمة إرهابية حـالات الكفـاح بمختلف الوسـائل بمـا فـي ذلـك الكفـاح المسلَّح ضد الاحتلال الأجنبي والعدوان من أجل التحرُّر وتقرير المصير .

وتقـول الاتفاقـية : أمـا خطف الطائرات وتخريبها أو استخدام المواد النووية أو القرصـنة الـبحرية أو اسـتخدام المـتفجرات البلاسـتيكية وغـيرها ، أو الـتعرض للأشـخاص المتمتعيـن بحماية أو اتخاذ الرهائن بهدف إكراه طرف ثالث على أمر مـا ، فإنَّـه لـم يـتم البت بكونها جريمة إرهابية أو لا بد من المعاقبة عليها ، ذلك أنَّ الأمر يحدَّد من خلال عدة أمور :

- أولاً : الجهة التي أقدمت على الفعل .
- ثانياً : الغاية من الفعل .
- ثالثاً : الجهة التي تعرضت للفعل ، مدنية ، أو عسكرية .
- رابعاً : نوعية الفعل أو الأسلوب ...

## سادساً : نماذج من المقاومة غير المشروعة (أي الإرهابية):

قبل الولوج في الحديث عن هذه النقطة ، أعترف أنَّ هذا العنوان غير موفق إلى حـد مـا ، ولكنني استخدمته مجاراة للاستخدامات الإعلامية والاستكبارية ، لأَصِلَ إلـى تثبيـت مصطلح المقاومة ، ليكون مختصاً بالمقاومة المشروعة ، وتكون كلمة الإرهاب مختصة بما يضاد هذه المقاومة ، من أعمال إجرامية ...

ولـو عدنـا الـى أصـل العـنف ، ومـن نظَّر له وشرَّع ، لوجدنا أنَّ الفكر الأوروبي

الليبرالي قد لعب دوراً مهماً بذلك ، فالعنف والثورة هي نتيجة حتمية لمنطق «هيغل» وجدليته (Thèse-Antithèse-Sinthèse) ، وفق صراع الأضداد .. وهذا المنطق قد تبنته الماركسية بعد إفراغه من محتواه ليصبح جوهر المادية الديالكتيكية . فالثورة الفرنسية معها تَقَوْنَنَ إرهاب الدولة المنظم ، ففي كلمة ألقيت أمام المؤتمر الوطني للثورة الفرنسية عام ١٧٩٤ ، جاء ما يلي : «يقولون إنَّ الإرهاب هو سبيل الحكومة المستبدة ، فهل حكومتنا إذاً تشبه الاستبداد ؟ أجل إنها تشبهه مثلما يشبه السيف الذي يلمع في يد بطل الحرية ، ذلك السيف الذي يتسلح به أذيال الطغيان ، إنَّ حكومة الثورة هي استبداد الحرية ضد الطغيان ، (جورج ساين ـ الفكر السياسي)[1] .

«وقد شنت الثورة الفرنسية في عهد الجاكوبيين حملة من العنف السياسي الذي أخذ شكل الإرهاب المنظم ، فتَحَتَ شعار حماية الثورة وحماية إرادة الشعب والدفاع عنها ، أكلت الثورة أولادها لكثرة ما عُلِّق على المشانق من المواطنين ومن قادة الثورة أنفسهم»[2] .

وإنْ ننسى فلا ينبغي أنْ ننسى إرهاب الثورة البلشفية ، فهو ذا «لينن» دعا إلى تشجيع الاندفاع الجماهيري ضد أعداء الثورة ، وقد كتبت صحيفة بولشفية على أثر محاولة اغتيال لينن : «كل نطقة دم من لينين يجب أن يدفع ثمنها البرجوازيون والبيض .. مئات القتلى .. إن مصالح الثورة تفرض الإبادة الجسدية للطبقة

---

١ـ انظر مجلة الوحدة الإسلامية ـ العدد السادس ـ السنة الأولى ـ ص ٦٠ ـ أيار ٢٠٠٢ .
٢ـ نفس المرجع ـ نفس الصفحة .

البرجوازية إنهم بلا رحمة فلنكن بلا رحمة»[1].

## الإرهاب الأمريكي والإرهاب الصهيوني يتعاونان ...

في تشبيه كريكاتوري للعلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني يقول صاحب التشبيه : «أمريكا كلب يحرِّكه ذنبه»؛ ولسنا بحاجة الى التدليل على التعاون الإرهابي بين الكيان الصهيوني والولايات المتحدة ، فالصهاينة أسّسَوا دولتهم المزعومة عن طريق الإرهاب ، والإرهاب فقط ، وقد طردوا الشعب الفلسطيني من أرضه وبلاده ، وكان شعارهم في المؤتمر الصهيوني الأول (عقد في مدينة بازل في سويسرا عام ١٨٩٧) هو «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»، وتحت هذا الشعار شرَّدوا وهجَّروا أكثر من نصف الشعب الفلسطيني ، وكان ذلك عام ١٩٤٨ ، وخاضوا حروباً ضد العرب ، ومن أبرز أعمالهم الإرهابية حرب ١٩٦٧، وحرب ١٩٧٣ وقصف المفاعل النووي العراقي عام ١٩٨١ ، واجتياح لبنان عام ١٩٨٢ ، كل ذلك بمساعدة ة واضحة ، وتواصلت الاعتداءات الإرهابية ، والمجازر التي حصلت منذ احتلال فلسطين (مجزرة حولا: ١٩٤٨ مجزرة حانين : ١٩٦٧ العملية الإرهابية المسماة عملية الليطاني : ١٩٧٨ سقط خلالها (٥٦٠) شهيداً وقتل في مجزرة صبرا وشاتيلا أكثر من ١٥٠٠ شهيداً أغلبهم من كبار السن والنساء والأطفال ، وفي عام ١٩٩٣ في اجتياح تموز ارتكبت مجزرة عملية «تصفية الحساب» واستشهد (١٣٣) شهيداً وهجر (٣٠٠) ألف شخص من بيوتهم . وفي مجزرة قانا والمنصوري ويحمر عام ١٩٩٦ «عملية عناقيد

---

١ـ نفسه ، ص ٦١.

الغضب» فإنَّ المدفعية الإسرائيلية تكفلت بحرق الضحايا وتهشيم أجسادهم وتمزيقها الى أشلاء وفي قانا وحدها سقط (١٠٧) شهداء من النساء والأطفال على الرغم من لجوئهم إلى موقع القوات الفيدجية التابع للأمم المتحدة، وقد أشار تقرير الأمين العام للأمم المتحدة الصادر في ٦ أيار ١٩٩٦ الى أنَّ «سقوط القذائف في منطقة قانا يجعل من غير المرجَّح أن يكون قصف مجمع الأمم المتحدة نتيجة أخطاء تقنية أو إجرائية»[١] ... أما حرب عام ٢٠٠٦م في تموز فإنَّ تعاون أمريكا والصهاينة بلغ الذروة وأقيمت جسور الإمداد الجوية بالسلاح عبر بريطانيا وهنا لسنا بحاجة للحديث عن عظمة الانتصار الإلهي الذي حقَّقته المقاومة الإسلامية لأنَّه أوضح من الشمس في رابعة النهار ...

## سابعاً : نماذج من المقاومة المشروعة (النموذج الأبرز : المقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين):

إنَّ مقاومة حركات التحرر الوطني للمشاريع الاستكبارية وللاحتلال هي حق أقرَّه القانون الدولي وهو تقرير المصير ، كما سبق القول ، «ويرى بعض المهتمين بالتمييز بين الإرهاب وبين أعمال المقاومة أنَّ شرعية أعمال المقاومة تحتاج الى شروط أهمها :

١. أن تكون حالة احتلال فعلي، ووجود لقوات الاحتلال داخل الأراضي المحتلة.
٢. أن يقوم بأعمال المقاومة أفراد من الشعب المحتلة أراضيه .
٣. أن تتم أعمال المقاومة ضد قوات الاحتلال العسكرية .

---

١ـ انظر : مجلة الوحدة الإسلامية ـ العدد ٦٠ ـ السنة السادسة ـ كانون الأول ٢٠٠٦ ، ص ٣٣.

٤. أنْ تكون أعمال المقاومة داخل حدود الأراضي المحتلة وليس خارجها.[١] إنَّ هذه الشروط وإنْ بدت غير مكتملة أو أنَّها تحتاج الى توضيح وإضافات، فإنَّها مهمة على مستوى التعريف بين المقاومة المشروعة، والأخرى غير المشروعة (الإرهاب..) وهكذا فإنَّ الكفاح الفلسطيني ومقاومته، هو مقاومة شرعية أكدت عليها الجمعية العامة للأمم المتحدة، كما أعطت الأمم المتحدة لشعب فلسطين الحق لاستعمال كافة الوسائل بما فيها الكفاح المسلَّح ضد الاحتلال، وهذا يعني خلافاً للشروط التي ذكرناها آنفاً « حق الشعب الفلسطيني في المقاومة والكفاح المسلح ضد الكيان الصهيوني أينما امتدت السيادة الصهيونية، عموم أراضي فلسطين ـ المدن ـ والمستعمرات، السفارات الصهيونية ـ السفن ـ الطائرات ـ الشركات وكل العاملين في خدمة أهداف الصهاينة التوسعية والعدوانية» ..[٢]

... وتأتي المقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين لتشكل النموذج الأصيل للمقاومة الجهادية، التي هي حق للشعوب في مقاومة الاحتلال والدفاع عن النفس والحفاظ على السيادة. ولقد بذلت هذه المقاومة في فلسطين ولبنان جهوداً جبارة وقدمت التضحيات الكبرى، فكانت شلالات الدماء الطاهرة من أجل تحرير الأرض والإنسان واستعادة الحقوق المغتصبة وطرد العدو من الأرض التي احتلها كما حصل في تحرير لبنان عام ٢٠٠٠م، والصمود في وجه الصهاينة

---

١ـ اللداوي (الإرهاب الصهيوني، ص ٧٣) نقلاً عن محي الدين عشماوي (الإرهاب وحق المقاومة في القانون الدولي) ـ الأهرام ـ أيلول ٢٠٠١ م.

٢ـ انظر مجلة الوحدة الإسلامية ـ عدد ٦ ـ أيار ٢٠٠٢ ـ سنة أولى ـ ص ٦٢.

والأمريكان في حرب ٣٣ يوماً في شهر تموز عام ٢٠٠٦م ، وتحقيق الانتصار الذي غـيَّر موازيـن القـوى فـي مواجهة الكيان الصهيوني ، فسقطت بذلك مقولة الجيش الذي لا يقهر الى الأبد ، ولا يضر بهذا الانتصار الإلهي إنكار بعض من في الداخل للنصـر الـذي تحقـق ، مـا دام العدو نفسه أقر واعترف بهزيمته ... وبشكل رسمي ، وعلى أعلى المستويات ...

كـل مـا ذكـرناه يثبـت مشروعية المقاومـة ، وإنْ كانـت مشـروعيتها الفقهـية والقانونـية و«الإنسـانية» ، لا تحـتاج الـى دلـيل حتى ولو لم يرضَ «قراصنة وأباطرة الإرهـاب الدولـي فـي العـالم» كمـا عـنْوَنَ الكاتـب «نعُّوم تشومسكي» كتابه الذي جلـب له المتاعب ... وقصة المقاومة والإرهاب ، في جوهرها ، يعبر عنها ما بدأ به الكاتـب المذكـور كـتابه ، عندما أورد القصة التالية : « وقع أحد القراصنة في أسر الإسـكندر الكبـير ، فسـأله : كـيف تجـرؤ على إزعـاج الـبحر ، كـيف تجرؤ على إزعـاج العالم بأسره أيها اللص ؟ فأجاب القرصان : لأنني أفعل ذلك بسفينة صغيرة فحسب ، فأدْعى لصاً، وأنت الذي يفعل ذلك بأسطول ضخم ، تُدْعى إمبراطوراً...»

إنَّ هـذه «القصـة تلـتقط بدقـة معيـنة العلاقـة الراهـنة بيـن الإرهـاب الحقيقـي ، ومقاومته على مسرح الإرهاب الدولي..» [1].

*وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .*

---

١ـ نفسه ـ ص ٣٠.

# المقاومة الإسلامية

## طهارة الهدف وقداسة الوسيلة

سعادة النائب محمد ياغي

## باسمه تعالى

لا شك بأنَّ المقاومة بما تعني محاربة الظُلم والاحتلال والهيمنة بدأت منذ فجر التاريخ ، حيث قادها الأنبياء والأولياء والصالحون ، وامتدت لتشمل بقاعاً من المعمورة على امتدادها الجغرافي حيث أصبحت أكثر شموليةً واتساعاً ، فبرزت شخصيات قيادية قادت شعوبها نحو التحرر والتخلص من ظلم المستعمرين والغزاةِ والمحتلين.

لقد تحدث القرآن الكريم عن ظالمين عُتاة كانوا يحكمون شعوبهم بالقهرِ والإذلال والتسلط ، مستخدمين كل وسائل الإرهاب والقتل والتصفيات ، معلنين أنفسهم أنهم أربابٌ وعلى الشعوب أن تخضع لهم بالقول والفعل ، بالقوة والضغط المتواصل . ولقد واجه الأنبياء والأولياء هذا الظلم المستشري وهذا الاستعباد المتلاحق بكل إيمانٍ وعزيمةٍ وإرادة ، وكانوا يتحملون كل المصاعب والمشقات والآلام في سبيل إخراجِ الناسِ من تحت سياط الجلادين والطُغاة .

هذا الجهاد الدامي والوقفات الربانية أوصلت الناس إلى الخلاص والأمان والتحرر من قيود هؤلاء الجبابرة ولتبدأ مرحلةً جديدة فيها الحرية والإنعتاق وكسر الأغلال .

القرآن الكريم نقل لنا مشهداً من مشاهد الاستعلاء والظلم والجور الذي كان سائداً في عصورٍ سابقة على أرض مصر ليقول :

**﴿ بسم الله الرحمن الرحيم : إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ**

الْمُفْسِدِينَ﴾

فـي المقـابل كـان نبـي الله موسـى يواجه هذا الطاغية فرعون مستنداً إلى الدعم الإلهـي بكـل ثـباتٍ وإصـرارٍ مؤكداً على تبيان ظلمه وفساده وتسلطهِ ، داعياً الناس للوقوفِ في وجهه دون خوفٍ أو ترددٍ أو وجل .

مشـهدٌ آخر مـن مشـاهد العنجهية والتسلُط والاستعباد للنمرود المتغطرس على أرض العـراق ، يقـف نبـي الله إبراهـيم ليُعلـن للمـلأ بُطـلان ادعاءاتـه وكل أساليبه الخادعة التي تستهدفُ الناس لصدهم عن سبيل الحق .

نهايـةُ الصـراع كانـت حـتماً لصـالح الأنبياء والأولياء حيث انتصر المستضعفون وهُزِمَ المستكبرون الظالمون شرَّ هزيمة .

مشـهدٌ فـي الـتاريخ أيضـاً حيـنما أعلـن الحسين بن علي(عليه السلام) حركته ونهضته وقـيامه فـي مواجهة الظُلم المفروض بقوة البطش والتصفيات والسجون والمقامع ، والـذي كـان متمثلاً بحاكمية يزيد بن معاوية الذي مارس كل ألوان القهر لإذعان الـناس وإخضـاعهم لآمريـته ، وهـو ما دفع الحسين(عليه السلام) لإعلان الثورة والخروج لمقاومـة هؤلاء الظلمة لتكون النتائج إنتصاراً للدم المقدَّس على جور البُغاة والقتلة والمجرمين .

ولنـنتقل الـى عصـرنا الحاضـر ونـتحدث عـن القـرن الماضي وما حصل فيه من أحـداثٍ مـتلاحقة وحـروبٍ مستعرة أدت لانتشارِ ظاهرة المقاومة في معظم بلدان العالم وبقاراتها المتعددة .

ولنـنطلق لنتحدث عن أسباب نشوء أية مقاومة في العالم من خلال حديثٍ ورَدَ عن أمير المؤمنين علي(عليه السلام) : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .

وحديث آخر عنه(عليه السلام) يقول فيه:

الموتُ في حياتكم مقهورين والحياةُ في موتكم قاهرين. هذان الحديثان يختصران حقيقة القيام لمواجهة القاهرين والمستعبدين.

إنَّ كلَّ مقاومةٍ في التاريخ كانت نتيجة طبيعية للاحتلال والعدوان والظلم، وردَّ فعلٍ حقيقياً يُمارسُ ضد المعتدين الذين كانوا يستهدفون الشعوب والأوطان.

فالإنسان حُرٌ في النشأة يرفض القيود والاستعباد والقهر ويتطلع دائماً إلى حريةٍ حقيقية لا يظلِمُ فيها ولا يُظلَمْ، لكنَّ سياسات التوسع والأطماع والسيطرة كانت دائماً دأبَ المستكبرين والطُغاة الذين خرجوا من إنسانيتهم وجعلوا أنفسهم وحوشاً على شكل بشر، فأشعلوا الحروب وارتكبوا المجازر ودمَّروا وأحرقوا، تدفعهم غريزة التوسع والاستعلاء والهيمنة، فلا رادع ولا وازع ولا ضميراً إنسانياً ذاتياً عندهم ولا عقل خيرٍ ولا رحمة لديهم.

لقد نشأ عن حروبٍ مفتعلة في أواسط القرن الماضي تقاسم النفوذ العالمي وخاصةً في منطقة الشرق الأوسط بين قوى الاستكبار العالمي، حيثُ أصبحت دول المنطقة خاضعة لحكمِ الغربيين بأسلوبِ قوةِ الحديد والنار، إذ كانوا يُمارسون كل أساليب الاضطهاد والتعذيب والاعتقال والتصفيات الجسدية لتحقيق أهدافهم وفي طليعتها: نهب ثروات الشعوب وخيراتها، نشرُ الفساد بكل أشكاله الثقافية والاجتماعية والإعلامية، زرع أنظمةٍ سياسية في كل بلدٍ، وانتقاءُ عُملائهم ليكونوا خدماً لهم ولمشاريعهم الجائرة.

أمام هذا الواقع المظلم كان لا بُدَّ أنْ ينشأ ردُّ فعلٍ يُخرجُ الغازي والمستعمر المحتل، تمثَلَ بمجموعاتٍ من المقاومين الذين أخذوا عهداً على أنفسهم بمقارعة

المحتل للوصول إلى تحقيق الهدف الأساس بإخراجه من الأرض مهما علت التضحيات ومهما غلت الأثمان .

وبالفعل بدأت النتائج تظهرُ تباعاً بعد سنواتٍ من المقاومة والقتال سقط خلالها ملايين من الشهداء ليتحقق النصر ودحر الغزاة المحتلين عن الأوطان ، ولا أُبالغ إن قلتُ ملايين الشهداء ، لأنَّ مقاومة الشعب الجزائري للمستعمر الفرنسي وحدها كلَّفت مليون شهيد ، وكانت عنواناً من عناوين عزة هذا الشعب وكرامته وإبائه وعنفوانه الذي استحق الحياة الكريمة والحرية بكل جدارةٍ ومسؤولية .

لقد قامت ثورات عديدة في منطقتنا قاومت وقاتلت بكل شرفٍ وفخر ودون هوادة جموع المستعمرين والمحتلين ، حيثُ كانت توقِعْ فيهم الخسائر المادية والمعنوية مما حدا بالمستعمرين أن يفكروا جدياً بالانسحاب والاندحار عن هذه البلدان ، فكانت عناوين الاستقلال تتجسد حقائق ملموسة وإنجازات واقعية وانتصارات متعددة .

ففي لبنان قاوم المجاهدون مواقع المحتلين الفرنسيين ومراكزهم وأماكن تموضعهم ، وكانوا يحققون انتصارات موضعية هنا وهُناك لتشكل قوةً فاعلة لم يكن المحتلُ ليقوى على إطفاء شعلتها رغم كل محاولات التآمر والعمالة لهذا الأجنبي المتغطرس .

وفي سوريا كانت الثورة الكبرى التي اجتاح خلالها الثوارُ كل مواقع الغازي الفرنسي من أقصى شمال البلد الى جنوبه وشرقه وغربه، تصنع الانتصارات وتُلحق أفدح الخسائر البشرية والمادية بقوات الإحتلال الفرنسي وتجعلُهُ يجمعُ قواته للهرب من نار المقاومة وقوة المجاهدين وإراداتهم الصلبة التي شرعت أبواب

الحرية بدماءِ شهدائها وجهادهم الحقيقي .

وفي العراق كانت الثورة تستمدُّ دعمها وإسنادها من المرجعية الدينية في مواجهة الاحتلال الإنكليزي لتصنع ملاحم الفخار والمجد ولتدفع بالمستعمر الإنكليزي نحو انسحابٍ ذليلٍ ، تاركاً خلفهُ آلاف جنوده قتلى وجرحى بفعل عطاءات الشعب العراقي وتضحياته وتقديماته اللامحدودة .

أمَّا في دولِ شمالِ أفريقيا من مصر إلى ليبيا إلى الجزائر وتونس فالمغرب فكانت مقاومة الشعوب تنتشرُ وتسري بأسرع ما يكون وتحقق انتصاراتٍ باهرة وتدفع بالمستعمرين إنجليزيين وإيطاليين وفرنسيين إلى المغادرة السريعة بعد طول سنواتٍ من الاحتلال .

وكنموذج جهادي مقاوم في تلك المنطقة كانت ثورة الجزائريين الذين كانوا فدائيين بحق ، وكان بلدهم آخر بلدٍ في المنطقة يتحرر ، وذلك في أواسط الستينيات من القرن المنصرم ، وكانت ثورة المليون شهيد رمزاً للثورات في تلك الحقبة التاريخية ، وأيضاً ثورة الشيخ عمر المختار التي كانت نموذجاً من نماذج مقاومة الشعوب للمحتلين ، حيث اندحر فيها الإيطاليون عن أرض ليبيا مخلفين وراءهم خسائر كبيرة في الجنود وفي العتاد .

لم تقتصر المقاومة على المنطقة العربية بل امتدت إلى قاراتٍ أُخرى حيث كانت الاحتلالات الأجنبية تستولي على دول في أميركا اللاتينية مِن قبل الولايات المتحدة وإسبانيا وغيرها ، كانت كوبا تتعرضُ للاحتلال الاميركي ، ومنها إلى بوليفيا والبارغواي والبرازيل والأرجنتين وصولاً إلى دول أميركا الوسطى . لقد قامت هناك ثورات وحركات تحررية استطاعت أن تنقل تلك الدول من حال

العبودية والظلم والاحتلال إلى حال التحرر ورفض سياسات الغربِ بكل أشكالها وألوانها ، حيثُ برز بعض قادة هذه الثورات رموزاً تحررية في مرحلة من المراحل وما زالت أسماؤهم تُذكر إلى أيامنا الحاضرة .

ومن نماذج المقاومات في الشرق الأقصى قبل نصف قرن من الزمن مقاومة الشعب الفيتنامي للغزو الأميركي لأرضه . لقد كانت هذه المواجهة الطويلة من حيث الزمن شاهداً على قوة الإرادة والعزيمة والتصميم على الحرية لهذا الشعب الذي واجه بعنادٍ وثباتٍ لا يوصفان غطرسة الإدارة الأمريكية وقراراتها الظالمة واستهدافها لخيراتِ الشعوب . لقد هُزمت أميركا شرَّ هزيمةٍ في تلك الساحة وخرجت مدحورةً مهزومةً تجرُّ خلفها أذيال الخيبة والذل والعار .

وكان الشعب الفيتنامي يُقدِّم للعالم وللشعوبِ المغلوبةِ على أمرها نموذجاً من نماذج الصمود والثبات والصبر رغم عدم تكافؤ الإمكانيات وتوفر وسائل المواجهة المطلوبة . إنَّ هزيمة الأميركيين في تلك المنطقة وفي تلك الظروف عززَت قُدرة الشعوب على قتال المحتلين في أماكن أخرى من العالم وكان يومها النموذج الفيتنامي يشكل دروساً في أساليب المقاومة وكيفية الإيقاع بالعدو لتكبيده خسائر بشرية أوسع وأشمل .

**المقاومة في إيران:**

وقبل أن ندخُل إلى مقاومة فلسطين ولبنان لا بُدَّ من التأكيد على أن المقاومة والثورة هُما جُهدٌ فائق القُدرة على إسقاط القوى الظالمة المتحكمة والمتغطرسة . ولنأخذ نموذجاً الثورة الإسلامية في إيران التي باتت اليوم أمثولةً في العطاء وريادية في تقديم الثورة الأفضل في مقارعة الحاكم الظالم (شاه إيران) في هذا

الزمن ، والتي تبقى العنوان الأبرز والثورة النظيفة الطاهرة ، لأنها كانت تحت لواء الإمام الخميني المقدس(رض) ، تنهض وتقوم بتوجيهاته وإرشاداته وتعليماته . ولأنها كانت نهوضاً لله ورسوله لتُخرجَ هذا البلد المسلم من واقع القهر والتسلط والاستعباد إلى نور الحرية والتحرر والخلاص ، ولتُصبح البلد الأول الذي يقفُ في مواجهة الاستكبار وقفاتٍ ثابتة لا تهزهُ رياح التآمر الأميركي ولا تهديدات الصهاينة وأمثالهم رغم كل أشكال الضغوط المتتالية والحصار الاقتصادي المفروض عليه .

لقد كانت تلك المقاومة الإسلامية الشعبية في إيران ، والتي دفعت عشرات آلاف الشهداء والجرحى والمعوقين ، نموذجاً جديداً في إسقاط النظام الملكي المرتبط بالقوى الغربية والذي كان يطغى ويظلم ويفقر الشعب ويتسلط على كل موارده وخيراته وثرواته .

كان الانتصار في ١١ شباط ١٩٧٩ إنتصاراً إلهياً جعل إيران جمهورية إسلامية ودولة إقليمية تُحسبُ لها كل الحسابات ، تتقدم وتتطور وتنتقل من حالٍ إلى حالٍ أفضل وترتقي لتصبح قوة قادرةً عظيمة في منطقة الشرق الأوسط .

**المقاومة في فلسطين :**

حينما هُزِمَ المستعمرون الغربيون في المنطقة وخرجوا منها أذلاءَ خانعين ليتحقق الاستقلال في معظم دول المنطقة ، كان الصهاينة يسيطرون على مركز القرار في إنجلترا ويديرون الأمور كيفما شاؤوا خدمةً لمصالحهم وتحقيقاً لأهدافهم وكان الإنجليز آنذاك يحتلون أرض فلسطين فكان أن طالبهم الصهاينة بداية الأمر باقتطاع جزءٍ من فلسطين ليقيموا ما يسمى بدولة إسرائيل عليها بزعمهم

أنها أرضُ الميعاد ، فوافق الإنجليز على ذلك ، وكان وعد بلفور (وزير خارجية إنجلترا آنذاك) قراراً إنجليزياً ظالماً بحقّ شعب فلسطين حيثُ بدأت حركة الاستيطان من اليهود الآتين من دول أوروبا وغيرها تنتشر في بلدات وقُرى فلسطين . وكان الصهاينة آنذاك يشكلون عصابات إجرامية عملت على ارتكابِ مجازر ومذابح كثيرة في دير ياسين وكفر قاسم وغيرها ، دفعت إلى تشريد آلاف الفلسطينين من بلداتهم وقُراهم باتجاه الدول المجاورة .

ولم يكن في بداية الأمر أيةُ مقاومةٍ لهؤلاء الصهاينة المجرمين . اللهم ، سوى أمورٍ فردية لا تُشكل قوةً بالمعنى الحقيقي . وحينما تشكلت مجموعات المقاومة وانطلقت تنفذ العمليات العسكرية كان السلاحُ بدائياً وكانت الأنظمة المجاورة لا تُقْدم على أيٍّ فعلٍ ينتصر لمظلومية الفلسطينيين بل كانت صامتة بمعظمها إن لم يكن بعضها متآمراً لمصلحة الصهاينة وأسيادهم .

كانت المقاومة مقاومة شبابٍ متحمسين من فلسطين وغيرها ، تدفعهم دوافع الدين والكرامة والنخوة العربية ، وسُجِّلت معارك في الداخل الفلسطيني سقط بنتيجتها مجاهدون من دولٍ مجاورة كان في طليعتهم الشيخ عز الدين القسَّام والنقيب محمد زغيب وعشرات الشهداء من فلسطينيين وعرب .

في العام ١٩٦٨ إنطلقت شرارة المقاومة الفلسطينية وبدأت تتشكل منظمات عسكرية مقاتلة في مخيمات الفلسطينيين المنتشرين في دول عربية مجاورة ، وكانت هذه الانطلاقة ردَّ فعلٍ على الاحتلال حيثُ كانت المجموعات الفدائية تنطلق في عمليات حيناً بعد حين تُربك العدو الصهيوني وتُلحق به بعض الخسائر ، لكنَّ الموقعة المفصلية في تاريخ هذه المقاومة كانت في معركة الكرامة عام

١٩٦٨ والتي جاءت رداً قوياً قاسياً على نكسة حرب حزيران ١٩٦٧ ، فبرز دور المقاومة الفلسطينية دوراً فاعلاً وقادراً رغم أنَّ العدو إستطاع أن يتوسع خلال حرب الـ ٦٧ ويضم باقي الأراضي الفلسطينية إلى كيانه المشؤوم بما فيها القدس الشريف إضافةً إلى إحتلاله لأراضٍ عربية جديدة من مصر إلى سوريا والأردن وأراضٍ من لبنان أيضاً .

## المقاومة في لبنان :

بقيت هذه المقاومة ذات فعلٍ وقُدرة حتى العام ١٩٨٢ حينما اجتاح الصهاينة الأراضي اللبنانية وحصلت معارك ومواجهات عنيفة جداً دفعت بالمقاومين الفلسطينيين للتراجع تحت ضغط القصف الجوي المدمِّر وفي ظروفٍ صعبةٍ يبقى الحديثُ عنها مورد نقاش ، إلى أن إنسحبت القوات الفلسطينية براً وبحراً إلى دولٍ أُخرى في المنطقة .

في تلك المرحلة التاريخية كانت النقاشات تدور بين العلماء والشباب المؤمن المجاهد ، أنَّه ما هي الطريقة التي علينا إتباعها لإنقاذ بلدنا ولطرد الغزاة الصهاينة المحتلين وكان هذا السؤال يُطرح على الولي الفقيه الإمام المؤسس الراحل الخميني العظيم ليُعلن أمام جمعٍ من الإخوة المجاهدين : أن عودوا إلى بلدكم وابدأوا من نقطة الصفر بمقاومةٍ تواجه هذا العدو وتزلزلُ أركانه واعلموا أنَّ الله معكم وناصركم .

إنطلقت المقاومة الإسلامية في عملياتها الجهادية وكان شعار مجاهديها «الشهادة أو النصر» وهو شعارٌ يتضمن في حقيقته أداء الواجب الشرعي بتنفيذ العمليات العسكرية ، فلتأتِ النتائج بما تأتي ، فإن كانت شهاده فتلك إحدى

الحسنين وإن كانت نصراً فهي حُسنى أيضاً ، لكن في كل الأحوال سيتحقق النصر ولـو بعـد حيـن ، فالأمـر يحـتاجُ إلى صبرٍ وإيمانٍ قبل كل شيء وهو ما حصل في الواقع والحقيقة .

لقـد استخدمت المقاومة الإسلامية كل الوسائل والأساليب المشروعة في قتالها للعدو الصهيوني ، فكانت إحدى أبرز ركائز العمل الجهادي المسلح هي العمليات الاستشـهادية التي جعلت قادة العدو سياسيين وعسكريين يبكون بكاءً شديداً على قتلاهم .

إحـدى نمـاذج هـذه العمليات عملية الشهيد المجاهد أحمد قصير ، هذا الفتى العاملـي الـبطل الـذي هـزَّ مفاصـل كـيان العدو ودفع بمناحيم بيغن رئيس حكومة العدو على إعلان الحداد العام وتنكيس أعلام كيانه لمدة أيامٍ ، وبالتالي فإنَّ العدو بدأ يُدرك جيداً أنه أمام رجالٍ من نوعيةٍ لم يعهدها من ذي قبل .

إنَّ مشـروعية العمـل الاستشـهادي مسـتمدة من أحكام الإسلام الحنيف ، وهي وسـيلةُ فائقـةُ القـدرة علـى إلحاق أكبر الخسائر بقواتِ العدو حيث إنَّ نتائج عملية الشـهيد أحمـد قصير على الصعيد البشري كانت حوالي مائتين وخمسين قتيلاً بين ضابطٍ ورتيبٍ وجندي من جنود الاحتلال الصهيوني .

إنَّ اسـتخدام الوسـائل العسـكرية والأمنـية ماديـة وبشـرية فـي مواجهـة المحتل الصـهيوني هـو حـقّ مشـروع باعتـبار أنَّ كيان العدو هو كيان حربٍ دائمة ، وكيان عـدوانٍ مسـتمر علـى لبـنان وعلى الأمة ، هو كيان عانينا منه في لبنان وتحديداً في جنوبـنا العزيـز مـنذ العـام ١٩٤٨ ، ولا ننسـى مجـزرة حـولا وصولاً إلى مجزرة قانا الأولى والثانية وعشرات المجازر المتنقلة من بلدةٍ إلى أخرى ومن بلدٍ إلى آخر .

فحينما يتعامل العدو الصهيوني بأسلوب القتل الجماعي عليك أن تقاتله في ميدان المعركة بكل الوسائل المتاحة للقتال ، فلقد ارتكب هذا العدو جرائم بشعة دون ضمير رادع أو أي وازع إنساني ، مئات الأطفال والنساء ذُبحت وسُفكت دماؤها ظلماً وعدواناً ذلك لأنَّ هذا العدو ينظر إلى بقية الناس على أنهم حيوانات ينبغي إمَّا أن يُقتلوا وإمَّا أن يُذعنوا ويصبحوا خدماً له .

وهناك وسيلة أخرى مشروعة وهي أسرُ جنوده وضباطه بأي أسلوبٍ أمني أو عسكري وهذا العمل النوعي أثبت جدواه وتأثيره على معنويات قادة العدو وقيادة أركانه وجعلهم في حالٍ من الذهول والهستيريا والهلوسة لا يقوون على شيئ ، يكابرون ويكذبون ، لكن سرعان ما يعترفون ويقرون بشروط المقاومة ويذعنون لإرادتها .

وسيلة ذات أهمية في المشروعية وهي شنُّ حربٍ نفسيةٍ وبأساليبَ فيها الإبداع والإتقان والخبرة واختيار التعابير التي تجعل هذا العدو ينهار ويعترف بعدم قدرته على الوصول إلى شيئ وبهزائمه المتلاحقة (بيتُ العنكبوت مثالاً ) .

المواجهة الإعلامية التي أوضحت للناس ولكل الشعوب حقيقة هذا العدو وكيانه العنصري المجرم .

فاستخدام الوسائل الإعلامية مرئيةً ومقرؤةً ومسموعة ألحق الهزيمة بهذا الكيان وكشف للشعوب أنَّه كيان قائمٌ على الخداع والمكر وأنَّه ليس هناك من حقيقة إسمها إسرائيل ، بل هي مجموعة من شذاذ الآفاق جاؤوا إلى المنطقة بفعل الدعم الغربي لهم وأنَّ كيانهم بُني على باطل وهو ساقطٌ حتماً لا محالة .

لقد استطاعت وسائل إعلام المقاومة أن تجعل من هذه الأسطورة (أكذوبة)

حيثُ كان العدو يقدِّم كيانه للعالم على أنه أقوى قوة في منطقة الشرق الأوسط وأنه يملك قدرات هائلة تجعله أقوى جيش وأنه جيشٌ لا يُقهر ، وإذ بهذا الجيش يبكي أفراده ويصرخون حينما يسمعون : جاءَكم رجال حزب الله في لبنان .

إنَّ نشوءَ هذا الكيان إعتمد على روايات مختلفة وتواريخ مزيفة لا وجود لها في الأصل . وهُنا كان الكشف عن أفكارهم وعمَّا تحدث عنه تلمودهم المكتوبِ بأيديهم زوراً وتزييفاً وأنهم شعب الله المختار وما إلى ذلك من أمورٍ مزعومة لا حقيقة لها كان تعريفاً للشعوب عمَّا جمعَهُ هؤلاء الصهاينة من مئاتٍ من صفحات الأضاليل والأوهام والخيالات لتثبيت وجودهم وبقائهم على أرضٍ فلسطين . إنَّ تبيان فكرهم الحقيقي الواهن هو جزءٌ أساس في حركة المقاومة الإسلامية وشمولية عملها .

صدقية قائد المقاومة وسيدها في التعاطي مع الصراع القائم مع هذا الكيان (الغدة السرطانية) حتى بات المستوطنون الصهاينة يصدقون كل ما يقوله ، ويعتقدون أنَّ قادتهم مجموعة من الكاذبين ، وهذا أسلوب راقٍ في الخطاب المقاوم حيث أصبح الصهاينة يعيشون حالة الهزائم المعنوية ، هزيمةً ، تلو هزيمة وهو ما جعل بعضهم يغادرون أرض فلسطين ويعودون حيثُ أتوا .

وأعتقد أنَّ هذا التعاطي سيوصل بالصهاينة يوماً في فلسطين إلى أن يعودوا إلى بلدانهم التي جاؤوا منها .

## أخلاقية المقاومة الإسلامية :

ما حصل في حرب تموز ٢٠٠٦ من قصفٍ مدمِّرٍ مِن قِبل العدو الصهيوني على الأماكن الآهلة بالسكان وإحداث مجازر ومذابح بالمدنيين من شعبنا بلغ الآلاف من الشهداء والجرحى كيف قابلته المقاومة وردَّت عليه وبأي أُسلوب ؟

صحيح أنَّ المقاومة اعتمدت أسلوب القصف الصاروخي الذي بلغ مدىً واسعاً في الأراضي الفلسطينية المحتلة ، لكنَّ الاستهداف كان لقواعد عسكرية ولمنشآتٍ حيوية ولمصانع حربية ولمطاراتٍ جوية أيضاً رغم أنَّ العدو أرسل إلينا آلاف الأطنان من صواريخه هدايا لأطفالنا في لبنان كانت تتناقلها الفضائيات جميعها آنذاك .

وانطلاقاً من القاعدة القرآنية : ﴿**وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ**﴾، فإنَّ المقاومة اعتمدت ضوابطها في حركتها على مرتكزات إسلامية واضحة ، فهي كانت دائماً تلتزم الشرع المقدَّس في أي عملٍ جهاديٍ تؤدِّيه بعيداً عن الارتجالية والتكلُّف ، وبعيداً عن التنافسية والتهور . فكلُّ أمرٍ كان مدروساً جيداً بكل عقلانيةٍ وجدوائية مِن أهل الرأي والخبرة والشرع الحنيف.

أخيراً نقول : إنَّ مسار الانتصارات منذ عام ٨٣ إلى يومنا هذا مروراً بمحطاتٍ مفصلية في تموز ٩٣ وفي أيار ٢٠٠٠ وفي آب ٢٠٠٦ هو مسارٌ طبيعي لرجالٍ نصروا الله فنصرهم ، أرادوا فأراد الله دون ترددٍ أو خوفٍ أو وَجَلْ ، باعوا أنفسهم في سبيلِ الله فأعزهم وشرَّفهم وأكرمهم ، وسيأتي اليوم الذي يتحقق النصرُ الأكبر بتحرير القُدس الشريف . إنشاء الله تعالى .

إنَّ ما بني على باطل فهو باطل وستأتي الرياح لتقتلعه وإلى الأبد هذه حقيقة رآها الإمام الخميني المقدس ببصريته عندما قال : إنَّ هذا الكيان زواله حتمي .

*والحمدُ لله رب العالمين*

# ظاهرة الإرهاب

## أسباب ودوافع

سماحة الشيخ حاتم أبو دية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين . والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

## مقدمة

الإرهاب ظاهرة خطيرة تتعرض لها المجتمعات الإنسانية منذ أن وجدت بأشكال مختلفة وبأساليب متنوعة . وأخذت صوراً مختلفة من زمان الى زمان بلحاظ أفراده ومكوناته وظروفه الخاصة به . ونظرتنا الإسلامية الأولية في مكونها العام والخاص ، تعتبر أن هذا السلوك من العنف لا يمثل حقيقة الدين الإسلامي إطلاقاً لا في الماضي ولا في الحاضر وفي كل الظروف الموضوعية والذاتية في سياق الفكر الديني فلم تظهر عندنا أية دعوات في شريعتنا تدعو إلى انتهاج النهج العدواني في أية مرحلة من المراحل ، ويعزز هذا قول الله تعالى في محكم آياته من القرآن الكريم ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾[1] .

ويقرر ما قلناه كلام الإمام علي(عليه السلام) حول أنّ الانسانية في تكوينها ذات أصول واحدة تمتد الى تكوين واحد : فإنهم صنفان ، إما أخ لك في الدين ، أو نظير لك في الخَلْق[2] .

ولذا نجد أن رسالات الأنبياء عبر التاريخ كانت تدعو الى المحبة والتسامح

---

١ـ سورة البقرة ، الآية ٢٥٦ .

٢ـ نهج البلاغة ، من عهده (عليه السلام) لمالك الأشتر .

والانصياع لأمر الله سبحانه وتعالى بالانصاف والعدل والتآخي في الله والتكامل في حركة الأفراد والمجتمعات لتتحول الى أمة واحدة تعبدُ إلهاً واحداً ، وتحمل قيماً وأخلاقاً رفيعة تبعدها عن الأذية والعنف والقساوة .

وهذا بنفسه يشير الى أن السعادة عند البشرية تكمن في اتباع الانبياء وتطبيق الرسالات التي تعطي حالة من الدفء والأمن والاستقرار والتكافل نحو هدف واحد مجمع عليه عند كل الأديان ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيه** ﴾ .

ويقرّر هذا قول الله تبارك وتعالى في سورة البقرة :

﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾[1] .

فالإكراه هو الإجبار والحمل على الفعل من غير رضا ، والدين سلسلة معارف علمية تتبعها أُخرى عملية تقوم على مجموعة اعتقادات ، والاعتقاد والايمان من الأمور القلبية التي لا يحكم فيها الاكراه والاجبار ، فإن الاكراه انما يؤثر في الأعمال الظاهرية ، والأفعال والحركات البدنية المادية[2] دون الاعتقادات القلبية، ولذا يعتبر الانسان مخيراً ، أي أنه يختار لنفسه ما شاء من طرفي العمل ، وعاقبتي الثواب والعقاب إذ تبين الرشد من الغيّ ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ... والدين قد انكشفت حقائقه واتضح طريقه بالبيانات

---

١ـ سورة البقرة ، آية ٢٥٦

٢ـ تفسير الميزان ، جزء ٢ ، ص ٣٤٢ .

الإلهية الموضحة بالسنة النبوية .

فقد تبين أن الرشد في اتباع الدين ، والغي في تركه والرغبة عنه، ولذا لا موجب لأن يكره أحد أحداً على الدين ، وبناءً على هذا يعتبر العنف في الغي الذي لا يتناسب ومفهوم الرشد والإلتزام .

وهذه الآية الكريمة ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ هي إحدى الآيات الدالة على أن الإسلام لم يُبْنَ على السيف والدم ، ولم يُفْتِ بالاكراه والعنوة على خلاف ما زعمه بعض الباحثين من المنتحلين وغيرهم ، من أن الاسلام دين السيف، واستدلوا عليه بالجهاد الذي هو أحد أركان الدين . وواضح في شريعتنا أن الجهاد الذي ندب إليه الإسلام ليس لغاية إحراز التقدم وبسط الدين بالإكراه بل لإحياء الحق والدفاع عن النفس .

ومما ذكرنا يظهر بوضوح أن الشرائع الإلهية تدعو إلى نشر الدعوة الإلهية بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة ، وتدعو الملتزمين في هذا النهج الى الهدوء وعدم الانفعال والسيطرة على الغضب وحرمة القتال والأذية .

وما يشاع اليوم بأن الإسلام هو دين الإرهاب والعنف ، ما هو إلا شعار يرفع من قبل المستكبرين والطواغيت وأعداء الإسلام للوصول الى غايتهم المعروفة والمعهودة ، وهي إبعاد الناس عن الدين لكي يتحكموا بالمجتمعات ، البشرية ويأخذوا خيرات بلدانا ويستعمروها كما هو ديدنهم . وإذا كان من عنف وإرهاب يمارس اليوم على الأفراد والمجتمعات والدول ، فهو من هؤلاء الذين لا يعرفون حرمة ولا يلزمون ديناً .

وسأحاول في هذا البحث المقتضب أن أحدد أسباب العنف ، تمهيداً لتقديم

علاج له وفق شريعتنا ومعتقداتنا سائلاً المولى سبحانه وتعالى أن يوفقنا لنشر العدل ورفع الظلم ومواجهة الإرهاب والعنف دفاعاً عن ديننا ومجتمعنا وأنبيائنا وأمتنا .

## الإرهاب بالعنف :

العنف يعني القساوة والشدة ، يقابله الرفق ، يعني الليونة والإقناع بحرية وإرادة.

وظاهرة العنف عبر التاريخ وإلى يومنا هذا نابعة إما من مصالح فردية خاصة أو دولية عامة ، بمعنى الاعتداء على حقوق الغير أعم من الفرد والجماعة .

وبناءً عليه نرى أن هذه الظاهرة نشأت في الغالب لمواجهة الدين ورسالات الانبياء ، وتمثل اتّباع الشيطان والتمسك بالباطل مقابل الحق الذي يتناسب بطبعه مع فطرة البشر ، ولا يحتاج إلى عنف لفرضه عليهم .

والدليل على ذلك الطريقة المباركة التي اتبعها النبي(ﷺ) في دعوته بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة وبالرحمة والمحبة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ .

وقد حافظ (ﷺ) على هذا السلوك بأخلاقيته العالية ، رغم الأذية وشدة العنف والإرهاب الذي تعرض له في مكّة وعبر عنه بقوله (ﷺ) :

ما أوذي أحد مثل ما أوذيت[1] .

ولذا تعتبر رسالته هي رسالة السماحة والتسامح والعفو من أجل الوصول إلى

---

١ـ الهندي ، كنز العمال ، ح ٥٨١٨ .

الغاية المنشودة وهي اقامة حكم الله في الأرض .

## الجهاد في مقابل الارهاب :

إن الجهاد بابٌ من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو عبارة عن الدفاع عن العرض والشرف والدفاع عن الأرض والتراب وعن الدين والقيم والدفاع عن سياج الوطن ، ويعتبر من أقدس وأعظم الوظائف التي يقوم بها الانسان ، ومن أهم الواجبات المطلوبة من كل أفراد الأمة حيثما وجد احتلال أو مورس عدوان. وأما الإرهاب فهو ممارسة الفساد والسيطرة على العباد والبلاد بغير حق ، وقتل النفس التي حرّم الله وكل اعتداء على حقوق الغير .

وبالرغم أن كلا من الجهاد والإرهاب يشتركان في استخدام العنف أحياناً ، ولكن يختلفان في المنشأ والهدف . وبحسب اختلاف الأسباب والأهداف يختلف الحال .

## أسباب استخدام العنف في الإرهاب :

هناك أسباب كثيرة لاستخدام العنف في الإرهاب توصلاً إلى الأهداف المنشودة ، منها :

### السبب الأول : العامل النفسي :

التعبير عن النفس وهي حالة تحصل عند مجموعة من الأفراد نتيجة للحرمان والكبت والاحباط وعدم الاهتمام بوجودهم وهذا يشكل عقدةً نفسية عند هذه المجموعة تحرك الغضب من داخلهم وتعزز رغبة الانتقام والثأر فتجول أفكار العنف في حياتهم ويعبرون عنه في مجالات حركتهم باعتبار أنه المخرج الوحيد ليطلقوا فيه سراح غضبهم فيترجم بصورة العنف ويعبرون فيه عن ذاتهم

ووجودهم .

وهـذا الـنوع من العنف يضرب بالأسرة وبأفراد المجتمع ويتحول الثأر والانتقام الـى أسلوب في حياتهم سواء للدفاع عن فرد يهتمون به أو الانتقام من شخص قام بـإيذائهم . وهـذه مـن أنـواع الـسلوك المكتسـبة يـتعلمها الشـخص بمـرور الوقـت وضمن ظروف ومقومات غير مستقرة ومن السهل علاجها .

ومن أسباب انتشار هذا النوع من العنف ما يعود الى تفكك الأسرة وعدم وجود الوعي والإيمان فيها ، وفقدان الرعاية الكافية من كل جوانبها من قبل أولياء أمره .

السبب الثاني : التربية والثقافة السيئتان :

وهمـا عـاملان أساسـيان في انتشار السلوك العنفي لدى الأفراد ، فالإنسان عندما لا يـأخذ التربـية الفاضـلة والسـليمة التـي تقـوم علـى أسـاس المـبادئ والقيم وبناء الشخصـية فـي جـو مـن الهـدوء والاسـتقرار والـثقافة والوعـي كما أمر الله سبحانه وتعـالى وصـونه مـن الدخـول فـي حالة التعصب والعصبية وفهم الدين فهماً واقعياً ومنطقـياً علـى أساس السنن والقواعد التي بيّنها الله سبحانه وتعالى في محكم آياته مـن خـلال نبيـنا (ﷺ) ، وهذه مسؤولية الأسرة والمدرسة والبيئة التي يعيش فيها هذا الفرد .

السبب الثالث : الأنظمة الفاسدة :

يتصـدر الإرهـاب السياسـي قائمـة الإرهاب في القرن الحادي والعشرين ويعتبر مـن أخطـر أنواعـه وأكـثره انتشـاراً علـى الإطـلاق ، فالحكومـات الجائـرة تمارس الإرهاب مع شعوبها بمختلف وسائله ، ولو بالعنف ، بهدف السيطرة والحفاظ على مناصبها.

ففي البلدان التي يعيش فيها الناس في دائرة العنف والبطش والفتك والحرمان وعدم احترام الفرد وعدم تأمين المقومات الأساسية له من تعلم وطبابة وتأمين المستلزمات الأساسية من ماء وكهرباء وبنى تحتية ومن خلال المؤامرات التي تخوضها هذه الحكومات مع أعداء على حساب شعوبها ولمصالحها الشخصية وغيرها من العوامل ، ستجعل أفراد وشعوب هذه الدول تتحرك للتعبير عن رفضها لهذه السياسات في الوقت الذي ترى فيه فسحة لها بذلك فتنمو فيها الجماعات المعارضة ، وهنا يأتي دور الحريات وصونها والتعبير عن الرأي والسماح بالحركة المطلبية التصحيحية ، وهو من العوامل التي تمنع من وقوع العنف ، ولكن أكثر البلدان العربية والاسلامية اليوم وللأسف تمنع هذا النوع من التعبير وهذا سيؤدي الى ردة الفعل والخلل بالنظام العامل وذهاب تلك الافراد للبحث عن بدائل لهم يأخذون منها الدعم والامكانيات ويتحولون للثأر من حكوماتهم .

فهذه الأمور وغيرها تسبب ردود أفعال عنيفة ، وعلاج هذا ليس بالمستحيل فعلى الحكومات أن تقيم نظام العدل في الرعية والمساواة وتكون متسامحة وتعطي كل ذي حق حقه وتفسح المجال أمام المواطنين لإبداء آرائهم ونظرياتهم وعدم حرمان الناس من حقوقهم المشروعة وتنشئ نظاماً ديمقراطياً يحمي المعارض كما يحمي الموالي من خلال مؤسسات دستورية تقوم على أساس الحرية والمشاركة في إدارة البلاد . وإذا ألقينا نظرة سريعة اليوم على أكثر الأفراد الذين يمارسون القتل والجريمة نرى أنهم مشردون في وطنهم ومحرومون من العودة إليه فيتحوّل الى ثائر يعبر عن ثأره بدون وعي وإدراك .

يقول علي(عليه السلام) : الناس قسمان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق .

فالظلم والاضطهاد والقهر وعدم مراعاة حقوق الفرد وسلب الحرية تعتبر من أهم الأسباب استخدام العنف .

## دوافع الترهيب العنفي :

أصبح معروفاً لدينا أن العنف بكل أشكاله ـ من الشتيمة الى الكلام اللاذع إلى الفعل الذي قد يصل في بعض الأحيان الى ارتكاب جريمة أو تدمير على مستوى المجتمع والدولة والفرد ـ يعد سلوكاً سلبياً بشكل عام ، ويدرج في كثير من الأحيان تحت قائمة الوسائل الإرهابية .

وهذا السلوك يكمن خلفه دافع . فما يدفع الإنسان لفعل عمل ما أو سلوك ما هو نفسه يوجهه نحو الخير احياناً ونحو الشر أحياناً أخرى ، وتصبح دوافع العنف محركة للاتجاهات نحو قضية ما أو موقف ما . فهناك الكثير من العوامل تؤثر في تكوين دوافع العنف منها مرور الفرد بخبرة انفعالية حادة أو من خلال مشاهدة مؤثرة لسلوكيات معينة ، أو من خلال تقليد سلوك الآخرين المكتسب في مراحل الطفولة والمراهقة .

إن الخبرة الانفعالية المؤلمة من شأنها أن تغير الاتجاه لدى الفرد وتحول الدوافع من الحب الى البغض وتصل في بعض الأحيان إذا لم يتم معالجتها الى العنف والعدوان من خلال الطاقة الانفعالية الموجودة داخله وهذا ما يسمى بذروة الغضب .

وعند بعض الشعوب قد تتحول الدوافع الى أفكار ، حيث يعتنقها الأفراد وتكون محركاً قوياً نحو الإيمان بمعتقد ما أو مذهب ما ، أو الى فكر سياسي معين أو الى فكر ديني معين وتصل نتيجة الإيمان المطلق بما ذكرنا الى حالة من

التعصب لهذا الرأي أو لذاك المعتقد . وإزاء ذلك تنشأ أفكار التعصب بدوافع موجهة تؤدي الى العنف وفرض الرأي على الآخرين .

ولذا نلاحظ أن دوافع العنف تشترك في أبعادها مع الاتجاهات كأحد هذه الابعاد ومع الأفكار في بعدها الآخر ، ويصبح الرابط الاساس هو الدافع المحرك للسلوك . ومعلوم أن الأفكار والاتجاهات والدوافع هي سلوك مكتسب ومتغير وله تأثير مباشر على توجيه هذا السلوك أو ذاك .

وعلى النقيض من دوافع العنف هناك الدوافع الاجتماعية التي تكون عادة موجهة نحو حاجات الفرد الاجتماعية من خلال الاتصال بالآخرين ، والتفاعل معهم وترتبط عادة بمشاعر الحب والاستحسان والقبول والاحترام وتطغى هذه المشاعر الودية على الكثير من الظروف المانعة للتوافق الاجتماعي مثل حالة الفقر والأوضاع الاقتصادية الصعبة أو بعض الإعاقات الجسدية أو عدم تأمين التربية الصالحة للأفراد والتي تؤثر سلباً على شخصيتهم خصوصاً في أول سن البلوغ أو عدم الأمن والاستقرار وغير ذلك من العوائق الاجتماعية .

وهناك دوافع عديدة نذكر منها ما يلي :

أ ـ اقتصادية

ب ـ سياسية

ج ـ شخصية (تكوين نمط الشخصية)

د ـ اجتماعية (قيم المجتمع)

هـ ـ التعصب الديني .

وعندما نقوم بمعالجة هذه الدوافع والأسباب التي ذكرناها نستطيع ان نرفع عن

كاهل المجتمعات والأمم حالة العنف وهذا لا يحصل إلا بالرجوع الى كتاب الله وسنة نبيه(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وتطبيق الأحكام الإلهية التي تؤدي الى العدالة والمحبة والأمن والتكامل الاجتماعي وترسخ الأخوة بين أفراد المجتمعات .

يقول الحديث الشريف : الخلق كلهم عيال الله وأقربهم اليه أحبهم لعياله .

## خاتمة

﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ﴾.

بعد الذي قدمناه وما نشاهده اليوم من أعمال إرهابية يتمثل فيها العنف بكل اتجاهاته ويؤدي الى تدمير الفرد والمجتمع نقول إن العنف يعتبر من أخطر المظاهر والسلوك الذي تعرضت له البشرية منذ آدم(عَلَيْهِ السَّلَامُ) الى يومنا هذا ، وهو من الظواهر التي تسلب من الأفراد والمجتمعات حريتها وتعكس صورة سيئة لا تنسجم مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها حيث خلقهم أحراراً من بطون أمهاتهم، ومنحهم حرية الاختيار في حياتهم وحذرهم من عواقب أعمالهم . وقال تعالى : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ .

ولذا أرى لازماً على أهل الفكر والعلم كل من موقعه أن يقوم بتكليفه الشرعي أمام الله لتوعية الأمة بكل أفرادها وتبيان حقيقة الرسالة المحمدية السمحاء وما جاء من عند الله تعالى حتى نخرج هؤلاء من الظلمات إلى النور ومن الجهل الى العلم وأي مشاركة في إثارة العنف والقتل خصوصاً بين أفراد هذا الدين القويم ستقدم خدمة مجانية للشيطان الأكبر ولأعداء الأمة ، ولذا المواقف عبر المنابر والإذاعات المرئية والمسموعة والانترنت وغير ذلك لا تكفي إذا لم تقرن بعمل

مخلص وجاد وصادق لإعادة تنظيم ثقافة الأمة وإخراج بعض الأوهام والجهل المطبق من عقولهم .

وإلا ستكون العاقبة وخيمة على المنفذين والمشاركين والمخططين والمساهمين لهذه الفتن في الدنيا وفي الآخرة وسيكون الموقف عظيماً أمام الله .

يقول النبي(ﷺ) إن زوال الإجيال أهون عند الله من إراقة دم إنسان مسلم .

يقول تعالى ﴿ **وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ** ﴾ .

جعلنا الله وإياكم من المعتصمين بحبله والمتعاونين على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان وحفظ الله هذا الدين الذي أخرجنا من الظلمات الى النور بإذنه ودفع البلاء عن بلادنا وعن مجتمعاتنا وعن إنساننا .

*وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين*

# الإرهاب الأميركي

## وتشكيل الشرق الأوسط الجديد

## (العراق نموذجاً)

الدكتور إبراهيم الموسوي

« لا يعد الحاكم مستحكماً كفاية وإن ابتغى السيادة دوماً، ما لم يُصَيِّر القوّة حقّاً والطاعة واجباً»

جان جاك روسو، العقد الإجتماعي.

تعددت المخططات التآمرية الغربية ضد منطقتنا العربية الإسلامية وتنوعت ، وكانت في كل مرة تلبس لبوساً جديداً، وتحمل أيضاً تسمية جديدة ، فمن «الشرق الأوسط الكبير» إلى «النظام العالمي الجديد» إلى «الفوضى الخلاّقة» وصولاً إلى «الشرق الأوسط الجديد»، ويعبر كل واحد من هذه التسميات عن مستوى من مستويات الخطط التآمرية بحسب أولوياتها واستهدافاتها في النطاق الجغرافي والبرمجة الزمنية ، فضلاً عن الأساليب والتكتيكات المتبعة لتطبيقها.

ما نحن بصدد معالجته في هذه الدراسة هو المشروع الأميركي للمنطقة المسمّى بـ«الشرق الأوسط الجديد» ، والذي كانت بوابته الأولى غزو واحتلال العراق في العام ٢٠٠٣ وبعد فشل الاحتلال، جاء العدوان الواسع على لبنان في تموز ٢٠٠٦ ليشكل إحدى أبرز محطاته.

وسنأخذ العراق نموذجاً لدراستنا هذه محاولين تسليط الضوء على إرهاب الدولة الذي مارسته وما تزال تمارسه الولايات المتحدة لإخضاع العراق من خلال القهر والعنف والاحتلال الذي يمثل أعلى درجات الإرهاب، وقد مارست الولايات المتحدة كل هذه الجرائم الموصوفة وغير المسبوقة في التاريخ الحديث

بدعوى نشر الديموقراطية والتخلص من مجرم طاغية ونظام ديكتاتوري في العراق، فإذا بها تكاد تنهي البلد وأهله وتوقعهم في دوامة مستديمة من القتل والعنف ونشر الفتن .

## «الشرق الأوسط الجديد» لمحة تعريفية:

لقد تردد هذا المصطلح على ألسنة العديد من المسؤولين الرسميين الاميركيين والباحثين الاستراتيجيين والقادة والخبراء العسكريين الاميركيين الحاليين أو المتقاعدين، ولم يكن في كل المرات يحمل الاسم نفسه، وإن كان الغالب في كل ما قيل وكتب هو البحث عن أو طرح رؤية لـ«شرق أوسط أفضل» وبالطبع فإن هذا «الأفضل» ليس لمصلحة المنطقة وأهلها، وإنما لمصلحة الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني.

إن نظام الشرق الأوسط الجديد، كما تريده الولايات المتحدة هو عبارة عن إعادة تشكيل المنطقة من خلال تقسيم العالمين العربي والإسلامي أولاً إلى دويلات أثنية ودينية متناحرة حتى يسهل التحكم بهما، وهذه الاستراتيجية الغربية ما زالت هي هي منذ منتصف القرن التاسع عشر[١] .

وقد تم تأسيس الكيان الصهيوني في قلب المنطقة العربية تسهيلاً لتحقيق هذا الهدف، ذلك أن أي تمظهرات عربية وحدودية في الاقتصاد والسياسة والأحلاف العسكرية سوف تشكل تهديداً استراتيجياً للمشروع الاستعماري الغربي، لذلك

---

١ـ عبد الوهاب المسيري، الشرق الأوسط الجديد في التصور الأميركي الصهيوني وجهات نظر موقع المعرفة.

فإن الهدف كان دائماً إعادة المنطقة إلى ما كانت عليه في الماضي القديم، أي منطقة مقسّمة ومتناحرة فيما بين دولها وسلخ الطابع العربي عنها لتغدو مجدداً دولة فرعونية في مصر، وأخرى بابلية في العراق، وثالثة آرامية في سوريا، ورابعة فينيقية في لبنان، فيما تتحكم دولة الكيان الصهيوني بالمنطقة وتمسك بزمام المبادرة بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية .

وتجدر الاشارة هنا إلى ما صرحت به وزيرة خارجية الولايات المتحدة الأمريكية كوندوليزا رايس إبان عدوان تموز للعام ٢٠٠٦ حين رفضت أية محاولة لوقف إطلاق النار ووقف الاعتداءات الصهيونية معتبرة أننا نشهد مخاض ولادة «شرق أوسط جديد» من الآلام والمصاعب التي تجري هناك»[١].

هذه الرؤية هي التي طرحها وعمل جاهداً للتسويق لها المؤرخ الصهيوني برنارد لويس منذ سبعينيات القرن الماضي ، وقام المحافظون الجدد بتبنيها لتصبح محور السياسة الأمريكية تجاه المنطقة.

وتلتقي هذه الرؤية مع ما طرحه الضابط المتقاعد في الاستخبارات العسكرية الأمريكية رالف بيترز[٢] في مقال له نشرته مجلة القوات المسلحة الأمريكية وتضمن خريطة جديدة مفترضة للشرق الأوسط الجديد ، إذ تظهر الخريطة العراق مقسماً إلى ثلاثة أقسام: دولة كردية في الشمال ، ودولة شيعية في الجنوب، ودولة سنية في الوسط.. ويَعتبر الضابط المتقاعد وهو برتبة مقدم السعودية بأنها

---

١ـ رالف بيترز مخطط إعادة تقسيم الشرق الأوسط الجديد مجلة القوات المسلحة الاميركية حزيران ٢٠٠٦.

٢ـ تصريحات كونداليزا رايس ، الصحف .

دولة غير طبيعية ، لذا فهو يرى أن تقتطع منها مكة المكرمة والمدينة المنورة بهدف انشاء «دولة اسلامية مقدسة» لتغدو بمثابة «فاتيكان إسلامي أعلى» فيما يقترح إضافة الأرض المقتطعة من شمالي السعودية إلى الأردن، وأن تقتطع أرض من جنوبي البلاد وإلحاقها باليمن، ويتضمن الاقتراح أيضاً إنشاء دولة شيعية في شرقي البلاد، أما الأردن فستلحق به أراضٍ من شمال السعودية .

ولقد كان لافتاً أيضاً في هذا الإطار ما ذكره المعلق الأميركي بول كريغ روبرتس في تموز ٢٠٠٦ من أن ما نشاهده في الشرق الأوسط (وكان يقصد العدوان الصهيوني الواسع على لبنان في حرب تموز) هو تحقق خطة المحافظين الجدد في تحطيم أي أثر للاستقلال العربي الإسلامي، والقضاء على أي معارضة للأجندة الاسرائيلية .

ويصوّر الساسة الأميركيون وقادة الرأي والمنظومة الإعلامية الغربية المترابطة والمحكمة التأثير للرأي العام الغربي أن العرب همج متوحشون لا نصيب لهم أبداً في التحضر والمدنية ، وهم يقطنون صحاري جرداء لا يفعلون فيها شيئاً سوى استخراج نفطها وبيعه وإنفاقه على ملذاتهم، وأنهم مجرد أدوات بيد حكامهم الذين هم بدورهم أدوات دائمة الانصياع للرغبات والمطالب الأمريكية وأنهم بالتالي غير مؤهلين لإدارة شؤونهم بشكل مستقل أو حكم أنفسهم بأنفسهم.

وهكذا يصبح التدخل المباشر في شؤون الدول العربية أمراً مبرراً أمام الرأي العام الغربي، والأميركي على وجه التحديد ، إذ المقصود هو استعادة زمن حملات التمدين حين كانت اوروبا بامبراطورياتها المختلفة وعبر حقبات تاريخية متفاوتة ترسل بعثات التبشير والتمدين باتجاه الشرق المتخلف والأقل حضارة

مدنية (Civilizing missions) وهذا مبرر كافٍ من الناحية الأخلاقية لارتكاب واقتراف كل الموبقات اللاحقة ، تارةً تحت يافطة محاربة الإرهاب ، وطوراً تحت عنوان نشر الديموقراطية، وثالثاً تحت عنوان مساعدة الدول الفاشلة، ورابعاً تحت غطاء التدخل الإنساني.

لقد شكلت هجمات الحادي عشر من أيلول للعام ٢٠٠١ الذريعة المثالية للولايات المتحدة وحليفاتها من الدول الغربية، كي تطلق حملة تأديب عالمية تحاول من خلالها إرهاب العديد من الدول الكبرى والصغرى وإخضاعها دون الاضطرار إلى خوض غمار الحرب ضدها، وانطلاقاً من ذلك كان احتلال أفغانستان وبعده العراق.

ولكن لماذا العراق، كانت الولايات المتحدة بحاجة إلى استرجاع هيبتها الردعية في وجه ما أسمته «الإرهاب الاسلامي» المتأتي من تنظيم القاعدة الذي أعلن مسؤوليته عن هجمات الحادي عشر من أيلول، ولكن مهاجمة القاعدة التي اتخذت من أفغانستان مقراً لها بعد تحالفها العضوي مع حركة طالبان لم يكن بالهدف الكافي لأداء المهمة الأمريكية التي كانت تتجاوز بالطبع الأهداف المعلنة، باتجاه السيطرة على موارد الطاقة والتحكم بإمداداتها وأسعارها من خلال السيطرة المباشرة لمواجهة المارد الصيني الذي ينمو بسرعة تفوق التوقع، وكذلك لتطويق أي تمدد إسلامي أو نهوض عربي يستطيع مقاومة المشروع الأميركي الصهيوني في المنطقة .

لقد شكل العراق بإمكاناته الطبيعية وثروته النفطية وقدراته البشرية وموقعه الاستراتيجي مطمعاً دائماً للغرب، وكان مقدراً لهذه الدولة التي تملك كل ما

تحتاجه لنهوض قوي أن تكون قاطرة العرب، ولكن هذا كان حكماً سيصب في غير مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية وحليفتها «إسرائيل»، فارتأت إدارة بوش أن تبدأ الحرب لاحتلال العراق، وكان لا بد من تحضير مسرح العمليات الميدانية والسياسية والإعلامية لذلك .

## الشرق الأوسط الجديد : مقاربة أميركية:

قامت فكرة الشرق الأوسط الجديد، كما فكرة الشرق الأوسط الكبير سابقاً، على أساس التخلص من الحكومات الديكتاتورية عبر فرض نموذج الديمقراطية الأمريكية، وفتح ملف الإصلاحات السياسية والاقتصادية، إلا أن الولايات المتحدة وحليفاتها الأوروبية عاشت في ظل حالة تناقض رهيبة، واصطدمت بعقبات لم تحسب لها حساباً ، فالأنظمة الديكتاتورية المطلوب دمقرطتها كلها محسوبة على الولايات المتحدة وهي حليفة لها في كل المجالات، فضلاً عن أن البديل عنها سيكون حكماً صعود الحركات الإسلامية وتسلمها السلطة إذا ما جرت عمليات انتخابية ديموقراطية نزيهة، وهو ما يجعل واشنطن تخسر في اتجاهين.

لقد أرادت واشنطن من خلال الشرق الأوسط الجديد، القضاء على مستقبل العرب وإخراجهم من التاريخ نهائياً، لكن لم يكن لها ذلك أبداً! وقد صُدمت الإدارة الأمريكية للنجاحات الكاسحة التي أحرزتها حركة حماس في الانتخابات الفلسطينية، وأصابها الذهول ، فلم تعد مصرة على تطبيق النموذج الديمقراطي لأنه كان سيعني حتماً مجيء حكومات مناوئة لهيمنتها ومشاريعها في المنطقة. وقد تكررت هذه الصدمة بصورة أكثر فضائحية هذه المرة في لبنان بعد أحداث ٧ أيار

٢٠٠٨ حين تمكنت المعارضة اللبنانية بقيادة حزب الله من توجيه ضربة قاصمة للمشروع الأميركي التآمري الذي قام على أساس إستمرار وجود حكومة النهج الإستئثاري التسلطي برئاسة فؤاد السنيورة التي كانت تتلقى أوامرها من الإدارة الأمريكية مباشرة.

## «شيطنة العراق» تمهيداً لضربه واحتلاله:

شنت ادارة بوش وماكينات البروباغندا التابعة لها حرباً اعلامية واسعة لتضليل الرأي العام الأميركي حول هجمات الحادي عشر من أيلول وبدأت بزج اسم العراق في كل نشرة أخبار، وأقامت علاقة بينه وبين تنظيم القاعدة، وتوجت ذلك كله بالحديث عن امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل وأن هناك مخططات لاستعمالها ضد الأميركيين وكانت الحجة الكبرى أننا ذاهبون إليهم كي لا يأتوا إلى ديارنا ويهاجمونا.

وقد عكست استفتاءات الرأي مدى تأثر الرأي العام الأميركي بالدعاية التضليلية التي مارستها إدارة بوش، إذْ أظهر استفتاء للرأي العام خلال العام ٢٠٠٣ أن أغلبية الاميركيين (٦٨٪) يعتقدون أن العراق كان له دور مهم في اعتداءات الحادي عشر من أيلول ، وأورد بعضهم (١٣ ٪) وجود أدلة حاسمة حول تورط العراق مباشرة بأحداث ١١ أيلول ، وآمنت أغلبية الأميركيين أن العراق قدّم نوعاً من الدعم للقاعدة في هجماتها ، أو أنه مرتبطٌ بهذه الهجمات بشكل من الأشكال.

وقد وجدت استطلاعات الرأي أيضاً أن حوالي ثلث الأميركيين يعتقدون بأنه قد تم العثور على أسلحة الدمار الشامل في العراق . وهكذا شكلت عملية التضليل

المبرمجة هذه تحضيراً منهجياً لمسرح العمليات لبدء احتلال العراق.

لقد نبعت مخططات واشنطن التآمرية من غطرسة القوة، إذ تصورت الادارة الأمريكية أنها تستطيع أن تفعل ما تشاء طالما أن موازين القوى تميل إلى صالحها بعد تربعها على عرش الأحادية القطبية في العالم . وظنت إدارة بوش أن التاريخ قد توقف لهنيهة، وأن إدارته التي «يوشوش» الله لها في أذنها لها الحق في إزالة من تعتبره عدواً طالما أنها تملك القدرة والاستعدادات العسكرية لذلك خدمة لمصالحها ومصالح إسرائيل وقد بلغت غطرسة القوة الأمريكية شأواً كبيراً دفع ببعض الجنرالات الأميركيين بالتهديد بأن فرنسا ستكون هدف الاحتلال المقبل رداً على رفض باريس المشاركة بالحرب على العراق.

ويرى كريغ روبرتس أنه لا يمكن لـ«إسرائيل» حتى مع الدعم الأميركي المستمر لها أن تنجح إلى الأبد في إذلال ملايين المسلمين الذين يغلون غضباً بسبب الإذلال الذي يلحق بهم،ويرى في الأداء الأميركي هذا وصفة للصراع المستمر الذي سينتهي بدمار إسرائيل .

## كيف شرع البيت الابيض في «تثقيف الرأي العام» ؟

وفقاً لريتشارد كلارك ، الذي كان يعمل كمستشار قومي لمناهضة الإرهاب ، فقد تحدث وزير الدفاع دونالد رامسفيلد عن « النَيل من العراق» مشيرا الى أنه لم يكن ثمّة أهداف مقبولة للقصف في أفغانستان «وإقترح فكرة ضرب العراق بدلاً من أفغانستان». وفي اجتماع وزاري عقد في اليوم التالي لهجوم ١١ ايلول على الولايات المتحدة ، لم يرفض الرئيس بوش هذا الاقتراح وذكر: «ما نحن بحاجة للقيام به في العراق هو تغيير الحكومة وليس فقط ضربه بصواريخ أكثر عدداً من

نوع كروز» . وقد وصف مسؤول رسمي رفيع في إدارة بوش المواقف الأولى داخل الحكومة:

لم يكن هنالك من إجماع في الإدارة الأميريكية قبل الحادي ١١ أيلول حول النظرة الى العراق ... علماً بأنه وُجِد أولئك الذين كانوا يفضلون تغيير النظام، وقد كانوا إلى حد كبير يقطنون البنتاغون، وربما مكتب نائب الرئيس . وكنتيجة مباشرة لأحداث ١١ أيلول ، لم يتبدل الكثير ... ولم تؤدِ المحاولات الاولى التي قام بها نائب وزير الدفاع ولفويتز وآخرون لجر العراق إلى أية نتيجة لأن الروابط بين العراق وأحداث ١١ أيلول كانت «بحسب علمنا ، غير واضحة على أبعد تقدير إن لم تكن موجودة على الإطلاق» .

وطلب الرئيس بوش من كاتبي خطاباته في نهاية عام ٢٠٠١ تلفيق قضية لتشجيع الحرب على العراق لكي تكون جزءاً من خطاب الاتحاد . وفي خطاب كانون الثاني عام ٢٠٠٢ أعلن بوش أن الولايات المتحدة تواجه «محوراً للشر» ، مسمياً كوريا الشمالية وإيران والعراق . وقد تناول كلا من كوريا الشمالية وإيران بجملة واحدة في خطابه ، بيد أن المحور الأساسي كان العراق . وأعلن الرئيس بوش أن المشكلة تكمن في «أن العراق يستمر في التباهي بعدائه لأميريكا وفي دعم الإرهاب، ويُخطط لتطوير جرثومة الجمرة الخبيثة وغاز الاعصاب والأسلحة النووية منذ أكثر من عشر سنوات» . وتابع بوش قائلاً : إنه «بسعيه للحصول على أسلحة الدمار الشامل ، تشكل هذه الأنظمة خطراً كبيراً ومتزايداً . وهي تستطيع تزويد الإرهابيين بهذه الأسلحة ، مقدمة لهم بذلك الوسيلة التي تتناسب مع كرههم، وبذلك يقدمون على مهاجمة حلفائنا أو محاولة ابتزاز الولايات

المتحدة». وتم ترديد هذا الجدل خلال السنة التالية بقوة وتفصيل أكبر.

وعندما عاد نائب الرئيس ديك تشايني من الشرق الأوسط في ٢٤ آذار من العام ٢٠٠٢، ظهر في ثلاثة برامج تلفزيونية تُعنى بالشؤون العامة وتذاع يوم الأحد، وأحدها هو برنامج «نايت أديشن» على محطة «سي إن إن» الذي وصف فيه «صدام» قائلاً:

«هذا الرجل هو في غاية الشر، ويسعى بجهد للحصول على الأسلحة النووية في هذا الوقت».

وفي برنامج «ميت ذا برس» الذي يعرض على محطة أن بي سي قال:

«لدينا أسباب جيدة للاعتقاد بأن صدام يستمر في السعي بجهد كبير لتطوير السلاح النووي. ولكن هل سيكون لديه سلاح نووي خلال عام أو خمسة أعوام؟ لا أستطيع أن أكون بهذه الدقة».

وفي برنامج «فايس ذا نايشن» الذي يعرض على محطة «سي بي سي» قال:

«إن فكرة وجود صدام حسين مع ثروته النفطية الكبيرة والمخزون الذي يمتلكه من الأسلحة البيولوجية والكيمائية وفكرة أنه قد يمتلك سلاحاً نووياً بشكل فعلي، هي كما أعتقد مخيفة لأي شخص يفكر فيها».

وبعد أشهر قليلة، وفي خطاب ألقاه في الأكاديمية العسكرية للولايات المتحدة في وست بوينت، ذكر الرئيس بوش موضوعاً عاماً أكثر يكشف عن المخاوف الحقيقية للولايات المتحدة:

حين تنتشر الأسلحة الكيميائية والبيولوجية والنووية إلى جانب تكنولوجيا الصواريخ البالستية، ستتمكن حتى الدول الضعيفة والمجموعات الصغيرة من

امتلاك قوة كارثية لضرب الدول العظمى .

ووفقاً للرئيس بوش والقادة الذين سبقوه يكمن السبب وراء منع الحد من انتشار هذه الأسلحة في امكانية امتلاك الدول الضعيفة والمجموعات الصغيرة قوة كارثية لضرب الدول العظمى .

وبالطبع ما لم يقال هنا هو أن بعض «الدول العظمى» وبخاصة الولايات المتحدة لطالما امتلكت «قوة كارثية» لتدمير الدول الضعيفة والهدف هو إبقاء الوضع على ما هو عليه .

وفي أواخر تموز من العام ٢٠٠٢، شرح السيد ريتشارد ديرلوف رئيس ال «أم آي ٦» ، المخابرات البريطانية السرية عند عودته من واشنطن في اجتماع مع رئيس الوزراء البريطاني توني بلير وأرفع مستشاريه أن إدارة بوش قررت أن تهاجم العراق ، وأنها تعتبر العمل العسكري أمراً لا مفر منه . وفيما أصبح يعرف بمذكرة داونينغ ستريت، شرح ديرلوف أن «بوش أراد أن يتخلص من صدام بواسطة عمل عسكري يبرره الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل معاً» . واعترف بأن «الاستخبارات والحقائق تتمحور حول هذه السياسة» .

وكانت هذه الخطة ستكشف بعد عدة أشهر، وقد شدد قادة الولايات المتحدة والمملكة المتحدة على ما دعاه ديرلوف «اجتماع الإرهاب وتهديد أسلحة الدمار الشامل» في العراق . وانضمت بريطانيا إلى الولايات المتحدة في عزمها على الحرب رغم تسليم وزير الخارجية البريطاني جاك سترو في ذلك الاجتماع بأن «القضية كانت ضعيفة، ولم يكن صدام يشكل تهديدا لجيرانه ، كما أن قدرته في مجال أسلحة الدمار الشامل كانت أضعف من قدرات ليبيا أو كوريا الشمالية أو

إيران» . وقد عكس هذا تقرير وزارة الخارجية البريطانية في أوائل عام ٢٠٠٢ الذي قال بعدم وجود أي دليل ملموس على أن العراق كان يمتلك مخزوناً احتياطياً من أسلحة الدمار الشامل .

ومن أجل العمل على تنسيق قضية الحرب في الولايات المتحدة ، قام رئيس العاملين في البيت الابيض بتشكيل مجموعة البيت الأبيض بشأن العراق . وقد شملت المجموعة كارل ردف وهو مستشار سياسي رفيع المستوى لبوش ، وكوندوليسا رايس ونائبها ستيفن هادلي الذي أصبح اليوم مستشار الأمن القومي ولويس ليبي ، رئيس العاملين لدى ديك تشايني ومديرة الاتصالات الاستراتيجية كارن هيوز وغيرهم . وكانت مهمة هذه المجموعة تنظيم استراتيجية الولايات المتحدة ضد العراق وبحسب أحد المشاركين «تثقيف الرأي العام» حول الخطر الذي يشكله نظام صدام حسين .

كما وضعت هذه المجموعة من الرسميين الخطط للخطابات حول العراق التي كانت ستلقيها الإدارة، بالإضافة الى التقارير والمقالات التي كانت سترسم السياسة المتبعة . وكان التهديد الذي تشكله أسلحة الدمار الشامل هو المحور الأساسي . وقد شرح لاحقاً نائب وزير الدفاع بول ولفويتز كيفية الاتفاق على هذا الامر حين كشف بأن «الواقع هو أنه لأسباب تتعلق الى حد كبير ببيروقراطية الحكومة الأميريكية ، قد اتفقنا على موضوع واحد نستطيع التوافق عليه وهو أسلحة الدمار الشامل بصفته سبباً جوهرياً» .

وألقى نائب الرئيس ديك تشايني أول خطاب رئيسي في السادس والعشرين من آب عام ٢٠٠٢ في مؤتمر ضم قدامى العسكريين الأمريكيين قائلاً : «لا شك

أن صدام حسين يمتلك اليوم أسلحة الدمار الشامل ، ولا شك بأنه يكدسها كي يستخدمها ضد أصدقائنا وحلفائنا وضدنا» .

وكانت المسألة مسألة إنتظار حدوث اعتداء كهذا، وقد بدا أن تشايني يقول وهو يسترجع صورة الاعتداء الياباني على الأسطول الأميريكي في بيرل هاربور أنه «حينها فقط أدركنا حجم الخطر المحدق بوطننا» . وتابع يقول «إن الوقت ليس في صالحنا، وإمكانية وصول أسلحة الدمار الشامل الى أيدي شبكة ارهابية أو ديكتاتور مجرم ، أو الاثنين اللذين يعملان معاً، تشكل تهديداً كبيراً الى أبعد تصور» .

وفي ٨ أيلول عام ٢٠٠٢ نشرت جريدة نيويورك تايمز مقالاً تحت عنوان : «الولايات المتحدة تقول بأن حسين يكثف جهوده للحصول على أجزاء لصنع القنبلة الذرية» . وبعد أكثر من عقد على موافقة صدام حسين على التخلي عن أسلحة الدمار الشامل ، يضاعف العراق جهوده للبحث عن الأسلحة النووية وقد بدأ بحثه العالمي النطاق عن مواد لصنع قنبلة ذرية. وتابع التقرير قائلاً بأن المتشددين في الإدارة الأميريكية يخشون أن أول إشارة تؤذن بالحرب قد تكون غيمة ناتجة عن قنبلة ذرية .

كما لم يتم عرض هذه الرؤية من قبل قياديين في مقابلات وخطابات على محطات تلفزة مهمة فحسب ، بل ظهرت هذه الرؤية بشكل كبير وواضح في وثائق سياسية رسمية ايضاً .

وفي أيلول ٢٠٠٢ تم نشر استراتيجية الامن القومي للولايات المتحدة التي أعلنت «أننا يجب أن نكون مستعدين لردع الدول المؤذية وعملائها الإرهابيين

قبل أن يتمكنوا من تهديد الولايات المتحدة أو استخدام أسلحة الدمار الشامل ضدنا وضد حلفائنا وأصدقائنا» .

وقد تم ترديد رسالة التهديد والوقاية منها مراراً وتكراراً .كما تكرر التقرير الذي يزعم أننا يجب أن نردع الخطر وندافع عن أنفسنا ضده قبل أن نطلق له العنان إذ يمكننا السماح لأعدائنا بضربنا أولاً» .

واستجاب الرأي العام الأميريكي لهذا الجهد المصمم على تصوير خطر نووي وشيك من العراق على الولايات المتحدة . وقد وجد استطلاع للرأي في أواخر أيلول عام ٢٠٠٢ أن ٨٠ بالمئة من الأمريكيين يظنون بأن العراق يمتلك فعلاً القدرة على استخدام أسلحة الدمار الشامل ضد أهداف أميريكية .

وقد أجاز الكونغرس للرئيس بوش «استخدام القوات المسلحة للولايات المتحدة حسبما تقتضيه الضرورة.. كي تدافع عن الأمن القومي للولايات المتحدة ضد الخطر المستمر الذي يمثله العراق» .

وفي خطاب اتحاد الولاية الذي ألقاه في كانون الثاني عام ٢٠٠٣ استرجع الرئيس بوش المخاوف ذاتها :

أن الأدلة التي تقدمها مصادر الاستخبارات والاتصالات السرية والتصريحات التي يدليها أشخاص هم اليوم معتقلون ، تكشف أن صدام حسين يقوم بمساعدة إرهابيين بينهم أعضاء من القاعدة وتأمين الحماية لهم. وبسرية تامة ودون أن يترك أي أثر يستطيع أن يقدم إحدى أسلحته الخفية إلى إرهابيين أو أن يساعدهم في تطوير أسلحتهم الخاصة . وقبل ١١ أيلول كان العديدون في العالم يؤمنون بأنه يمكن احتواء صدام حسين، لكن القوى الكيميائية والفيروسات القاتلة وشبكات

الإرهابين غير الواضحة لا يمكن أن يتم احتواؤها بسهولة. وكل ما يتطلبه الأمر هو تمرير قارورة واحدة أوعلبة واحدة أو قفص واحد إلى هذه الدولة كي يسبب رعباً لم نختبره من قبل .

وخشية من أن يشكك أحدهم في قدرة صدام حسين على استخدام أسلحة الدمار الشامل، أعاد بوش إلى الأذهان فكرة أن «الدكتاتور الذي يجمع الأسلحة الأخطر في العالم قد استخدمها بالفعل على قرىً بأكملها تاركاً الآلاف من مواطنيه قتلى، فاقدين للبصر أو مشوهين» .

وفي ٣١ كانون الثاني عام ٢٠٠٣ اجتمع الرئيس بوش مع رئيس الوزراء البريطاني توني بلير ، وبحسب مذكرة رسمية للاجتماع ، شرح بوش أن «الحملة العسكرية كانت مخططة للانطلاق في ١٠ آذار حين كان القصف سيبدأ» . كما ناقش بوش مع بلير طرقاً لبدء المواجهة مع العراق . وتسجل المذكرة اقتراح بوش «إرسال طائرة استطلاع من طراز يو٢ مع غطاء حربي فوق العراق تحمل ألوان علم الأمم المتحدة» وفي حال «أطلق صدام النار عليها ، سيكون بذلك قد خرق القانون الدولي» .

وتُشير المذكرة إلى أن بوش اقترح أيضاً استخدام أحد المتخلين عن النظام العراقي و الذي يستطيع التحدث عن أسلحة الدمار الشامل لدى العراق، وحتى انه أثار إمكانية اغتيال صدام حسين .

وبقي قرار الذهاب الى الحرب طيّ الكتمان في الوقت الذي سعت فيه الولايات المتحدة والمملكة المتحدة الى دعم مجلس الأمن في الأمم المتحدة لشن هجوم على العراق ومن ثم فشلت في سعيها هذا.

وقد استمرت عملية تثقيف الرأي العام حول الخطر الذي تشكله أسلحة الدمار الشامل ، وخاصة الأسلحة النووية، من قبل العراق والحاجة الى ردع أي خطر ممكن. وتتوَّج ذلك بخطاب بوش في ١٧ آذار والذي وجهه الى الامة وأعلن فيه الحرب على العراق قائلا :

«ان النظام العراقي يستمر في امتلاك وإخفاء بعض أكثر الأسلحة المميتة التي تم اختراعها حتى اليوم .. وقد ساعد ودرب وحمى إرهابيين بمن فيهم شخصيات فاعلة في القاعدة .. باستخدام أسلحة كيميائية ، بيولوجية أو نووية حصلوا عليها بمساعدة العراق ، واستطاع الإرهابيون تحقيق طموحاتهم المعلنة وقتل الآلاف أو مئات الآلاف من الأبرياء في وطننا أو أي بلد آخر ... ومع هذه الإمكانات ، يستطيع صدام حسين وحلفاؤه الإرهابيون أن يختاروا لحظة الصراع المميت حين يكونون هم الأقوى . أما نحن فنختار أن نواجه هذا التهديد الآن عند نشوئه قبل أن يظهر فجأة في سمائنا ومدننا» .

## ماذا فعلت الولايات المتحدة لنشر الديمقراطية:

إن أبسط التعريفات المتداولة للديموقراطية هو ما ذكره الرئيس الأميركي إبراهام لنكولن، حين قال إن الديموقراطية هي من الشعب وللشعب وبواسطة الشعب، وقد أصبح شعار الديموقراطية أكثر الشعارات تخويفاً وإرهاباً للشعوب بعد أن قدمت الولايات المتحدة نموذجاً مرعباً لطريقة تطبيقه في العراق، إذ يكفي التهديد اليوم بتصوير هذا النوع من الديموقراطيات الى أي بلد حتى يصاب أهله بالذعر والرعب إلى أقصى حد، فالصور التي ترتسم فور الحديث عن الديموقراطية الأمريكية في العراق، هي صور القتل والمجازر الدموية المتنقلة،

وتدمير كل معالم الحضارة والمدنية، وقتل العلماء والإعلاميين وأساتذة الجامعات، ونهب وتدمير محتويات المتحف الوطني العراقي في بغداد، لقد فعل الأميركيون في العراق ما لم يفعله المغول قبلهم بقرون «لم يدَّعِ هؤلاء ما ادعاه الأميركيون في أنهم جاءوا ليبشروا بالحضارة والمدنية» .

إن حضارة واشنطن المدعاة ظهرت في حوادث التعذيب والقتل والسحب والاغتصاب التي مارسها الجنود الأميركيون بحق أبناء الشعب العراقي على حواجزهم المتنقلة ، وداخل الأحياء والبيوت كما في سجن «أبو غريب» الذي أصبح مضرب المثل وشهيراً شهرة معتقل غوانتانامو .

لقد ظنّ الأميركيون أنهم سيلاقون بالورود والتأييد من أبناء الشعب العراقي، لكن الأحداث اللاحقة جاءت لتؤكد التزام العراقيين لخيار المقاومة ضد المحتلين. لقد مارس الأميركيون التفرقة، والفتنة المذهبية بين أبناء المدينة الواحدة والحي الواحد، وعملوا على تأليب السنة ضد الشيعة، والعكس صحيح، وحاولوا إغراء الأكراد أيضاً لدفعهم إلى تنفيذ مشاريع تفتيتية بحق العراق .

## إنكشاف الأطماع الأمريكية في العراق: معاهدة الوصاية.

لعل أبلغ مثال على حقيقة المطامع الأمريكية في العراق هو ما حاولت واشنطن فرضه من خلال ضغوط مكثفة على الحكومة العراقية لإبرام معاهدة بين البلدين يمكن تلخيص أخطر ما فيها على النحو التالي:

١. إيجاد صيغة قانونية قبل انتهاء عهد الرئيس بوش تضمن بقاء القوات الأمريكية بشكل شرعي في العراق، وإبقاء ما بين ٤ أو ١٢ قاعدة عسكرية دائمة ومؤقتة في الأراضي العراقية.

٢. إعطاء الاميركيين الحق بالإشراف على وزارتي الداخلية والدفاع والاستخبارات العامة لمدة عشر سنوات وهو ما يعني إنهاء السيادة العراقية عليها وتحويلها لخدمة حماية قوات الاحتلال .

٣. توقيع اتفاقيات نفطية بعيدة الأمد مع العراق تعطي لشركات النفط الأمريكية السيطرة على الآبار العراقية بما يضمن إمداد العراق لأميركا بالنفط لسنوات طويلة بأسعار أقل من أسعار الأسواق العالمية في إطار ما يسمى بـ«قانون النفط الجديد» الذي يمنح حقوقاً وامتيازات للشركات الأمريكية مدتها ٣٣ عاماً .

تسعى المعاهدة للإيحاء بأنها تتم بين دولتين مستقلتين صاحبتي سيادة ، وفي هذا الاطار تشير إلى وجود سفارة أميركية في بغداد، ولكن حقيقة الأمر أن هذه السفارة هي أكبر سفارة أميركية في العالم، فهي تقع على مساحة ١٠٤ هكتارات وتضم ٢١ مبنى ضخماً وتتوفر فيها كل الحاجات والاكتفاء الذاتي وأسباب الراحة وقد بلغت تكلفتها قرابة ١٠ مليارات دولار اميركي وهي بهذا المعنى تستعمل كمركز لإدارة المهمات العسكرية والدبلوماسية ليس في العراق فقط بل في المنطقة ككل، وهو ما يؤكد نظرية الوصاية الأمريكية على العراق .

وتستهدف المعاهدة أيضاً منح الأميركيين مسؤولين ودبلوماسيين وحتى عسكريين حصانة تمنع عنهم المحاكمة في العراق وتجعلها من اختصاص المحاكم الأمريكية وحدها[١] .

---

١ـ خضر عباس عطوان، حلف شمال الأطلسي والتوازنات الاقليمية في الشرق الأوسط، المجلة العربية للعلوم السياسية العدد ١٦، خريف ٢٠٠٧ م، ص ١٨٧.

إن بـنود هـذه المعاهدة وحدها كافية ومن دون الحاجة للغوص في تحليلها في الإشارة إلى استهدافاتها الخطيرة ، حيث إنها تجرّد العراق من أبسط مظاهر السيادة وتخضعه للوصاية بما لا يتفق مع كونه دولة مستقلة ذات سيادة ويحكمها القانون.

## من كان وراء ذلك كله ؟

لم تُطبَّق استراتيجية بوش فيما يتعلق بالعراق والأسلحة النووية في عام ٢٠٠١، والتي قامت بتطويرها لسنوات عدة في أواخر التسعينات مجموعة تطلق على نفسها اسم «المشروع من أجل قرن جديد». وقد تأسست هذه الشبكة عام ١٩٩٧ وكانت تضم محافظين وسياسيين وأكاديميين ووسطاء سياسيين وجميعهم أشخاص أصبحوا شخصيات رئيسة في إدارة بوش، مثل نائب الرئيس ديك تشايني ، ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد ، ولويس ليبي ، وبول ولفويتز (وهو اليوم يشغل منصب رئيس البنك الدولي) ، وزلماي خليل زاد (السفير الأميركي الأفغاني الأصل ، الذي تم تعيينه سفيراً للعراق ) بالاضافة الى جيب بوش[١].

ودَعَت إحدى المبادرات الرئيسية التي قامت بها هذه المجموعة إلى تغيير النظام الذي كان يُطبَّق منذ نهاية حرب الخليج عام ١٩٩١ والذي كان يعتمد على العقوبات والمراقبة لاكتشاف وتدمير أسلحة الدمار الشامل للعراق . وقد وضع هؤلاء الأشخاص أفكارهم في رسالة موجهة الى الرئيس كلينتون في كانون الثاني عام ١٩٩٨ . وفي هذه الرسالة ناقش هؤلاء فكرة «أن السياسة الأميريكية الحالية

---

١ـ محمد جمال عرفة، معاهدة الوصاية الاميركية لشرعنة احتلال العراق، اسلام أون لاين نت، الخميس ٥ تموز ٢٠٠٨.

تجاه العراق غير ناجحة» في السيطرة على التهديد الذي تشكله أسلحة الدمار الشامل التي يمتلكها صدام حسين . وفي تقديرهم فإن هذا الفشل قد تكون له نتائج كارثية بالنسبة للولايات المتحدة :

واقترح «المشروع من أجل قرن أميريكي جديد» أن الاستراتيجية المقبولة الوحيدة هي تلك التي تلغي إمكانية قدرة العراق على استخدام أسلحة الدمار الشامل .

كما سعى أعضاء من «المشروع لقرن أميريكي جديد» (بما فيهم رامسفيلد وهو أحد الموقعين على الرسالة) فور وصولهم الى السلطة ووجدوا الفرصة سانحة، إلى وضع هذه الاستراتيجية حيّز التنفيذ . وقد جاءت الحرب على العراق والأهمية التي أعطيت لأسلحة الدمار الشامل كمبرر لتلك الحرب نتيجة مباشرة لجهودهم .

غير أن المشروع لقرن أميريكي جديد سعى لتحقيق أمر أكبر من شن الحرب على العراق . فاسم المشروع ومبادؤه المعلنة تُردِّد بشكل واضح الأفكار التي عرضها هنري لوشي في مقاله الشهير الذي كتبه عام ١٩٤١ تحت عنوان «القرن الأميريكي» في مجلة لايف . وركز المشروع من أجل قرن أميريكي جديد عند إعلان تأسيسه على القلق المشترك لأعضائه من أن «سياسة أميركا الخارجية وسياستها الدفاعية غير واضحة» . وكان هدفهم واضحاً: « نحن نسعى الى إثبات رأينا والى حشد التأييد من أجل قيادة أميريكية دولية» .

وبشكل خاص كانت المجموعة التي تشكل المشروع لقرن أميريكي جديد قلقة من أن الولايات المتحدة بعد الحرب الباردة لم تكن تملك ما يصفونه «بالعزم على تشكيل قرن جديد يكون متوافقاً مع المبادئ والمصالح الأميريكية».

وقد أسف هؤلاء لعدم استعداد الأمريكيين « تقبل قضية القيادة الأمريكية». وما كانت تحتاجه قيادة كهذه هو «قوة عسكرية تكون قوية وجاهزة لمواجهة التحديات الحالية والمستقبلية، وسياسة خارجية تروِّج بطريقة جريئة وهادفة المبادئ الأمريكية في الخارج، فضلاً عن قيادة وطنية تقبل بمسؤوليات الولايات المتحدة العالمية» .

ولم تكن هذه رؤية المشاركين في المشروع وحدهم . فهذا المشروع ببساطة يجمع بعض أقوى المناصرين له وأكثرهم تأثيراً . ويدعم عديدون آخرون دوراً استعمارياً للولايات المتحدة ويشعرون بالإحباط من عدم رغبة العديد من الأمريكيين في حمل مسؤوليتهم . فعلى سبيل المثال، يأسف المؤرخ نيال فيرغسون في كتابه «التمثال» ومقالته : نشأة ونهاية الإمبراطورية الأمريكية لحقيقة أن «الولايات المتحدة قد صنعت إمبراطورية ، لكن الأمريكيين أنفسهم لا يملكون العقلية الإمبريالية» . ويُضيف بشئ من الحزن أن «الأمريكيين تنقصهم الرغبة في السلطة» .

أما القادة الأمريكيون الذين يسعون الى احتضان رغبة وطنية أكبر في الدور الإمبريالي فقد صارعوا جاهدين لكي يجدوا شيئاً ما يعوضهم عن «الرغبة المفقودة في السلطة» . وكما يشير إقبال أحمد: «تكمن المشكلة في أن الإمبريالية لم تكن كلمة جيدة في حضارة أمريكا السياسية، والناس لا يتماثلون معها» . وشرح الخيارات المفتوحة لصانعي القرار الأمريكيين لخلق عقلية إمبريالية، مشيراً الى انها كي تتحقق يجب أن تكون الإمبراطورية مبنية على مخاوف المواطنين وحسهم بالرسالة . ويسترجع أحمد نصيحة السيناتور آرثر فاندنبرغ للرئيس هاري

ترومان الذي كان يحاول زيادة الإنفاق العسكري في أواخر الأربعينات كجزء من سياسة دعم القوة الأمريكية لمواجهة الاتحاد السوفياتي . وأخبر فاندنبرغ الرئيس ترومان ما ينبغي فعله كي يحصل على تأييد الرأي العام الأمريكي للحرب الباردة إذ قال: «عليك أن ترعبهم» .

## إحتلال العراق أميركياً: دروس وعبر

نشرت صحيفة «الإندبندنت» البريطانية مقالاً للدكتور ريتشارد دارتين، وهو أستاذ محاضر في مادة التاريخ في جامعة كامبردج العريقة قال فيها :

إن العراق فضح غرور الاستراتيجية الأمريكية، إذ أظهر أن أمة صغيرة لا تملك أية أسلحة متقدمة تستطيع أن تشل قدرات دولة عظمى وتقيد حركتها، لقد أظهر احتلال أميركا للعراق أن التفوق في الفضاء لا يضمن للمحتل سيطرة كافية على الأرض، وثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنه يستحيل على الناس أن يصبحوا أصدقاء لأميركا تحت تأثير الخوف أو القهر» .

ويتابع الدكتور دارتين: «وثبت بالتجربة أن أميركا قادرة على إحداث دمار واسع وخراب لا حدود له، لكنها تظل عاجزة عن السيطرة أو التأثير الإنساني الخلاّق، هذا الكلام ينطبق بذات الدرجة على إسرائيل التي ما زالت حتى الآن ضحية غرور القوة الذي جرت جرجرته في الوحل في لبنان في تموز ٢٠٠٦.

تركت الحرب الأمريكية على العراق تداعيات هامة على الصعيد العالمي لم تسلم منها الولايات المتحدة نفسها والدول الغربية الحليفة لها، وكذلك المنظومات الأمنية والعسكرية التي تدور في فلكها أيضاً .

لقد شنت واشنطن الحرب على العراق بعد أن عجزت الإدارة الأمريكية عن

استحصال تفويض من مجلس الأمن الدولي يمكنها من ذلك، وإحجام دول أوروبية فاعلة عن المشاركة في الحرب أو المساهمة في تغطيتها مثل ألمانيا وفرنسا، وهما دولتان عضوان في حلف شمالي الأطلسي، وقد انحصرت المشاركة الفاعلة لأعضاء الحلف في دول مثل بريطانيا وإيطاليا وإسبانيا وبعض دول أخرى من أوروبا الشرقية[١].

استندت ألمانيا وفرنسا في رفضهما المشاركة في الحرب أو تغطيتها إلى عدم تقدير الإدارة الأمريكية الجيد لتداعيات العمل العسكري والمخاطر المحتملة التي تهدد الأمن الدولي من جرّاء عدم الحصول على تفويض من الأمم المتحدة مما يخلق سابقة بالهجوم على الدول الضعيفة تحت طائلة الأعمال الاستباقية، فضلاً عن رأيها بأن هناك إمكانية للتحقق من تدمير أسلحة الدمار الشامل ووقف دعم الإرهاب بوسائل غير عسكرية.

لقد مرّ على احتلال العراق خمس سنوات، وتمت مراجعة حوالي ستماية ألف وثيقة عراقية، وضعت واشنطن يدها عليها، ولم تعثر على أي أدلة تربط بين ما تسميه الإدارة الأمريكية بالمنظمات الإرهابية والقاعدة والنظام العراقي. كما أنها لم تستطع أن تجد أي إشارة حول علاقة النظام العراقي بأحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠٦ أو بامتلاكه أسلحة الدمار الشامل[٢].

ولكن ما هي النتيجة التي جنتها واشنطن من كل ما فعلته في العراق والمنطقة ككل؟

---

١ـ www.dctcrs.org/s ٣٨٠٧ .

٢ـ ترويج الحروب الأميركية ، فيليس بينيس ونخبة من المحللين ، ٢٠٠٧ .

لقد ووجه المشروع الأمريكي بمقاومة بطولية من أبناء الشعب العراقي ورغم كل القتل والتهجير الذي طاول الملايين من العراقيين لم تستطع الإدارة الأمريكية أن تثبّت دعائم مشروعها في العراق، وهي تواجه مقاومة متنامية وفعّالة ضدها، كما أن حركات المقاومة والممانعة في مرحلة صعود قوي جداً منذ النصر المبين الذي حققه حزب الله في حرب تموز قبل عامين.

أما في الساحة الإقليمية فإن سوريا وإيران قد استعادتا زمام المبادرة أيضاً، وتسعى واشنطن الى استرضائهما لتأمين انسحابها بأقل خسائر ممكنة من العراق، بعد أن كانت تهدد بشن الحروب ضدهما.

ولا يختلف المشهد كثيراً في الملعب الدولي إذ وجدت فرنسا نفسها في وضع يسمح لها بالتخفف من القبضة الأمريكية الثقيلة، ولم نر أي مصلحة لتحمل الثمن الباهظ لفاتورة الخسائر الأمريكية فانفتحت هي الأخرى على دمشق لاحتواء تداعيات الإخفاقات الأمريكية عليها، في حين أن روسيا عادت بقوة إلى مسرح الأحداث بعد ما جرى في جورجيا ، وجلبت معها أجواء الحرب الباردة من جديد.

والخلاصة أن المشروع الأمريكي في المنطقة المسمّى بالشرق الأوسط الجديد قد سقط تماماً، وسقطت معه غطرسة القوّة والهيمنة الأمريكيتين، بحيث إن عبارات مثل أفول العصر الأمبراطوري الأمريكي، ونهاية عصر الهيمنة، وفشل المشروع العالمي الأمريكي أصبحت متداولة جداً، ليس فقط في أوساط السياسيين أو الصحافيين فقط، لكنها وصلت أيضاً الى الأوساط الأكاديمية الرصينة أيضاً .

# الإرهاب وعداونية النظام العالمي على الإسلام

الدكتور حسام محمد الضيقة

## مقدّمة

العنف قديم قدم الإنسان ؛ فهو ، لا شك ، يتصل بالتجربة البشرية في إطار حقيقة التاريخ التي حدّدها ابن خلدون ( ٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ/١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م) بقوله : «حقيقة التاريخ أنه خبرٌ عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم ، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحُش والتأنّس والعصبيات وأصناف التغلّبات للبشر بعضهم على بعض ، وما ينشأ عن ذلك من المُلك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال»[١] .

العنف ، إذاً ، هو فعل العداء المتولّد من «الاجتماع الإنساني» الذي يخضع «لحركة تقدم جدلية يتوق الإنسان من خلالها ، وبفضل الانتصار على تناقضاته المتجسّمة في إجهاضات الحضارات المتتالية ، إلى إنسانية أكمل فأكمل ، فهو في كل يوم يبني ، بالتغلّب على خيباته المتكرّرة ، إنسانيته . وما الخيبات في هذا الصدد ، إلاّ جملة من الانحرافات التي ، إن عاقت السير في طريق الارتقاء ، لا تقطعه ولا تغيّر اتجاهه»[٢] .

أما طبيعة الأحوال، «فإنما هي سُنّة الله التي توجّه شراع الخليقة ، ليّنة تارة

---

١ـ المقدّمة ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، ص ٣٥ .

٢ـ الطالبي ، محمد ، التاريخ ومشاكل اليوم والغد ، عالم الفكر ـ الكويت ، المجلد الخامس ، ع١ ، ١٩٧٤ ، ص ١٧ .

وعنيفة أخرى»[1].

ولقد اتجه المؤرخ الانكليزي الحديث توينبي **Arnold Toynbée** (١٦٦٩ - ١٩٧٥م) ، وهو من أشد المعجبين بابن خلدون ، اتجاهه الجدلي هذا ، وعبّر عنه بالرمزين الصينيين : **Yin** (السلب) و **Yang** (الايجاب) ، اللذين يشيران لديه إلى هذه الازدواجية النهائية في الحياة الإنسانية : حالة الخمود والمحافظة السلبية على تماثل مدرك ، وحالة من التقدّم الأبداعي إلى المجهول ، وتحوّل من عادات السلف إلى أسلوب في الحياة جديد[2] ؛ فبهذا التحوّل تنمو الحضارات .

نتبيّن من ذلك أن سُنّة التطوّر ، التي تتحكّم بمسيرة الإنسانية ، تأسيساً ونمواً وانحلالاً فانقراضاً ، تقتضي أننا نحيا في عالم متغيّر لا يعرف الثبات أبداً ، عالم أصله العداء[3] ، ومبدؤه القوة ؛ حيث لم يستطع الإنسان ، على الرغم من تراكم خبراته وتطورها ، وتكوين امبراطوريات وحضارات ، وابتداعه النظم الفكرية والتشريعية ، وحتى باعتناقه مذاهب وعقائد وأديان ـ لم يستطع أن يحقّق المجتمع الإنساني الآمن والأليف ، وكما في عالم اليوم ، لا مجال ولا إمكان لإلغاء الصراعات ؛ ذلك أن جميع البشر يختلفون في أنماط وجودهم وفقاً لتجاربهم الخاصة ، إذ إن دوافع التجربة وأشكالها وأولياتها ونتائجها ، ترتبط بمجموعة من الشروط النفسية والمجتمعية والطبيعية والاقتصادية والثقافية وتندرج في سياق تاريخي محدّد ، وتسفر عن نتائج تتشكل في صورة «الهدية» حيث تتأسس قاعدة

---

١ـ م . ن ، ص ٢٠ .
٢ـ راجع ، حطاب ، صدقي عبدالله ، أرنولد توينبي ، م . ن ، ص ٢٩٨ .
٣ـ والعداء مرجعه ، في الإسلام ، الحكم الإلهي : ﴿اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ البقرة : ٣٦ .

التمايز والاختلاف بين الجماعات البشرية ، وهذا هو التاريخ أصدق إثبات على مدى التنوّع والتعدّد في نماذج المدنيات العظمى التي أنتجها الكائن البشريّ من البدايات حتى اليوم[1] .

ومن الطبيعي أن يفضي هذا التمايز والاختلاف والتنوّع والتعدّد إلى صراع الشعوب الذي لم يقو شيء حتى الآن على منعه ؛ فالصراع بنية الوجود[2] .

ومع ذلك قد يكون العنف ، وهو أحد الأشكال السلبية للصراع ، سبيلاً إلى تعارف الشعوب وتلاقح الحضارات ؛ ذلك أن التعارف لا يتخذ دائماً نهج السلام، فقد يتأتّى عن طريق التصادم ، وهي حال الأمم البربرية التي تتغلّب بقواها المادية، لكنها في مجال الروح تنصاع لهؤلاء الذين انتصرت عليهم[3] .

ولا مناص للإنسان ، مهما كان موقعه ، من الانخراط في دائرة الصراع هذه ، وهو الذي يحرك عملية الصراع غالباً بنقلها من الأفراد إلى الطبقات والجماعات فإلى الأمم ، وتشكيلها في صراع اجتماعي اقتصادي وسياسي ، مادي وثقافي[4] ؛ لكن قلما كانت عملية الصراع هذه ، تصحب بيقين أن قيمة الإنسان ليست منوطة بوفرة ما يكتسبه ، وما يعتقده أنه السبيل إلى حياة فضلى ، إنما بالجوهر الذي يتجلّى بالحيوية والارتباط بروابط حقيقية أصيلة بالعالم ، كما دعت إلى ذلك تعاليم أساتذة الحياة الكبار «فماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كلّه ، وخسر

---

١ـ راجع ، الشامي ، علي ، الحضارة والنظام العالمي، دار الإنسانية ـ بيروت ، ١٩٩٥ ، ص ٣٢ ـ ٣٣.

٢ـ راجع ، أنطونيني ، فاوستو ، عنف الإنسان أو العدوانية الجماعية ، ترجمة نخلة فريفر ، معهد الإنماء العربي ـ بيروت ، ١٩٨٩ ، ص ٩٤.

٣ـ راجع ، هبرماس ، القول الفلسفي للحداثة ، ترجمة فاطمة الجيوشي ، منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ، ١٩٩٥ ، ص ٣٩ ؛ وأيضاً ، ابن خلدون ، المقدّمة ، ص ١٧٢ .

٤ـ راجع ، أنطونيني ، عنف الإنسان ، ص ٩٥.

نفسه»[1]، تلك حكمة الكينونة التي تدعو إلى التوحّد باللون والإنسان وخالقهما ، واعتدال الحياة ؛ أما النزوع المادي ، «النزوع للاستهلاك فهو نزوع إلى ابتلاع العالم بأسره ، والإنسان الاستهلاكي هو الرضيع الأبدي الذي لا يكفّ عن الصياح في طلب زجاجة الرضاعة»[2] .

وبهذا تحوّل الإنسان إلى رقم ، وأصبح كمّاً **Masse** يُعدّ في الجيوش والعمال والسخرة والمعتقلات والمظاهرات والاستفتاءات، وحصيلة قتلى السيول والزلازل والحوادث المتنوّعة والتهجير والحروب والإبادات والأمراض ، ويحسب على شاشات الحواسيب إلى جانب حساب الربح والخسارة، وباتت قيمته زخرفاً وترفاً بأثواب عبودية جديدة .

الإنسان بأرضه وشعبه وإنجازاته بات سلعة في السوق ، وهو ما تبنّته أخلاقيات الحكم الغربية التي بلورها هوبز **Hobs** بقوله: «الشرف هو أي شيء نملكه ، أو أي شيء نفعله ، في أية صفة يتصف بها ويكون دليلاً على القوة وعلامة عليها، فالسيطرة والانتصار أمران شريفان لأننا نحصل عليهما بالقوة . والثروات شريفة لأنها هي القوة» ، ويقول : «إن قيمة الإنسان أو جدارته هي سعره»[3] .

ومن أجل ما كان وما يكون من فساد الإنسان في الأرض ، وسفكه الدماء ، تتالى بعث الرسل لضبط الوجود الإنساني ونشر السلام والعدالة بين البشر والتمسك

---

١ـ راجع، فروم، إريك ، الإنسان بين الجوهر والمظهر ، ترجمة سعد زهران ، عالم المعرفة ـ الكويت، آب ١٩٨٩م ، ع ١٤٠ ، ص ٣٥ ، والقول من إنجيل لوقا ٩ : ٢٤ ـ ٢٥ .

٢ـ م . ن . ص ٤٦ .

٣ـ رايلي ، كافين ، الغرب والعالم ، القسم الثاني ، ترجمة عبد الوهاب المسيري ، عالم المعرفة ـ الكويت ، كانون الثاني ١٩٨٦م ، ع ٩٧ ، ص ٣٦ ـ ٣٧ .

بحبل الله، لكن الإنسان أبى واستكبر ، واختار نهجاً آخر من صنعه يتبنّى فكرة التاريخ التقدّمي ، يمارس على أساسها حريته المطلقة ، مسلحاً بعقله الفردي المبدع ، والمنافع المادية ، والقيم المدنية ، فسقط في التجربة تعصف به رياح التفكّك والفوضى وتتحكّم به المصالح ، وأصبح رهين الظرف مدّعياً القدرة على إدارة حركته ومصيره ، بعقلية غربية غريبة ترتكز فكرياً على قاعدة الحداثة وإمكانية النهوض بالبشرية جمعاء ؛ وعملياً على قاعدة التنمية المادية الصرفة ؛ فكان أن «حشرت فكرة التقدّم الشعوب ذات الحضارات المختلفة في بوتقة الاستعمار الغربي»[1] .

ويهمّنا أن نعلم أن مفهوم التحديث يشير «إلى جملة من سيرورات تراكمية يشدّ بعضها بعضاً ، فهو يعني تحديث الموارد وتحويلها إلى رؤوس أموال ، ونمو القوى الإنتاجية ، وزيادة إنتاجية العمل ، كما يشير إلى إنشاء سلطات السياسة المركزية وتشكل هويات قومية، ويشير أيضاً إلى نشر حقوق المشاركة السياسية ، وأشكال العيش المدني والتعلم العام ، وأخيراً يشير إلى علمنة القيم والمعايير»[2] ؛ أما من حيث الدلالة الواقعية فالحداثة خير ما يمثل الفوضى الحضارية والفكرية التي تعم حياتنا المعاصرة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن موت القيم الذي نتج عن هذه الحركة ، قد انتهى إلى حضور القوة بديلاً لها ، بوصفها أداة تدميرية (الفاشية والنازية والحربان العالميتان) ، وقد تنتهي إلى الكارثة الكبرى التي تهدّد

١ـ التريكي ، فتحي ورشيدة ، فلسفة الحداثة ، معهد الإنماء القومي ـ بيروت ، ١٩٩٢ ، ص ١٣ .
٢ـ هبرماس ، القول الفلسفي ، ص ٩ .

الإنسانية جمعاء (القوى الذرية)[1].

هذا الوعد العظيم بالتقدّم التكنولوجي والفكري أشعر الإنسان وكأنه على الطريق ليصير كائناً أعلى، «ولو أن روح المعرفة العلمية والفردية، نمت نمواً وئيداً، وعلى نحو تطوري، لكنّا اليوم أسعد حالاً، لكن العقل أخذ يتدهور إلى نوع من الذكاء الشرّير، كما تدهورت الروح الفردية إلى الأنانية»[2]؛ بحيث يمكننا القول: إن هذا التقدّم لم يهد الإنسان إلى سواء السبيل، ولم يحقق له «الجمهورية» ولا «المدنية الفاضلة»، بل عالماً يطرح تحديات ومشكلات وأخطاراً: عالماً منقسماً بين شرق وغرب، وشمال وجنوب، وأغنياء وفقراء، وأقوياء وضعفاء، في دائرة حركة صراعية شاملة اجتماعاً واقتصاداً وسياسة وثقافة.

## ١ـ العنف والإرهاب:

ومن شأن تراكم التناقضات بين المجتمعات أو داخل المجتمع الواحد، والذي صعّدت وتيرته موجة الحداثة العالمية التي تحدثنا عنها، أن يدفع إلى تشكل جماعات معارضة بدا لها أنها تكاد تسحق في مصيدة «العدوان التكنولوجي والإشباع»[3]، وقد يضطرها الاستغلال والحصار والقمع إلى الثورة المسلحة، طالما لم ينفع النقد السلمي سبيلاً إلى التعبير عن رفضها السياسات الجائرة، بمختلف أشكالها وأساليبها، لتحقيق طموحاتها وبرامجها؛ إذ أن كل حركة

---

١ـ را. برادبري، مالكوم، الحداثة ـ ١، ترجمة مؤيد فوزي حسن، مركز الإنماء الحضاري ـ سوريا، ط٢ ـ ١٩٩٥، ص ١١، من المقدّمة: "تجليات الحداثة" لمنذر عياشي.

٢ـ فروم، الإنسان، ص ١٥٠.

٣ـ ماركوز، هربرت، فلسفة النفي، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الآداب ـ بيروت، ط١، ١٩٧١، ص ٢٧١.

ثورية هي تعبير عن موقف سياسي معارض ، إلاّ أن نقد هذه الحركة مرهون بآليات العمل .

لهذا أصبح اللجوء إلى العنف ، هو النمط المتّبع في أجزاء مختلفة من العالم . وأبرز أنواعه ما بات يعرف بالإرهاب، وهو العبارة النموذجية التي ترد في الإعلام السياسي الدعائي،و«ظاهرة من ظواهر الاضطراب السياسي في العصر الحديث»[1]، وتتصل ، من قريب أو من بعيد بالحركة الاستعمارية القديمة والجديدة ، وبالنظام العالمي الجديد ، والعولمة وعسكرة النظم ، والاستبداد السياسي ، والاقتصاد والثقافة، بحيث بات الإرهاب ظاهرة عالمية ليس لها دين ولا جنسية ، وذا قدرة على اختراق الحدود الدولية .

وهو من حيث مفهومه يعني استخدام العنف من جانب أفراد أو جماعات وتنظيمات سرية مسلحة اليوم بالعلم والتكنولوجيا ، لخلق حالة من الخوف والرعب والهلع لدى الانظمة المستهدفة ومواطنيها تساعد على تحقيق مآرب سياسية للإرهابيين تتمثل في تقويض أسس المجتمع السياسي[2] ، بفعل أعمال انتقامية تضعضع قوى السلطة والناس .

الإرهاب إذاً متعلّق بغاياته ، ومع اختلاف أسبابه ومبرراته وغاياته ، صار من الصعب الاتفاق حول تعريف الإرهاب يوفق بين مختلف وجهات النظر الكثيرة حوله والمعلّلة بمفاهيم سياسية واجتماعية وقانونية وإيديولوجية متضاربة . وهذا ما

---

١ـ الكيلاني ، هيثم ، الإرهاب يؤسس دولة ، دار الشروق ـ بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ م ، ص ١٧ .
٢ـ را . قضايا ومشكلات عالمية معاصرة ، لمجموعة مؤلفين ، إعداد علي ليلة ، من بحث قضايا الأمن العالمي لمصطفى علوي ، الجامعة العربية المفتوحة ـ الكويت ، ط١ ، ٢٠٠٥ ، ص ٢١١ .

توصّلت إليه «اللجنة المخصّصة المعنيّة بالإرهاب الدولي» ، الموكلة من الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٧٢ . وبما أن الإرهاب يتجلّى بفعله لا بمفهومه ، يبدو أن عنصر الهدف هو أكثر العناصر استقطاباً للخلاف ، في تحديد شرعية العمل الإرهابي أو عدم شرعيته ، في نفيه أو تأكيده ، لارتباطه بشرعية الهدف أو عدم شرعيته[1] .

ولكن ما المرجع الصالح لتحديد شرعية الهدف ليبرّر شرعية العنف ؟ الجماعات «الإرهابية» بأهدافها السياسية والايديولوجية ؟ أم ميثاق الأمم المتحدة بمجالسها ولجانها القانونية التي تمثله ؟ وهل هذا الميثاق هو على المسار العملي الصحيح ، وحرّ في مجال التطبيق ؟

لا شك أن الجماعات الناشطة في الساحة السياسية المحلّية أو الدولية ، من حركات ومنظمات وأحزاب ، المعلنة أو الخفية ـ مُحرّكة بأهداف وبرامج وإمكانيات وإعلام وشعوب وأنظمة ، وهي متفاوتة في ذلك ، ويجب التمييز بينها: بين تلك التي تناضل من أجل الاستقلال الوطني ، ومقاومة الاحتلال والسيطرة ، تحت مسميات الاستعمار والعنصرية والصهيونية والنازية والفاشية ؛ وبين جماعات حاقدة مرتزقة أو ذات ايديولوجيات منغلقة ومنحرفة ، «لأنه في ميدان السياسة لا ترتبط حقيقة الأفعال والظواهر بما يعتقده هذا الفرد أو ذاك، أو بتكيّف الأعمال من قبل الفاعلين ، وإنما ترتبط حقيقة الأفعال بالآثار الملموسة التي تتركها تلك الأعمال ، وبدورها الفعلي في الهيكل السياسي للمجتمع ، وأخيراً بالنتائج التي

---

١ـ را. الكيلاني ، الإرهاب ، ص ١٦ .

تجسّمها تلك الأعمال في حياة ذاك المجتمع»[1] .

أما الأمم المتحدة ، فقد أولت في محاضر اجتماعاتها والتقارير والدراسات سواء في الجمعية العامة أو مجلس الأمن أو لجنة الإرهاب أو غيرها من اجهزتها ومنظماتها ولجانها المتخصّصة ومؤتمراتها ـ هذين الموضوعين : كفاح التحرير والإرهاب اهتماماً بالغاً .

أـ أما بالنسبة إلى كفاح التحرير ، فقد أعلنت المنظمة الدولية شرعيته في الدورة ٣٨ قرار ٣١٠٣ ـ ١٩٧٣/١٢/١٢ ، وفي دورات سابقة ولاحقة ، ملتزمة المبادئ التي تثبت هذا الحق :

- «إن نضال الشعوب الواقعة تحت السيطرة الاستعمارية والأجنبية والانظمة العنصرية في سبيل تحقيق حقها في تقرير المصير والاستقلال ، هو نضال شرعي ، ويتفق تماماً مع مبادئ القانون الدولي» .
- «إن أية محاولة لقمع هذا النضال هي مخالفة لميثاق الأمم المتحدة ، ولإعلان مبادئ القانون الدولي الخاصة بالعلاقات الودّية والتعاون بين الدول» .
- «تؤكد الجمعية العامة من جديد شرعية كفاح الشعوب (الدورة ٣٢ عام ١٩٧٧) في سبيل الاستقلال والسلامة الإقليمية والوحدة الوطنية ، والتحرير من السيطرة الاستعمارية والأجنبيّة ومن التحكّم الأجنبي ، بجميع ما أتيح لهذه الشعوب من وسائل ، بما في ذلك الكفاح المسلّح»[2] .

مثل هذه القرارات الدولية أصبحت غير ذات جدوى ، بعد أن اختلّ ميزان

---

١ـ الرميحي ، محمد ، العنف والإرهاب ، العربي ـ الكويت ، ع ٣٢٠ ، تموز ١٩٨٥ ، ص ١٣ ـ ١٤ .
٢ـ الكيلاني ، الإرهاب ، ص ٢٢ .

القوى العالمي ، خصوصاً بعد انتهاء الحرب الباردة ، وبعد بدء المحاولات لإرساء نظام دولي جديد ؛ فعمل الأمم المتحدة قد تغيَّر ، ومجلس الأمن ، بعد أن كان منبراً تلجأ إليه الدول المُعتدى عليها لحماية أمنها وسلامتها ، خرج عن مساره ، وبات يخضع لتوجيهات القطب الواحد وحلفائه ، بما يتفق مع سياساته ومصالحه .

ومن داخل الجمعية العامة ، ثمة من يتحدث عن غرفة جانبية مخصّصة لخمسة عشر عضواً يتبادلون وجهات النظر ، ويتم الاتفاق على النظر أو عدم النظر ، على إصدار بيان أو قرار أو عدم إصدارهما ، أو حتى على ضرورة الاجتماع أو عدمه ، ثم يتولى مجلس الأمن في جلسته العلنية إخراج ما يصدر عن تلك الغرفة ، فلا يبقى غير تأييد بقية الأعضاء الذين لا يُشجعّون حتى على إبداء الرأي والمشاركة في النقاش العلني[1] .

ب ـ أما بالنسبة إلى الإرهاب ، فقد تعدّدت الجهود القانونية الدولية والاقليمية الرامية إلى مكافحته أو تقييد فعاليته ؛ فعمدت بعض الدول إلى تعديل تشريعاتها الوطنية وتطويرها لتطويق هذه الظاهرة ، وإلى صياغة اتفاقيات دولية كاتفاقيات طوكيو عام ١٩٦٣ ، ولاهاي عام ١٩٧٠ ، ومونريال عام ١٩٧١ والبروتوكول الملحق بها عام ١٩٨٤ والخاص بالجرائم التي ترتكب على متن الطائرات ، واتفاقية نيويورك عام ١٩٧٣ شأن حماية الشخصيات العامة الدولية، واتفاقية منع واحتجاز الرهائن عام ١٩٧٩ ، واتفاقية الحماية المادية للمواد النووية في فينا عام ١٩٨٠ ؛ وتخلّل ذلك جهود إقليميّة في هذا الاتجاه تمثّلت

١ـ را. الياسين ، أنور ، الأمم المتحدة في الذكرى الخمسين لقيامها ، العربي ـ الكويت ، ع ٤٤٣ ، أكتوبر ـ ١٩٩٥ ، ص ٤٠ .

في اتفاقية واشنطن ١٩٧١ في نطاق القارة الأمريكية ، والاتفاقية الأوروبية لمكافحة الإرهاب عام ١٩٧٧ ، والاتفاقية العربية عام ١٩٩٨ ، واتفاقية الجزائر ١٩٩٩ المتصلة بمنظمة الوحدة الافريقية[1] .

إلاّ أن هذه التشريعات والاتفاقيات لم تنجح في احتواء هذه الظاهرة . لاختلاف وجهات النظر حتى بالنسبة إلى تعريف منضبط أو مقبول على المستوى العالمي للإرهاب ، ويستدل من مناقشات الأمم المتحدة والدراسات التي عالجت موضوع الإرهاب أن هذه الظاهرة ، معقّدة وشائكة ، ذات أصول وأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية متعدّدة الجوانب ، بحيث تكتّلت الأمم حولها في إتجاهين :

- اتجاه غربي يدعو إلى ضرورة التصدّي للإرهاب ، وقمعه بشدّة على أن تعالج أسبابه فيما بعد ، مع قيام تعاون دولي لمكافحته فيما يتصل بتبادل المعلومات وتسليم الفاعلين ومحاكمتهم . ويشير أصحاب هذا الاتجاه إلى أن حق الشعوب في الكفاح من أجل التحرّر وتقرير المصير ، لا يجوز أن يتضمّن أعمالاً إرهابية ضد مدنيين أبرياء أو أن يشكل خرقاً أو انتهاكاً لحقوق الإنسان الأساسية ، وإنما يمارس ذلك الحق وفق أحكام ميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي بوجه عام .
- واتجاه دول العالم الثالث الذي لا يخالف الاتجاه الأول في إدانة الإرهاب ومكافحته ، إنما يجب أن تقترن التدابير ضدّه ، في الوقت ذاته ، بمعالجة الأسباب الكامنة وراءه ، والتي تتمثل بالسياسات الاستعمارية والعنصرية

---

١ـ را. علوي ، الأمن العالمي ، ص ٢١٤ .

واستعمال القوة للتوسع والسيطرة وبسط النفوذ والتدخل السافر في الشؤون الداخلية للدول ، مع التأكيد على أن الكفاح التحرّري ومقاومة الاحتلال هما من القيم الإنسانية التي لا يجوز أن ترمى بالإرهاب[1] .

ومع يقيننا أن إرهاب مثل هذه الجماعات والتنظيمات السرية أمرٌ خطير ، لكن الأخطر هو إرهاب الدولة المتمثل بالسياسات الاستعمارية الأوروبية والأمريكية ، وبعض الأنظمة المستبدة بشعوبها على مساحة العالم ، إسرائيل ، جنوب افريقيا ... فمن يكبح هذا الإرهاب ، المنظمات الدولية أم الرأي العام العالمي أم الكفاح المسلّح ؟

لا شك في أن خيار المقاومة هو الأفضل في مثل هذه الأحوال .

## ٢ ـ إرهاب « سبتمبر»:

إن أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ التي استهدفت الولايات المتحدة قد مثلت نقلة نوعية ضخمة في تطوير الظاهرة الإرهابية ، ليس على مستوى أميركا فقط بل على مستوى العالم كلّه ، فطريقة تنفيذ هذه الأحداث ومكان التنفيذ يحملان الكثير من الدلالات والمعاني ؛ منها أن الإرهاب أكد نفسه ظاهرة عالمية ، وأن المحيطات التي تتحصّن بها أميركا ، فضلاً عن كل أنظمة الدفاع ورموز القوة الحديثة للدولة العظمى ، لم تفلح في منع وقوع هذه الهجمات التي حملت من سمات الغموض أكثر مما حملت من سمات الوضوح والفهم ، خاصة أن المسار الأميركي في التعامل مع هذه الهجمات ارتبط بقضايا أخرى مهمّة ، دفعها العالم الغربي إلى

---

١ ـ را. الكيلاني ، الإرهاب ، ص ٢٠ .

الواجهة ، مثل نشر الديمقراطية ، وحقوق الإنسان ، ومحاربة انتشار أسلحة الدمار الشامل[1] .

ولعل أهم ما ترتّب على هذه الأحداث من المنظور الأمني ، يتمثّل في الأزمة الأمنية الكبرى داخل الولايات المتحدة التي سرعان ما تجاوزتها ببناء تحالف داخلي صلب ضد الإرهاب ، يشكل نقطة انطلاق لتدشين سياسة الحرب العالمية ضد الإرهاب ، فأنشأت لأول مرّة في تاريخها وزارة للأمن الداخلي ، رصدت لها موارد أكثر من ٥٠ مليار دولار سنوياً ، وفرضت إجراءات أمنية صارمة ، هي الأولى من نوعها في تاريخها ، كما سنّت تشريعاً جديداً للهجرة ، وانتهكت في سبيل أمنها حقوق الإنسان ، وحقوق الأقليات والجاليات ، إذ عاشت الأقليات العربية والمسلمة وضعاً مرعباً ، امتلأ بالتهديد والملاحقة ، وتوجيه الاتهامات[2] .

قبل ١١ أيلول كانت الولايات المتحدة تدرك كسائر الدول وجود مشكلة أمنية كبرى على مستوى العالم اسمها الإرهاب ، لكنها لم تكن تعتبر الإرهاب مصدراً خطيراً يمكن أن يهدد أمنها ، بل إنها تعاملت وتعاونت أحياناً مع عناصر أو جماعات متورّطة في أعمال إرهابية ، بخاصة في عمل إرهابي من طراز فريد . عندئذ سعت بكل جدّية وحزم إلى لملمة ما تفرّق من نظامها الداخلي ، وأعادت صياغة مفهومها وسياستها للأمن بالتركيز على الإرهاب مصدراً خطيراً لتهديد الأمن الأميركي والأمن العالمي ، وبالتخطيط لحملة عسكرية وسياسية عالمية ضد الإرهاب ، وبخاصة تنظيم القاعدة ، تبدأ من أفغانستان وتمتد إلى دول أخرى منها

---

١ـ را. علوي ، الأمن ، ص ٢١٢ .
٢ـ را . م . ن ، ص ٢١٣ .

العراق ؛ فبحجّة «القاعدة» تكون أميركا قد سعت إلى تأمين مصالحها في قلب آسيا والشرق الأوسط ؛ لذلك ضاعفت إنفاقها العسكري من ٢٥٠ مليار دولار إلى ٤٦٥ مليار دولار في العام ٢٠٠٤ ـ ٢٠٠٥ ، وزادت من أعداد قواتها وأسلحتها ، ووجودها العسكري في الخارج ، وقد اندفع الرئيس الأميركي إلى تبنّي وثيقة في استراتيجيّة للأمن القومي جاء فيها : «إن مهمّة الدفاع عن أمتنا قد تغيّر دراماتيكيّاً ، فأعداء الماضي احتاجوا إلى جيوش عظيمة وقدرات صناعية عظيمة لتهديد أميركا بالخطر ، أما الآن فإن شبكات خفيّة من الأفراد بإمكانها أن تجلب الفوضى والمعاناة الكبرى لشواطئنا ؛ وذلك بتكلفة تقل عن ثمن شراء دبابة واحدة ، إن الإرهابيين منظمون من أجل اختراق المجتمعات المفتوحة وتحويل قوة التكنولوجيات العصرية ضدّنا»[١] .

## ٣ـ موقف الإسلام من الإرهاب:

وتكون أميركا بذلك قد حدّدت عدوّها ، وبدون دليل : «الإرهاب الإسلامي»، وأسرعت إثر ذلك إلى حشد قواتها وعتادها تواجه بها فلول «طالبان» و «القاعدة»، باعتبار أنهم العدو الذي هاجم أميركا في ١١ أيلول ، وصاحب ذلك صدور تقرير «الإرهاب في العالم» عن الخارجية الأمريكية في مايو (أيار) ٢٠٠٢، يعرّف الإرهاب بأنه «كل عنف متعمَّد يجري بواقع سياسي ، وتتم ممارسته خارج ميادين القتال»[٢] .

---

١ـ م . ن ، ص . ن .
٢ـ المراغي ، محمود ، ذاكرة «سبتمبر» ، العربي ـ الكويت ، عدد ٥٢٦ ، سبتمبر ٢٠٠٢ ، ص ٩٦ .

وهذا التعريف ، كما هو واضح ، يلغي المقاومة المشروعة للمحتل ، ويدين ضمناً حركات التحرير ، لهذا اندفعت الإدارة الأمريكية إلى إدراج منظمات المقاومة الفلسطينية كافة ، وحزب الله في لبنان على لائحة المنظمات الإرهابية ، في الوقت الذي تعتبر الإدارة ذاتها أعمال إرهاب الدولة التي ترتكبها إسرائيل بحق الفلسطينيين دفاعاً مشروعاً عن النفس ؛ وهو أمر يؤكد ازدواج المعايير الذي أفقد أميركا مصداقية سياستها الخارجية ، والتزامها بنود الاتفاقات الدولية ، وكشفت أميركا بفعل مواقفها وممارساتها عن وجهها البشع المقيت في نظر شعوب العالم العربي والإسلامي من الدول النامية التي لا تزال تعاني آثار الاستعمار القديم الذي ترك ندوباً عميقة في كياناتها ، كالجهل والتخلّف والانقسام والفقر وممارسة التعسّف والظلم والتبعيّة ... وهي عوامل أساسية على دفع هذه الشعوب إلى التسلح والعنف من أجل التحرّر والأمن والتطوّر وممارسة حق تقرير المصير .

أما السؤال المطروح «الإرهاب إسلامي؟» فيستدعي البحث في المسائل الآتية:

أ ـ مفهوم الإرهاب في الإسلام .

ب ـ الأمن الإسلامي .

ج ـ خطاب النظام العالمي عن الإسلام .

## أـ مفهوم الإرهاب في الإسلام :

لم يتخذ الإسلام ، غالباً ، خلال انتشاره بقوة العقيدة ، وجهد المسيرة ، طابع اجتياح ولا طابع استعمار ، ولم ينتشر بحد السيف ، كما لم تكن لديه مشكلة مع

تعدّدية الشرائع والحضارات واللغات والألوان والقوميات والأجناس التي واجه ، «فالتعدّدية سنة إلهية وقضاء تكويني لا تبديل له ولا تحويل»[1] .

- ﴿ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[2] .

- ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[3] .

- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[4] .

وإقامة العلاقات بين أطراف هذه التعدّدية ، في الإسلام ، يجب أن تكون على قاعدة المعروف ووفق ما يتعارف عليه الناس ، «والتعارف ، أي التفاعل في المعروف هو التكليف الإلهي بإقامة العلاقات مع الآخرين»[5] ، إلاّ أن السياسة الشرعية لا تقف عند البلاغ القرآني والبيان النبوي ، بل ترفدها الحكمة التي يدخل فيها كل ما يحقق الصلاح وينفي الفساد ، وما يدركه البشر بالعقل والوجدان والحواس والتجريب .

---

١ـ عمارة ، محمد ، النظام العالمي الجديد «رؤية إسلامية» ، العربي ـ الكويت ، عدد ٤٤٣ ، اكتوبر ١٩٩٥ ، ص ٣٢ .

٢ـ سورة هود ، الآيتان ١١٨ ـ ١١٩ .

٣ـ سورة المائدة ، الآية ٤٨ .

٤ـ سورة الحجرات ، الآية ١٣ .

٥ـ م . ن . ص . ن .

وقد وضع المسلمون هذا المنهاج في التفاعل الحضاري ، منذ فجر الإسلام ، موضع التنفيذ ، إلا أنه في القرون الماضية ، نالت الأمّة مفسدة التقليد نتيجة التخلّف والضعف ، فاستسلمت للتبعيّة تساق بحبلها إلى المقصلة ، وقد أدرك مفكرو اليقظة الإسلامية هذا الواقع ، فدعوا إلى التمييز بين التفاعل الحضاري والعلاقات مع الحضارات الأخرى ، بين النافع والضار ، بين الملائم وغير الملائم، بين المشترك الإنساني العام والخصوصيات الثقافية والعقدية والحضارية .

فجمال الدين الأفغاني يرى مثلاً أن « التمدّن الأوروبي هو ، في الحقيقة ، تمدّن للبلاد التي نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الإنساني ، والمسلمون الذين يقلدونه إنما يشوهون وجه الأمة ، ويضيّعون ثروتها ، ويحطّون من شأنها ، إنهم المنافذ لجيوش الغزاة ، يمهّدون لهم السبل ، ويفتحون لهم الأبواب»[1] .

عالمية الإسلام ، لا تنفي ، إذاً ، الخصوصيات الحضارية والعقدية والثقافية للأمم والحضارات المتميّزة في هذا العالم ؛ إلاّ أن العالم لم يراع خصوصياتها ، إذ أنه تاريخ من الحرب الدائمة القائمة والمعلنة على عالم الإسلام ، فلقد ظلّت القسطنطينيّة ، منذ عهد هرقل ٦١٠ ـ ٦٤١م وحتى الفتح الإسلامي لها ٨٥٧ هـ/ ١٤٥٣م ، في حرب دائمة ضد الدولة الإسلامية ، والحملات الصليبيّة التي قادتها البابوية الكاثوليكية ، وأمراء الإقطاع الأوروبيون وموّلتها المدن التجارية الأوروبية، والتي استمرّت قرنين من الزمان ٤٨٩ ـ ٦٩٠هـ/ ١٠٩٦ ـ ١٢٩١م كانت موجّهة بعدائية واضحة إلى بلاد الشرق الإسلامية .

ولمّا افتتح المسلمون قاعدة تجييش الجيوش تلك ، صعّد الجناح الغربي

---

١ـ م . ن . ص ٣٣ .

للنصرانية الغربية الضغط على الإسلام ، فاقتلعوه من الأندلس ٨٩٧هـ/١٤٩٢م ، وبدأوا حروب القرون الخمسة التي بدأت بالالتفاف حول العالم الإسلامي ، ثم الغزوة الاستعمارية قبل قرنين من الزمان[١] .

وقد فرض واقع الصراع الدائم بين الإسلام وأعدائه على الفقه الإسلامي تقسيم العالم إلى دارين : دار إسلام وسلام ، ودار كفر وحرب ، بينما يريد الإسلام لهذا العالم أن يكون إحدى فئتين : أمة الاستجابة التي اختارت هذا الدين اختياراً حرّاً ، فالتزمت بأمانة إقامته إلى يوم الدين ؛ وأمة الدعوة التي يجب على المسلمين أن يعرضوا الوجه الحق لها ، علّ الله يهديها[٢] . وليس عرضاً أن يتأخر الإذن بالقتال ، في بداءة الدعوة ، عن الدعوة إلى الدين بالحكمة والموعظة الحسنة .

- ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[٣] .

- ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ** ﴾[٤] .

وعلى هذا الأساس ، بات علينا أن نعرف في أية ظروف يدعو الإسلام إلى الحرب ، وما هي شروط حربه ؟

دوافع الحروب ، كما نعلم ، مختلفة ؛ وهي ، مهما كانت واسعة أو محدودة لا

---

١ـ م . ن ، ص ٣٤ .
٢ـ م . ن ، ص . ن .
٣ـ سورة النحل ، الآية ١٢٥ .
٤ـ سورة الحج ، الآيتان ٣٨ ـ ٤٠ .

تخرج على أحد نمطين : عدوانية أو دفاعية . بل هي ، في حد ذاتها ، ذروة العدوانية الجماعية وتمتاز بميزات خاصة : إنها قتال مسلح ودوام بين التكتلات المنظّمة وتتداخل في إثارتها المشاعر الشعبية والعقائد الشرعية والثقافات الوطنية، فضلاً عن المصالح الاقتصادية ، ولا يمكن أن تنتج سوى تدمير المرافق والثروات وإبادة الناس وبعثرة مجتمعاتهم وهي مرفقة بالقتل والنهب والتخريب بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة لتحقيق انتصار جانب على جانب آخر[1].

ومن المثير للسخرية أن تقام بعد الحروب الحديثة خاصة محاكم تدين الجرائم التي ترتكب خلالها ، إلا أنها لا تطال الرؤوس الأساسية التي قادت وقرّرت تلك الانتهاكات لحقوق الإنسان، وغالباً ما تعقد لتحقيق عدالة المنتصرين، الذين ما فازوا بالحرب سوى بامتلاكهم قوة أشدّ فتكاً فجرائمهم ، بالتالي ، أشدّ عنفاً ، فهم وأعداؤهم سواء في الإجرام ، فأية عدالة ، إذاً ، تتحقّق ؟

أما الإسلام فدين جهاد ، ومفهومه للحرب مقيّد بالعقيدة . «وتكليف الجهاد/ الحرب ينضبط في مدار الكدح إلى الله ، وفي سبيله ، لا في سبيل الأمجاد الشخصية والعصبية والاستيلاء على الأرض ، ولا في سبيل المغانم أو المكاسب من أي نوع، ولا في سبيل تسويد طبقة على طبقة ، أو عرق على عرق ، أو فرد على مجموع ، أو مجموع على فرد ؛ وإنما هو القتال تحت لواء المشروع الإلهي للكون ، وهو مشروع دعوة مستمدة ، أساسه تثبيت القابليات الفطرية الكلية للكائن البشري في التوحيد والعلم والحرية ، والمحافظة على الحقوق في الحياة والأرض والثروة والاستقلال والشرف ، وذلك لما فيه صلاح الإنسان وسعادته في الدنيا

---

١ ـ را. انطونيني ، عتق الإنسان ، ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

والآخرة»[1].

- ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾[2].
- ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[3].
- ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4].
- ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾[5].

هذا البعد الإنساني للجهاد لم يعه سوى قلّة من مفكّري الغرب المستشرقين ، في حين يشبّه «ماكدونالد» الجهاد الإسلامي بالحرب المتقدّمة ، ويذهب إلى أن «نشر الإسلام بالسلاح هو واجب ديني على كل المسلمين» ، والمستشرقون غالباً ما يستندون ، في ذلك ، إلى نصوص يُساء فهمها ، وتُفصل عن سياقها ، ليجعلوا من الإسلام «دين سيف» ، ويماثلوه بمفهوم الإرهاب ليمكّنوا حكوماتهم من

---

١ـ سليمان ، سمير ، الحرب ونظرية الدفاع والمقاومة في الإسلام ، التوحيد ـ إيران ، العدد ٣٩ ، آذار ـ نيسان ، ١٩٨٩ ، ص ١٠١ .
٢ـ سورة البقرة ، الآية ١٩٠ .
٣ـ سورة البقرة ، الآية ١٩٣ .
٤ـ سورة البقرة ، الآية ٢٤٤ .
٥ـ سورة الحج ، الآيتان ٣٩ ـ ٤٠ .

تمويه أطماعها في البلاد الإسلامية ، وشنّها الحروب ضدّها[1] .

وقد تتبدّى الحقيقة لبعضهم ، كهذه الراهبة الكاثوليكية «كارين أرمسترونج» التي تقول: «في الغرب تم تصوير النبي محمد وكأنه «أمير حرب» يفرض الإسلام على عالم متردّد بقوّة السلاح، فالرسول كان في موقف الدفاع عن النفس، وكان يخوض الحرب العادلة ، كما أقرّها القرآن ، وكما يتفق معها المسيحيون . إنّ محمّداً لم يرغم أبداً أحداً على أن يغيّر دينه ، وفي الواقع إن الإسلام يحدّد وبوضوح شديد أنه «لا إكراه في الدين» ، وفي القرآن فإن الحرب الوحيدة العادلة هي حرب الدفاع عن النفس ، وفي أحيان كثيرة فإنه من الضروري أن تحارب دفاعاً عن القيم ، كما آمن المسيحيون أنه من الضروري أن يحاربوا هتلر»[2] .

والإرهاب من مفردات الحرب ، وقد استعمل في القرآن ثماني مرات ، منها خمس بمعنى الرهبة من الله والخوف منه ، مثل : «وإياي فارهبون»، «وهم لربهم يرهبون» ، «يدعوننا رغباً ورهباً» ، ومرتان بمعنى إرهاب المسلمين للعدو ، وهو إرهاب إيجابي وتخويف له ليس عن طريق العنف الفعلي ، بل عن طريق الإيحاء بالقوة والتلويح بها «ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم» ، ومن لا يخاف الله يخيفه المؤمنون «لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله» ، ومرّة واحدة إرهاب القوة للمسلمين ، مثل إرهاب شجرة فرعون للمؤمنين : «واسترهبوهم وجاءوا بسحر

---

١ـ غارودي ، روجيه ، وعود الإسلام ، ترجمة مهدي زغيب ، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ، ط١ ـ ١٩٨٤ ، ص ٥٤ .

٢ـ رافع ، شوقي ، محنة الأصوليين ، العربي ـ الكويت ، ع ٤٣٧ ، ابريل ـ ١٩٩٥ ، ص ٥٩ .

عظيم»[1].

وكثيراً ما يرجع الباحثون الإسلاميون إلى الآية السابق ذكرها:

﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ في مسألة الإعداد والتعبئة في وجه الأعداء، فلا يرون فيها سوى معاني التخويف وبث الرعب والهلع بين ظهراني العدو الذي يقاومونه، ويهملون المسألة الأهم في المصطلح القرآني، وهي مسألة الهدف من الإرهاب، فيتمسكون بالوسيلة أو الأداة، وينسون غائيتها المتمثّلة في ردع العدو ومعاقبته على اقتراف عدوانه[2].

لا بد للمشروع الإسلامي من قوّة تحميه، ومشروع كهذا، لا بد أن تتحالف ضدّه كل قوى الباطل المستفيدة من ديمومة نظام الكفر السائد فعلاً واستمراريته، أو القائم بالقوة، وذلك بهدف تصفيته أو حرفه عن مداره، ولا بد لتلك القوى الطاغوتية أن تبادر إلى العدوان كما هي سنتها وقانونها عبر التاريخ، مهما تغيّرت شعارات العدوان أو تبدّلت أقنعته أو تطوّرت أسلحته[3].

أما شروط الحرب، فيجملها التوجيه النبوي الشريف: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله لا تغلّوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً وإذا لقيتم عدوّكم من المشركين فادعوهم إلى ثلاث خصال: إلى الإسلام فإن أسلموا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم وإن أبوا فادعوهم إلى الجزية فإن أبوا فانبذوا إليهم»[4].

---

١ـ را. حنفي، حسن، الغرب وأزمة البحث عن عدو، العربي ـ الكويت، ع ٥١٨، يناير ٢٠٠٢، ص ١٣٩.

٢ـ را. سليمان، الحرب، ص ١٠٣.

٣ـ را. م. ن، ص ١٠١.

٤ـ را. الشامي، الحضارة، ص ١٩٥.

بذلك تكون الحرب / الجهاد في الإسلام متعلّقة بهدفها الأسمى الذي حدّده القرآن الكريم ، وبينته السنة النبوية الشريفة .

## ب ـ الأمن الإسلامي :

من المبادئ الأمنية التي نصّ عليها تقرير لجنة «إدارة شؤون المجتمع العالمي»، أن للناس كافة حقّاً في وجود آمن يقتضي منع الصراع والحرب ، والمحافظة على سلامة النظم المعزّزة للحياة على الأرض عن طريق مُعالجة الظروف السلبية ، ومواجهة التهديدات ، واستباق الأزمات قبل أن تتصاعد إلى صراعات مسلحة[1] . وذلك لعلاقة الأمن باتجاهات النظم التي تعتمدها الدول .

ولما كان واقع حال العالم غير ذلك ـ فمن الطبيعي أن تسعى الدول والمجتمعات إلى حماية أمنها وكياناتها وإمكاناتها بكل قوّة ، لأن الدفاع عن المجتمع أمر لازم في كل وقت ، ولقد باشرته الجماعات في كل العصور ، إذ أنه فعل غريزي ضدّ كل ما يمثل خطراً على المجتمع من إخلال بأمنه ونظامه .

ومع تطوّر المجتمعات وتقدّمها ، أصبح الأمن محور الارتكاز الرئيس في تحديد إطار الإستراتيجيات القومية الكبرى ، وفي تكييف أنماط علاقاتها الخارجية ، وتقرير الأهداف المتوخاة من وراء هذه الإستراتيجيات والسياسات .

على هذا الأساس نستطيع أن نطرح قضية الأمن الإسلامي بواقعه ومقوماته ، في إطار السؤال عن إمكان تحقيق هذا الأمن في وجه التحديات الخطيرة التي

---

١ـ جيران في عالم واحد ، نص تقرير لجنة ١١ إدارة شؤون المجتمع العالمي ، ترجمة مجموعة من المترجمين ، عالم المعرفة ـ الكويت ، ع ٢٠١ ، سبتمبر ١٩٩٥ ، ص ١٠٤ .

تتعرّض لها مجتمعاتنا داخلياً وخارجياً ، مع علمنا أن توفير الأمن يستلزم توحيد قوى المجتمع ، لأنه متى تفكّكت المجتمعات ، واختلفت اتجاهاتها ، ضعف أمنها، وسهُل اختراقها ، لتدخل في صراعات داخلية أوّلاً بحيث لا تستطيع مقاومة المؤامرات التي تحاك ضدَّها ؛ إلاّ أن الخطر المشترك قد يكون دافعاً قوياً إلى توحيد هذه القوى والمواجهة من جديد ، ولكن بأثمان مضاعفة من الخسائر .

وما أسهل ما تقع الأمم فريسة المنازعات وأخطارها ، فتفقد رفعتها ، وقد لا تستعيد وحدتها وعافيتها خلال قرون ، والقرآن الكريم يحذّرنا من الوقوع في هذه الحالة : ﴿ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[1] .

والواقع أنه بالقوة التي احتضنتها الدعوة، انتشر الإسلام من جبال هملايا / الهند، إلى جبال البيرنيه / إسبانيا ، خلال قرن واحد .

غير أن عوامل شتى ، أسهمت في تفكيك هذه الوحدة ، مما دفع بكل جماعة إسلامية إلى الاستقلال بذاتها وأمنها ، والتحصّن بقدراتها المادية والمعنوية .

وقد أصبحت الساحة الإسلامية بهذه الانقسامات ، ساحة مثلى للصراعات الداخلية والإقليمية ، والاجتياحات الاستعمارية ، والحركات الانفصالية ، وحتى ولادة اتجاهات معادية للإسلام .

وعلى رغم وضوح الأحكام الإسلامية واعتدالها فيما يتعلّق بمختلف جوانب الحياة الإنسانية ، ومنها الجانب الأمني ، إلاّ أن المجتمعات الإسلامية تعاني اليوم ، كسائر البشر ، من متاعب وصعوبات ، فأوضاعها الأمنية غير مستقرّة .

---

١ـ سورة الأنفال ، الآية ٤٦ .

فحيثما تتوجه ترى حروب الطوائف والعقائد والعنصريات ، كما ترى كل قطر إسلامي منشغلاً بنفسه ، والعداء يمتد في العالم الإسلامي ـ الأفريقي ، يقابله العداء على الخليج الإسلامي ، ويعضده في الشمال العداء التركي ـ الكردي .

أما فلسطين فجرح نازف منذ ١٩٤٨ ، جرّاء المؤامرات الغربية ـ الصهيونية ، وكذلك وضع كشمير بين باكستان والهند .

كما سقط العراق في صراعات دموية متلاحقة ، الحرب العراقية ـ الإيرانية ، غزو الكويت ، ومعارك الخليج ، فالاحتلال الأميركي وما خلّفه من نزاعات مذهبية وإثنية .

ومن جهة أخرى تكافح إيران من أجل الحفاظ على منجزات الثورة العظمى وقوة الإسلام في مواجهة الاستكبار العالمي والصهيونية وقوى الرجعية العربية[1] .

إن لائحة الأزمات الحادة التي تشهدها أمتنا لا ينتهي عند هذا الحد ، فبؤر الصراع متفجّرة أو قابلة للتّفجير في غير مكان على امتداد العالم الإسلامي ، وإن هي إلاّ نماذج ذكرناها ، تشير إلى أن تفكّك الأمة قد جعلها في مهب الرياح العاصفة من الداخل والخارج، وتلك هي الأجواء المؤاتية التي تستنبت الجماعات الأصولية ـ السلفية ، وتتحرك فيها المؤامرات الخارجية .

والواقع «إن أهم أسباب نشوء الأصولية الإسلامية ، ونموّها تكمن في الغزو الثقافي الاجتماعي والحضاري الغربي للعالم الإسلامي ، والذي بدأ في أواخر

---

١ـ راجع : الضيقة ـ حسام ، وحدة الأمة والمعوقات البنائية ، في كتاب مقالات على طريق الوحدة الإسلامية ، دار المحجة البيضاء ـ بيروت ، ط ١ ـ ٢٠٠٨ ، ص ٤٢ ـ ٤٥ .

القرن التاسع عشر ، وبلغ أوجه في الفترة بين ١٩٤٥ و ١٩٨٠»[١] .

والأصولية الإسلامية لا تعني بالضرورة المحافظة والتخلّف ، ومعاداة المدنية الحديثة ، والتعصّب وضيق الأفق ورفض الحوار ، كما لا تغني بالضرورة ممارسة العنف واستعمال أساليب القوّة والعمل على قلب نظم الحكم والتخطيط للاغتيالات ... وغير ذلك من الاتهامات التي وصمت بها من قِبل أهل السياسة الغربية والمستغربين ؛ إنما هي رد فعل على انحطاط المسلمين الذي أُرجع إلى فقدان تحقّق الوحي في التاريخ ، أي العمل بأوامر القرآن ونواهيه وتوجيهاته ، وهو ما رصدته هذه الجماعات من خلال الثقافة التراثية التي مثلها مؤرخون ـ مفسّرون أمثال ابن كثير والطبري ، في البحث عن الماضي المجيد[٢] .

ولذات الظروف ، شهدت الساحة الإسلامية في العقود الأخيرة ، ولادة تيارات إسلامية معتدلة وعنيفة ؛ فالمعتدلة تدعو إلى الوحدة الإسلامية ، وتدين الاتجاه القومي الذي روّج له مفكّرون متأثرون بالفكر الغربي ، ومنها ما التزم خط المقاومة مع حفظ الوفاق بين المحيط الوطني والإسلامي ؛ لكن أخطر ما تواجهه هذه الساحة يتمثل بتلك الحركات الإسلامية العنيفة التي تكفّر المجتمع والنظام السياسي ، وتعمل على تصفية رموزهما ، بواسطة خلايا سرّية مجهّزة لهذه الغاية ، ولأن بعضها كان مرتبطاً بعلاقات دولية ، فقد أمّنت لها شبكة الاتصالات تنفيذ عمليات مسلحة ضدّ مؤسسات غربية ، مدنية وعسكرية .

---

١ـ عبد القادر ، نزار ، الأمن الإسرائيلي في البعد الستراتيجي الجديد ، الدفاع الوطني اللبناني ـ اليرزة ـ لبنان . ع١١ ـ كانون الثاني ـ ١٩٩٥ ، ص ٧٠.

٢ـ را. حنفي ، حسن ، الحركات الإسلامية في مصر ، المؤسسة الإسلامية للنشر ـ بيروت ، ط١ ـ ١٩٨٦ ، ص ١٠ ـ ١٨ .

كما ساعد استبداد بعض الأنظمة الإسلامية ، وفسادها على تنامي موجات العنف التي ووجهت باتباع سياسة القمع بحق المعارضين .

وتدّعي أنظمة أخرى ولاءها للديمقراطية ، وعندما لا تكون النتائج في صالحها تجهضها ، كالمسار السياسي في باكستان والجزائر وفلسطين .

إن الأمن الإسلامي ، إجمالاً ، غير مستقرّ ، وهو يحتاج إلى تضافر الجهود المؤمنة التي تهتدي بالعقيدة الإسلامية ، لتحقيق الحوار بين التيارات والحركات والأحزاب الإسلامية ، وتوحيد الرؤية إلى حفظ أمن الشعوب الإسلامية ومكتسباتها وانجازاتها ، وقطع الطريق على كل متآمر ، والعمل على إنشاء حلف أمني إسلامي لمواجهة الأخطار المحدقة بالأمة .

### ج ـ خطاب النظام العالمي عن الإسلام :

فيما يدعو الإسلام إلى انتظام المجتمع البشري حول مبادئ تعترف بالاختلاف والتعدّد ، وتدفع إلى التعارف والتقوي ، وتكرّس التكامل بين الرسالات السماوية والتعاون والعدالة والمساواة بين البشر ، فإن الغرب ، عبر مراحل تكوين حضارته المادية ، ظلّ يعتبر الإسلام قوّة منافسة ، هتكت الوحدة المتوسطية التي أسسها اليونان فالرومان ، والتي يعتبر نفسه أنه صانعها والوصيّ عليها[1] ، وإذا بالفتح الإسلامي ، يبلغ معظم شواطئ المتوسط ، خلال أقل من مئة سنة ، لتتوسع دائرته فيما بعد إلى قلب أوروبا ؛ ورغم أن الحضور الإسلامي اتسم بالتسامح ، ووفّر

---

١ـ را. أفاية ، محمد نور الدين ، «الشرق المتخيّل» نقد النظرة السياسية الغربية لشرق المتوسط ، الوحدة ـ المغرب ، ع ٥٤ ، آذار ـ ١٩٨٩ ، ص ٢٢٨ .

للغرب أساس نهضته ، وعمّ تأثيره الإيجابي ، بدرجات متفاوتة ، مستويات الحياة الأوروبية جميعاً ـ إلاّ أن موقف المسيحيين الغربيين من الإسلام كان عدائياً ، وقد «حدّدته محطّتان رئيستان : أولاهما : ضرورة التعلّم منه كونه الأقوى والأعلم من جهة ، وثانيتهما : التصارع معه كعقيدة غربية ومعادية من جهة أخرى»[1] .

مما أدخل أوروبا والإسلام في مجابهة دينيّة ـ سياسية ، استبعدت كل ما هو إيجابي يتصل بالحضارة الإسلامية ، ولم ترسخ في الوعي والمخيلة الغربيين إلاّ صوراً سلبية للإنسان المسلم وعقيدته ؛ وتلك الصور الأساسية التي اعتمدها الغرب في حكمه على الإسلام ، تشكلت خلال مراحل تاريخية ممتدة في الزمن ، وهي نابعة بشكل جوهري ، من الخطاب الحاقد للكنيسة الكاثوليكية ، حينما نظمت حملات التشهير بالإسلام ، وبهرطقة الدعوة المحمدية[2] ، بلغ أوجه خلال رعايتها تجهيز الجيوش الصليبية ، من ذلك خطبة البابا أوربانوس الثاني الشهيرة في ٢٦ تشرين الثاني ١٠٩٥م ، في مجمع كليرفون / فرنسا ، حين «طالب الملوك والحكام الأوروبيين باستعادة «أراضينا» المقدّسة من « قبيلة الفرس ـ الأتراك» ، التي «تخدم القوى الشيطانية» على حد قوله. وقد وعدهم البابا بأن يحصلوا من هذه «الحملات الصليبيّة المقدّسة» ليس على الخيرات المادية فقط ، من «الأرض الذي تفيض لبناً وعسلاً» ، كما جاء في التوراة ، وإنما أن يصبحوا على طريق «الجسد المقدّس» ، أي على طريق الحجاج السائرين إلى القدس . وبذلك يخدمون الرب في الصراع

١ـ جورافسكي ، أليكسي ، الإسلام والمسيحية ، ترجمة خلف محمد الجواد ، عالم المعرفة ـ الكويت ، ع ٢١٥ ، تشرين الثاني ـ ١٩٩٦ ، ص ٦٧ .
٢ـ را. أفاية ، «الشرق المتخيل» ، ص ٢٢٨ .

مع «الكفّار»، الذين يمنعون المسيحيين من القيام بالحج إلى الأراضي المقدّسة»[1].

بمثل هذه الأضاليل جرى توجيه الأوروبيين إلى هذا الصراع ، فجاءوا بمظهر مسيحي وجوهر بربري وحشي ، يعيثون في الأرض فساداً ، من قتل ونهب وإرهاب وارتكاب مجازر ، ذاع صيتها ، قبل أن يواجهوا أي مسلم ، «وسرعان ما ظهر أن المسيحيّة لم تكن سوى أيديولوجية لصراع تكمن أسبابه وغاياته في البحث عن الثروة والمادة أكثر بكثير من الحاجة إلى تأمين طرق الحج إلى الأماكن المسيحية المقدّسة»[2] . وظلت هذه الأيديولوجية تشكل عاملاً أساسياً في تأجج الصراع بين أوروبا والإسلام ، بينما لم تعد العقيدة المسيحية بذاتها فاعلة في الحياة الغربية ، ويقتصر حضورها على مظاهر الاحتفالات ، وزوايا الكنائس ، وباتت تخضع لنظام جديد يكرّر التوظيفات القديمة للحضارة المسيحية في خدمة الغلبة والمصالح الدنيوية المادية[3] .

أما الإسلام ، فلم يكف منذ إشراقه ، عن مواجهة الهيمنة الغربية ، وظلّ موصوفاً ، في الغرب ، بخطره الجاثم ، منذ معركة «بواتييه» حتى اليوم ، تتغيّر أحواله ... لكن صورته في الغرب لا تتغيّر ، «وهكذا يسقط الخطاب [الغربي] تهديداً إسلامياً على إحساس غربي عميق بالخطر الإستراتيجي للإسلام وأثره على استقرار النظام العالمي الجديد»[4] بحيث بات يتردّد التذكير بهذا الخطر ، اليوم ، في كتابات أهل الفكر السياسي ، وعلى ألسنة المسؤولين في أوروبا وأميركا ،

---

١ـ جورافسكي ، الإسلام والمسيحية ، ص ٣٨ .

٢ـ الشامي ، الحضارة ، ص ٢٨٩ .

٣ـ م . ن ، ص ١٠٥ .

٤ـ م . ن ، ص ١٠٨ .

تأييداً لأغراض الاستعمار الغربي ، الهيمنة والاستغلال وحماية الأنظمة التابعة ، وتقويض إرادة الشعوب .

ومن نماذجه :

- ما ورد في كتاب «انتعاش الديمقراطية» للكاتب الفرنسي «روفيل» قائلاً : «الإسلام ليس جزءاً من العالم الحديث .. ولا يستطيع تقديم فهم للعالم المعاصر ، ولأنه ، وهذا أهم ، يهدّده من الداخل ... فإن الهجرة الكثيفة وسهولة الحصول على الجنسية تسلّحان التصلّب الإسلامي ، وتوفران له قلاعاً متكاثرة بيننا» .

ويستطرد قائلاً : «إن الإسلام هو مصدر تسعة أعشار الإرهاب العالمي الرسمي».. وبرأيه ، يبقى الإسلام ، بعد الانتصار على الشيوعية والنازية ، التهديد الباقي ، وبالتالي «لا يمكن المساومة مع مشروع هدفه تدميرنا»[1] .

- وفي بريطانيا ، كتبت «كلير هولينغورت» ، الصحافية المتخصّصة بالشؤون العسكرية ، مقالة بعنوان «مذهب تسلّطي آخر يحاول التَسلّل إلى الغرب» ، تقول فيها «إن الأصولية الإسلامية تصبح بسرعة التهديد الرئيسي لسلام وأمن العالم، وأيضاً سبباً للاضطرابات المحلية وعلى الأصعدة الوطنية من خلال الإرهاب . إنه خطر مشابه لخطر النازية والفاشية في الثلاثينات والشيوعية في الخمسينات»[2] .

ويرتكز «الفريد شيرمان» على صراع الأديان وعوامل داخلية أوروبية ليبرّر

---

١ـ م . ن ، ص ١١٣ ـ ١١٤ .

٢ـ م . ن ، ص . ن .

خطر الإسلام ، مؤكداً «أن هناك تهديداً إسلامياً لأوروبا والمسيحية»[1] .

- وفي أميركا ، لا تختلف الصورة سوى في تشكلها حول قضايا النفط والرهائن والإرهاب ، كما يتسم العداء للإسلام بحداثة ملحوظة ، ويستمد عوامله من الصراع العربي - الإسرائيلي ، وثبات الثورة الإسلامية في إيران[2] .

يقول «جون كالفن» القائد الأعلى السابق لقوات حلف الأطلسي ، في بروكسل في كلمة وداعية : « إننا ربحنا الحرب الباردة ، وها نحن نعود اليوم بعد ٧٠ عاماً من الصراعات الضالة إلى محور الصراع القائم منذ ١٣٠٠ سنة : إنها المجابهة الكبيرة مع الإسلام»[3] .

كما يقول « دان كويل» نائب الرئيس الأميركي : «إن الإسلام يشكل تهديداً للغرب ، مثل التهديد الذي كانت تمثله الشيوعية والنازية»[4] ؛ ويعلن أحد المرشحين الجمهوريين للرئاسة الأمريكية «إن الصراع على مستقبل الإنسانية خلال ألف سنة كان بين المسيحية والإسلام، وقد يعود ذلك في القرن المقبل»[5].

وفي سياق خطاب حاقد ، يقول ريتشارد نيكسون ، الرئيس الأميركي السابق ، في كتابه « اقتناص اللحظة» : «إن الإسلام سوف يصبح قوة جيو - سياسية متعصّبة. فمن خلال نمو سكانه ، ومن خلال تبوئه مركزاً مالياً مهماً ، سيفرض تحدياً رئيساً يحتّم تحالفاً جديداً مع موسكو ، للتصدّي لعالم إسلامي معاد وعدواني»[6] .

---

١- م . ن ، ص . ن .
٢- م . ن ، ص ١١٠ .
٣- م . ن ، ص ١٠٩ .
٤- م . ن ، ص ١١١ .
٥- م . ن ، ص . ن .
٦- م . ن ، ص ١٠٩ .

لقد تأسس الخطاب الغربي ، كما يبدو على مبدأ العداء للإسلام ، ويرمي إلى تشويه صورته الحضارية من خلال :

- نعته بالخطر والعدوانية والإرهاب ، ومواجهته بالمسيحية .
- والتحذير من واقع تغلغله داخل الغرب .
- وتشبيهه بالنازية والشيوعية .
- والتأكيد على خطر الأصولية الإسلامية .
- والدعوة إلى قيام حلف غربي ـ شرقي ضدّه .
- وفي طياته تظهر إرهاصات الدعوة إلى حروب محلية لضعضعة قوى العالم الثالث ، ومنعه من التوحد .

لكن الخطاب ، من ناحية ثانية يخفي الدوافع الحقيقية للسياسة الغربية :

- دافع الاستكبار الغربي ، وتبعية الشعوب .
- تأمين الدولة الصهيونية .
- السيطرة على منابع النفط ومقدرات الشعوب الإسلامية .
- التمركز في نقاط إستراتيجية من العالم .
- والتدخل العسكري الغربي المتوقع في كل وقت .

هذه النماذج ، تندرج ، إذاً ، في إطار مشروع إستراتيجي يعتمده النظام العالمي الجديد في مواجهة « الخطر» الإسلامي ، تمهيداً للتدخل السياسي ـ الاقتصادي ـ العسكري ـ أي بالأسلوب الاستعماري القديم، في تقويض سيادة الدول الإسلامية.

## ٤ـ الإرهاب الغربي:

كان لا بد من الصدمة التي أحدثها هجوم «١١ سبتمبر»، ليدرك الغرب عموماً،

عاقبة ظلم استعماره الشعوب ، وفساد سياساته ومؤامراته ، وأنّه «هو الذي يخلق الأعداء من خلال نظرته الاستعلائية ، ومعاييره المزدوجة التي تولّد الغضب والعنف»[1] .

والواقع أن الغرب هو منشأ الإرهاب . وإذا كان إعلام مدنيته الحديثة قادراً على تبرير جرائمه ، فإن تاريخه حافل بما تقشعرّ منه الأبدان ، ويتخطّى كل ما يمكن أن ينتجه الإرهاب ، أي إرهاب من مآسٍ وويلات ؛ فعدوانية الطبيعة الغربية ثابتة ومحقّقة إن في إطار العلاقات «الداخلية» ، أو في إطار العلاقة مع «الآخر» .

أ ـ في إطار العلاقات « الداخلية» ـ الغربية :

من المعلوم أن أميركا من أصل أوروبي ، فشعبها ينحدر من القبائل البربرية التي اجتاحت روما وأوروبا عموماً من السهوب الشرقية والشمال بصورة جحافل جامحة[2] . وهو يحمل طبيعة هذه القبائل في الاجتياح والقتل والنهب وإرباك العالم بالفوضى ؛ «وإذا كانت أوروبا الغربية ـ في الألف سنة الأخيرة ـ من أكثر مجتمعات التاريخ البشري نزوعاً إلى العدوان والتنافس والاستعمار والغرور ، فلعل أشد فروعها نجاحاً وتمتّعاً بالاستقلال ـ أعني أميركا ـ كان أقلّها كبحاً لجماح هذه النوازع»[3] .

يروي التاريخ أن أوروبا ـ بداية عصر الكنيسة ، «عصر الآباء المسيحيين» شهدت نزاعات دينيّة حادة ، أنشأ المسيحيون الأصوليون ، خلالها ، بدعم من

---

١ ـ حنفي ، الغرب ، ص ١٣٢ .
٢ ـ را . رايلي ، الغرب ، القسم الأول ، ص ١٧٥ .
٣ ـ م . ن ، ص . ن .

أباطرة روما ، محاكم التفتيش لإدانة المجتهدين ، وكل من يخالفهم في تفسيرهم الأحادي ، وأنزلوا بهم أشد أنواع التعذيب والعقوبات حتى الإحراق ، فأوقعوا الرعب في قلوب رعاياهم ، وبرروا هذا النهج العنيف بأنه يمارس باسم الرب . وقد رافق ذلك تنابذ أمراء الإقطاع ، مما دفع مجالس البابوية إلى فرض «هدنة الربّ كمقدمة للحملات الصليبية على بلاد الشرق»[1] .

وفي طريقها إلى فلسطين ، مهد المسيحية ، استولت جيوش هذه الحملات على المدن الأوروبية باسم المسيح ، ومارست عنفها بأول مذبحة كبيرة استهدفت اليهود ؛ ففي فرنسا ، عبر الراين ، حيث تجمعت الجاليات اليهودية ، هلك عام ١٠٩٦ في شهري مايو ويونيو ما بين أربعة آلاف وثمانية آلاف يهودي ، وقد أعلن أحد المحاربين الصليبيين : « لقد خرجنا في زحف طويل لقتال أعدائنا في الشرق ، وأمام أعيننا أسوأ أعدائه : اليهود ، فعلينا بهم أوّلاً »[2] .

ثم تتابع القتل والنهب في محطات عدة ، وتوجت الحملة الأولى بمذبحة القدس التي قضى فيها آلاف المسلمين واليهود ، سنة ١٠٩٩ .

وفي حملة ثانية تابع الصليبيون نهج الإبادة في حق خصومهم ، ولم يستثنوا البيزنطيين ، ومن اعتبروهم هراطقة من المسيحيين ، وبهذا «تحولت الحروب المقدّسة المسيحيّة إلى مغامرات وحشية للغزو والنهب والإبادة»[3] .

ومن شواهد ذلك ما جرى في مدينة «بيزا» الإيطالية عام ١٢٠٩، التي حوصرت،

---

١ـم . ن ، ص ١٩٥ ـ ١٩٦ .
٢ـم . ن ، ص ١٩٦ ـ ١٩٧ .
٣ـم . ن ، ص ٢٠٢ .

ولمّا لم يستجب سكانها للجيش الصليبي بتسليم «الهراطقة» ، إفتتحها هذا الجيش عنوة ، مخلفاً المذبحة الشهيرة التي تحدّث عنها أحد المؤرخين قائلاً:

« أهل المدينة بحثوا فزعين عن ملجأ لهم في الكنائس ، وأخذ الآباء مواقعهم داخلها ، وبدأت الأجراس ، ولكن هذا لم يوقف الزحف الصليبي ، سبعة آلاف شخص ذبحوا في كنيسة واحدة ، وتوالى النهب بعد القتل ثم الحريق ، بقيت المدينة تشتعل على مدى يومين ، ولم يوفر الصليبيون أحداً ، هراطقة ، كاثوليكاً ، نساء وأطفالاً ، كلّهم ذبحوا في سياق مجزرة هائلة ، تستعيد في ثناياها الأيام المظلمة للغزاة البرابرة»[1] .

ومن شواهد العنف الغربي، كذلك، حرب الثلاثين عاماً الدينية ١٦١٨ ـ ١٦٤٨م التي اتسمت بوحشية رهيبة ، وقد صار ذبح كل من يرفض الإستسلام عُرفاً لدى الجميع ، وفي بلاد الإلزاس كانوا يقطعون جثث القتلى ، ويلقونها للراغبين في أكلها، وفي بلاد الراين كانت جثث الأموات تُخرج من قبورها لمقايضتها بالطعام، وفي إحدى المدن اعترفت إمرأة بأنها أكلت ولدها[2] .

كما تمثل العنف الغربي في التاريخ الحديث ، بجرائم النازية ، وبما ارتكبه ستالين في روسيا من حملات تطهير وتهجير ، وبما لحق حواضر عالمية جراء الحرب العالمية الثانية : هامبورغ ، كانسل ، درسدن ، هيروشيما ونكازاكي ، ولندن ، ستالينغراد .. وغيرها ، من دمار وقتل وتهجير ، بأيدٍ غربية[3] .

---

١ـ رافع ، محنة الأصوليين ، ص ٦٠ .
٢ـ م . ن ، ص . ن .
٣ـ را. م . ن ، ص ٦١ .

هذا فضلاً عن منظمات كبادرماينهوف وشباب النازية في ألمانيا ، والمافيا الإيطالية ، والحركات الاستقلالية والانفصالية كالجيش الجمهوري الأيرلندي ، ومنظمة الباسك في إسبانيا ، «ومنذ الحرب العالمية الثانية تعرف جماهير القراء تسميات مثل « الجستابو» و«الإس إس» وهي الأدوات البوليسية الخاصة بالنازية التي كانت تستخدم الإرهاب وسيلة لأهدافها ، وكذلك تعرف إلى «سي أي إيه» وإلى «كي جي بي» ، وفي وقتنا الحاضر بجانب مسميات أخرى معروفة أو خفية»[1] .

وفي تقرير الخارجية الأمريكية «الإرهاب في العالم» جرى إحصاء عدد العمليات الإرهابية التي نفذت في العالم عام ٢٠٠١ ، حيث بلغت ٣٤٨ عملية ، بلغت ضحاياها نحواً من ٣٥٤٧ قتيلاً[2] . ويخضع الإحصاء ، بالطبع للرُؤية الأمريكية الحريصة على مصالحها ، والتي تصنّف تلك العمليات على قاعدة العداء لهذه المصالح ، دون مراعاة لحقوق المضطهدين من شعوب العالم ، «وهكذا تبرز الأرقام والتي تقول لنا إن العالم قد توقف في حكاية الإرهاب أمام النتائج ، ولم يتقص الأسباب والمظالم التي أوصلتنا لهذه النقطة ، وأن العالم قد نسي مشاكل أضخم مثل الجوع والفقر والتخلّف من أجل خطر محدود في النهاية، اللهم إلاّ بالنسبة للولايات المتحدة»[3] .

---

١ـ الرميحي ، العنف والإرهاب ، ص ١٤ .
٢ـ را. المراغي ، ذاكرة «سبتمبر» ، ص ٩٧ .
٣ـ م . ن ، ص ٩٩ .

ب ـ في إطار العلاقة مع «الآخر» :

يعتبر الغرب نفسه قطب العالم ، وأنه يمتلك الحق في إدارة شؤونه ، وفق رؤياه ومصالحه ، «وقد درج على توظيف الحضارة في ثورة أيديولوجية تستهدف تهذيب النهب وتسويق الغلبة ، لكي تضفي على عالمية الغرب هالة ورسالة : هالة التفوّق والتقدّم والتربع على عرش الحضارات والشعوب ، ورسالة تحديث نذر لها الغرب نفسه من أجل مساعدة الآخرين وتذليل عقبات بلوغهم الدرجة التي تناسبهم من التقدّم والنمو»[1] .

وقد اعتمد الغرب النهج العدواني لتحقيق هذه الأيديولوجية مسلحاً بالقوة والإعلام ، فممارساته ، عبر التاريخ ، كانت دوماً محكومة بتلك العدوانية ، من الحروب الصليبية إلى إبادة ملايين الهنود الحمر ، إلى تدمير أفريقيا باستعباد ما يقدره الباحثون بستين مليون أفريقي ، و«غوري»[2] صخرة الأنين لا تزال شاهدة على ذلك ، ومن اغتيال آسيا ابتداء من حرب الأفيون ، وانتهاء بالمجاعات التي تقتل أهل الهند بالملايين ، إلى قنبلة نكازاكي وهيروشيما ، وحرب فيتنام[3] ، فالاستعمار وتحوله إلى الحروب الاقتصادية التي تستهدف الدول والمنظمات المستقلّة عن المنظومة الغربية . ناهيك عن السياسة الغربية العدوانية التي تمثّلت عندنا بتأسيس هذا الكيان الغاصب بين ظهراني العرب والمسلمين ، ليكتمل

---

١ـ الشامي ، الحضارة ، ص ٨٤ .

٢ـ غوري وبأسماء أخرى ، جزيرة سنغالية ، كانت محطّة تنقّلت بين أيادي المستعمرين الأوروبيين، واستخدمت مركزاً لتجميع العبيد لنقلهم في مراكب إلى أوروبا وأميركا ... را. المخزنجي، محمد، غوري صخرة الأنين الملوّنة ، العربي ـ الكويت ، ع ٥٢٦ ، سبتمبر ٢٠٠٢ .

٣ـ را. غارودي ، وعود الإسلام ، ص ٢١ ـ ٢٢ .

بوجوده عقد هذا الحلف الشيطاني ، مثلث الأضلاع : أوروبا وأميركا واسرائيل ؟

وحقيقة الغرب العدوانية هذه ، هي التي دفعت أحد المفكّرين الغربيين الموضوعيين : «روجيه غارودي» إلى إصدار حكمه بالقول :

«إن الغرب يعتبر خلال ألف سنة مضت أكبر مجرم في التاريخ»[1] .

## ٥ـ الإرهاب الصهيوني:

الإرهاب الصهيوني وليد تعاليم التوراة والإرهاب الغربي مجتمعين ، وإذا كنّا قد أكّدنا على أن الغرب أصل الإرهاب ، فإنّ ما ابتلينا به أشدّ وأدهى أشكاله ويتمثل بالإرهاب الصهيوني ، وهو إرهاب قائم وفاعل . فما هو ؟ وما معالمه ؟

هو إرهاب تديره الصهيونية برعاية الدول العظمى لهذا الهدف : إقامة دولة إسرائيل في فلسطين ، وصون أمنها كأساس استعماري غربي في قلب العالم الإسلامي . وقد شهد مرحلتين :

١ـ إرهاب منظمات المهاجرين الأوائل .

٢ـ وإرهاب الدولة منذ ١٩٤٨ .

بدأت المؤامرة بوعد «بلفور« عام ١٩١٧ الذي تعهّد مشروع الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، خلال انتدابه ، تلته مرحلة التأسيس السياسي والعمل على تنفيذ المشروع الصهيوني الذي ارتكز على الثوابت الآتية :

ـ الدعوة إلى هجرة يهود العالم إلى فلسطين .

ـ واحتلال الأرض والتوسع .

---

١ـ م . ن ، ص . ن .

ـ اضطهاد الشعب الفلسطيني .

ـ إقامة دولة إسرائيل وحمايتها[1] .

واليهود ذوو خبرة بالتنظيمات السرّية المسلّحة ، ومنهم تشكلت في فلسطين ، أولى خلايا الإرهاب الصهيوني : منظمة الهجرة ، وفرق الهاشومير ، كما «كان للفرقة اليهودية التي حاربت في صفوف الحلفاء في الحرب العالمية الأولى ، الأثر الأقوى في تكوين العسكرية الصهيونية التي قام عليها الإرهاب الصهيوني»[2] .

وقد تجمع اليهود ، عندما وصلوا فلسطين ، في مستوطنات عنصرية عدوانية منفصلة عن الخط العربي ، عملوا فيها على إدارة شؤونهم المدنية والأمنية ، حيث «كانت المستعمرات اليهودية منذ تأسيسها قلاعاً عسكرية ، وهي وإن كانت دفاعية في مرحلتها الأولى ، مجهّزة لتصبح قلاعاً للهجوم والتوسع»[3] .

وهكذا تشكّلت أبرز المنظمات الصهيونية الإرهابية : الهاغاناه التي تأسست عام ١٩٢١ ؛ والإرغون عام ١٩٣١ ، وشتيرن عام ١٩٤٠ ؛ وقد عملت هذه المنظمات ضد كل من يعارض أهدافها من اليهود والفلسطينيين والانكليز على السواء ، واستخدمت أساليب إرهابية متنوّعة : اغتيال سياسي وإلقاء قنابل في المقاهي والأسواق وعلى الحافلات ونسف سفن بركابها وسطو على البنوك ، وقتل رهائن ... إلخ[4] .

---

١ـ را. الكيلاني ، الإرهاب ، ص ٤٣ ـ ٤٤ .

٢ـ م . ن ، ص ٩٧ .

٣ـ م . ن ، ص . ن .

٤ـ را. م . ن ، فيما يتصل بوسائل الإرهاب التي استخدمتها المنظمات الصهيونية في فلسطين ، ص ١٦٦ ـ ١٦٨ .

وكان الانتداب البريطاني ، ممثلاً بمندوب سام صهيوني الانتماء في الغالب ، يغطي آثار هذه الجرائم؛حتى إذا ما قويت شوكة الحركة الصهيونية في فلسطين، عملت على تقسيم البلاد بدعم أممي ، فشرّعت بذلك وجودها .

ومن المستعمرات التي استعملت موطئ القدم الأول للمشروع «بدأ التوسع التدريجي الصهيوني في فلسطين ، عبر الاستيلاء على المزيد من الأراضي وإقامة المزيد من المستعمرات ، واستيعاب المزيد من المهاجرين»[1] .

وبعد الحرب العالمية الثانية ، لم يعد للصهاينة حاجة إلى الانتداب ، فقاموا بعملة إرهابية ضدّهم ، وعلقوا جنودهم على الأشجار ، واختطفوا القضاة الذين حكموا على الإرهابيين الصهاينة ، ونسفوا عدداً من المقرّات البريطانية[2] .

وقبيل تنفيذ الإنسحاب البريطاني عام ١٩٤٨ ، انقضّت القوّات الصهيونية على فلسطين لاحتلالها بموجب الخطّة «دالت» التي تقضي بطرد السكان وضم الأراضي وتدمير القرى وحرقها والسيطرة على المناطق الإستراتيجية وعدم التوقف عند حدود مشروع التقسيم ، بل إن طيران الاحتلال الذي تمّ تفعيله في صيف ١٩٤٨ قصف عواصم عربية بهدف إرهاب الجوار[3] .

وقد حوصر الشعب الفلسطيني ، جرّاء هذه الخطّة بين مصيرين : إما الموت وإما النزوح ، بفعل المجازر التي ارتكبها الصهاينة : مذبحة دير ياسين ٩ـ١٠/٤/ ١٩٤٨ ، وناصر الدين قرب طبرية ١٩٤٨/٤/١٣ ، وبيت داراس ١٩٤٨/٥/٢١

---

١ـ م . ن ، ص ٣٨ .

٢ـ را. أبو سته، سلمان ، أطول حرب ضد شعب ، العربي ـ الكويت ـ ع ٥٩٤ ، مايو ٢٠٠٨ ، ص ٤٠.

٣ـ را. م . ن ، ص ٤٢ ؛ وأيضاً الكيلاني ، الإرهاب ، ص ٤٨ و١٧٢ .

وغيرها. ومن نجا من الفلسطينيين انضم إلى قوافل النازحين باتجاه الأردن ولبنان وسوريا وغيرها من البلاد العربية ، أما من بقي في فلسطين فيعيش العسف والقهر تحت وطأة الاحتلال .

وابتداء من عام ١٩٤٨ الذي سمّي بعام النكبة ، بات الإرهاب الصهيوني ، متحرّراً من كل قيد ، وبتأييد النظم الاستعمارية ، يضرب في كل اتجاه ، في الداخل والخارج ، منتهجاً اسلوب الإبادة في حق سكان فلسطين ، مذابح خان يونس وغزة ١٩٥٥ ، وكفر قاسم وقلقيليا عام ١٩٥٦ ، ومذبحة الحرم الإبراهيمي ١٩٩٤/٢/٢٥ . ثم اجتياح الضفّة وغزّة وفي المحيط العربي طالت جرائمه مصنع أبي زعبل ١٩٧٠ ومدرسة بحر البقر الابتدائية ١٩٧٠ في مصر ، والتي نفذها سلاح الجو الصهيوني . كما اجتاح العدو الصهيوني لبنان مخلفاً وراءه مذبحة صبرا وشاتيلا ١٦ـ ١٩٨٢/٩/١٨ ، ومذبحة لبنان ١٩٩٦ ، قانا والمنصوري وصور والنبطية[1].. إلى أن بدأت هزيمته تتحقق عام ٢٠٠٠ و٢٠٠٦ على أيدي المقاومين المجاهدين .

بهذا يكون الكيان الغاصب قد تأسّس بالإرهاب فكراً ووجوداً ، كما أن الإرهاب هو الذي يصنع القادة في إسرائيل ؛ منهم مجرمون محترفون ، ولكلٍّ تاريخ حافل عريق في الإرهاب والإجرام .

### ٦ـ «محور الشرّ» :

لقد شهد العالم خلال العقدين الأخيرين تحوّلات خطيرة كقيام الثورة

---

١ـ را. م . ن ، الفصل الثامن : المذابح ، ص ١٧١ ـ ١٩٠ .

الإسلامية في إيران ١٩٧٩، وسقوط حائط برلين ١٩٨٩ ، وانهيار الاتحاد السوفياتي ١٩٩١ ، وكان ذلك بداية النهاية للنظام الدولي الثنائي القطبية التي وصفها «فرنسيس فوكوياما» بـ «نهاية التاريخ» ، إذ استقرّ العالم على ايديولوجيه واحدة محتملة ذات طابع شمولي : هي الديمقراطية الليبرالية[١] .

غير أن حركة الصراع لم تتوقّف ، والتاريخ لم ينته ، مما دفع الغرب إلى تبنّي نظرية «صدام الحضارات» ، التي نادى بها «صامويل هانتنغتون» بعد نظرية «فوكوياما» بسنوات قليلة .

وتقوم النظرية على مبدأ انقسام العالم إلى قطاعين : قطاع غربي ؛ وقطاع يضم أطرافاً كثيرة من أتباع الثقافات الآسيوية والإسلامية . وهم ، وإن قبلوا بعض أنماط الاستهلاك الغربي ، والاقتصاد الرأسمالي ، إلاّ أنهم لا يحترمون القيم الغربية ، مما ينذر بولادة حقبة جديدة من الهمجية تمثلها المافيات والحروب ، من غير أن يتعرّض لأسبابها الحقيقية كالفقر وعدم المساواة والظلم وإمعان النموذج الاقتصادي الغربي في ليبراليته[٢] .

ولا يخفي صاحب النظرية قلقه من العالم الإسلامي الذي يشهد معدلات نمو سكاني مرتفعة جداً ، ويتصف خاصة بالإرهاب والأصولية والهجرة والتمرّد ، فضلاً عن سعي أنظمة إسلامية إلى الحصول على أسلحة نووية[٣] .

ولا شك أن هذه النظرية هي نتاج تغيّرات سياسية وبنيوية في النظام الدولي

---

١ـ را . الشامي ، الحضارة ، ص ٩٥ .

٢ـ را . سيد أحمد ، محمد ، تصاعد الإرهاب وصدام الحضارات ، العربي ـ الكويت ، ع ٥١٨ ، يناير ٢٠٠٢ ، ص ١٥١ .

٣ـ را . م . ن ، ص . ن .

القائم ذاته ، وهي وثيقة الصلة بمرحلة تصاعد الإرهاب وهيمنته على الوضع الدولي ، وبواقع استمرار القطبية الثنائية في صورة مواجهة بين الشيوعية والرأسمالية ، بين الشرق والغرب ؛ بل في صورة مواجهة بين قطبين : أحدهما في إطار «شرعية» النظام الدولي تتزعمه أميركا ؛ وقطب إرهابي خارج الشرعية الدولية[1] .

وقد تمثّلت هذه النظرية عملياً باتهام دول بـ «محور الشر» ، تلاه شعار بوش «من ليس معنا فهو ضدّنا»، مما يلغي فعالية الأمم المتحدة ، لتقوم القوّة مقام الحق، والقوة أميركية ، غربية عموماً ، هدفها ترسيخ نهجها السياسي والاقتصادي في إدارة العالم ، وإلغاء كل مظاهر المعارضة والمقاومة .

والواقع أنه بانهيار الاتحاد السوفياتي عام ١٩٩١ ، تفكّكت المنظومة الشيوعية ، وهزمت استراتيجيتها التاريخية في مواجهة العالم الرأسمالي . كان احتفال أميركا بهذا الانتصار كبيراً ، لكنها سرعان ما اكتشفت أنها فقدت بانهياره العدو الواضح الذي طالما كان مبعث قلق وخوف لديها ، بحيث وجهت كل إمكاناتها لحماية العالم الحرّ منه .

تحوّلت أميركا ، بانهيار خصمها من قوة عظيمة إلى القوة العظمى في التاريخ ، تساندها الدول الصناعية الثماني في ترسيخ دعائم النظام الأوحد الذي تربعت على عرشه ، النظام الذي حدّده مستشار الرئيس لشؤون الأمن القومي «أنطوني لايك» بأنه «مسؤولية خاصة تقع على عاتق الولايات المتحدة باعتبارها القوة العظمى الوحيدة في عالم اليوم . وهذه المسؤولية تتطلّب أوضاعاً استراتيجية لتحييد الدول

---

١ـ را . م . ن ، ص ١٥٥ .

المهدّدة للسلام واحتوائها من خلال وسائل مختارة لممارسة الضغط»[1].

وبهذه «المسؤولية» باشرت أميركا اجتياح العالم لتخضع أقاليم ودول ومنظمات رفضت الدخول في العصر الأميركي، بشركاته العابرة للقارات، وقبول مبدأ العولمة بملحقاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وقد مهّد «١١ سبتمبر» لها الطريق؛ فكان الذريعة الخادعة إلى حربها على الإرهاب. قلنا الخادعة لأن خفايا هذا الحدث بقيت طيّ الكتمان، وما كشفه الإعلام الغربي عنها يدخل في خدمة استراتيجية السياسة الأمريكية، إذ أن الباحث الفرنسي «تيري ميسان»، يؤكد في كتابه «الخديعة المرعبة» على أن الذي خطّط هذا الهجوم هو المخابرات المركزية الأمريكية ولا أحد غيرها، حتى تعطي مبرّراً للنزعة الامبريالية الجديدة لتنفيذ عملياتها دون أن تنفي احتمال أن تكون المخابرات الصهيونية «الموساد» وراء الحدث، لتثير حفيظة الغربيين ضد الإسلام، كما يتردّد في العالم العربي[2].

وإذْ أصبحت الرأسمالية نهاية التاريخ، بعد سقوط المعسكر الاشتراكي، «احتاج الغرب إلى عدو جديد كي يوحّد قواه، ويشحذ همته، ويسيطر عليه، فوجده في الأصولية الإسلامية في الوطن العربي وفي العالم الإسلامي، بل وفي قلب الغرب والولايات المتحدة الأمريكية. فهي كلية شمولية تمارس العنف، وتتحدّى القيم الغربية، وتعادي الغرب، وتجنّد الجماهير، وتقلب النظم السياسية

---

١ـ ريحانا، سامي، النظام العالمي الجديد أمام الصعوبات، الدفاع الوطني اللبناني، اليرزة ـ لبنان، ع ٩، تموز ١٩٩٤، ص ٧.

٢ـ را. العسكري، سليمان إبراهيم، عام بعد انفجارات سبتمبر، العربي ـ الكويت، ع ٥٢٦ ـ سبتمبر ٢٠٠٢، ص ١١.

الصديقة للغرب والتابعة له . فتتم محاصرته في العراق وليبيا أو تهديده في السودان وإيران وجنوب لبنان وسوريا واليمن أو الاعتداء عليه في أفغانستان»[1] .

لكن هدف الحملة الأمريكية على العالم الإسلامي ، هو ، في الواقع ، أبعد ما يكون من القضاء على الإرهاب ، إذ إنها من أجل السيطرة على أكبر منابع الطاقة البترولية التي عرفتها البشرية حتى الآن في قلب آسيا ، في ظل تفاقم تدهور أحوال العالم الغربي الاقتصادية ، مع انهيار بدأت تباشيره تظهر على شركات الطيران والبورصات وتباطؤ النمو الاقتصادي مع تدني أسعار النفط ، والأزمات التي بلغتها الشركات الأمريكية الكبرى ، وذلك قبل عام على أحداث «سبتمبر»[2].

وليس من المستغرب أن يتبع أفغانستان غزو العراق للهدف نفسه ، وكان الشعار الذي رفعته أميركا هو «الحرب على الإرهاب» ، وكل من يعارض مشاريعها الاستعمارية ، أدرجته في قائمة الإرهاب ، ووصمته بمحور الشر ، والدول التي تمثل الشر بنظر أميركا هي كوريا الشمالية والعراق وإيران .

فما واقع هذه الدول ؟ وما شرّها ؟

أ ـ كان قدر كوريا أن تتقاسم العداء البارد بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، مما أدى بها إلى التقسيم عام ١٩٤٨ : شمال شيوعي وجنوب رأسمالي ، وما لبثا أن تواجها في حرب ١٩٥٠ ـ ١٩٥٣ .

والعداء الأميركي لكوريا الشمالية بلغ حدّ اتهامها هي والعراق وإيران بمحور

---

١ ـ حنفي ، الغرب وأزمة البحث عن عدو ، ص ١٣٥ .
٢ ـ را. العسكري ، عام بعد انفجارات ١١ أيلول ، ص ١٢ .

الشر ، فردّت كوريا بنعت أميركا والغرب عموماً بـ «الذئاب في صورة البشر»[1] .

لقد أدركت هذه الدولة أن موقعها في الصراع بين قطبين عالميين يتنافسان على ابتلاع العالم ، وتجربة الحروب التي خاضتها ، ودخولها في محاور إقليمية ، كل ذلك لم تجن منه سوى الفقر والدمار والضعف ، فاندفعت إلى تحصين ذاتها بما يحميها من الأخطار المحدقة بها من الجوار ومن وراء المحيط ، إلاّ أنها على الصعيد الاقتصادي بقيت متخلّفة عن كوريا الجنوبية واليابان ، ومع ذلك استطاعت بقوتها النووية الناشئة أن ترغم أميركا على التفاوض ، وقد كان من المحرمات في السياسة الأمريكية عقد أي لقاءات مع المسؤولين من كوريا الشمالية ، فزارها الرئيس الأميركي «جيمي كارتر» عام ١٩٩٤ ، وعقد اتفاقاً معها على أن تقوم أميركا بمدّها بالغذاء والوقود ، وإنهاء عزلتها ، مقابل وقف برامجها النووية[2] ، إلاّ أن تضارب المصالح والسياسات حال دون تحقيق هذا الاتفاق .

جريمة كوريا الشمالية ، وهي بلد من العالم الثالث ، أنها لم تخضع للهيمنة الاستعمارية الغربية ، وتحدّت الخطر الأميركي للسلاح النووي ، وواجهت أميركا بمنطقها : القوّة . ولمّا لم تستطع أميركا توجيه ضربة لإنشاءات « بيوغبيون» النووية خوفاً من إنتشار إشعاعاتها ، فضّلت العودة إلى المفاوضات ، واتباع المناورات من خلال الإصرار على تفتيش المنشآت ، أو العمل على فرض عقوبات دولية بحقها فضلاً عن الحصار الاقتصادي القائم[3] .

---

١ـ را. قنديل، محمد المنسي، في عرين نمور آسيا، العربي ـ الكويت، ع ٥٥٢، نوفمبر ٢٠٠٤، ص٥٥.
٢ـ را. م . ن ، ص ٥٦ .
٣ـ را. ريحانا ، النظام العالمي ، ص ٢٠ ت ٢١ .

ب ـ النهج نفسه أُتبع في العراق ؛ فرغم الضربة الجوّية التي وُجّهت لإنشاءات تموز من قبل إسرائيل عام ١٩٨١، فقد اعتُمدَ العراق ، بموقعه الاستراتيجي وقدراته النفطية ونظامه الدكتاتوري ، مفتاح التدخل الأميركي في الشرق الأوسط، من خلال الحرب على إيران ١٩٨٠ ـ ١٩٨٨ ، واحتلال الكويت ١٩٩٠ .

كان مرضيّاً عنه في حربه الفاشلة ضد إيران ، بحيث أسهم حلف شمال الأطلسي في بناء ترسانته العسكرية ، إلاّ أن خطوة العراق في الكويت ، بالأسلوب الذي حصل، أعطى أميركا واسرائيل وحلفاءهما حجة قوية للتدخل المباشر سبقته موجة من الحملات الإعلامية أطلقها الغرب ضد العراق وسياسته متهماً إياه بحيازة أسلحة كيميائية فتّاكة ، وسعيه إلى شنّ حرب مدمّرة ضد إسرائيل ، وكلّنا يذكر الفضائح المفتعلة حول قطع الغيار الإلكترونية ، وحول الأنابيب العملاقة التي صنعتها بريطانيا للعراق ثم امتنعت عن تسليمها[1] .

لقد شكل العراق بوابة الصدام الأولى التي انفتحت أمام الولايات المتحدة ، والمحور الذي تلقى الضربات الأولى تغطية للاحتلال الأميركي للسعودية والكويت ، وتمويها لعملية السيطرة على نفط الخليج وتمهيداً لإخضاع باقي المنطقة، ولا سيما سوريا ولبنان ومنظمات وأحزاب المقاومة اللبنانية والفلسطينية ، وذلك بالتحالف والتنسيق والتعاون مع إسرائيل ، لجعل المنطقة الجغرافية التي تضم العراق وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين ساحة العدوان العسكري المدمّر[2] ،

---

١ـ را . نعمة ، علي ، خطوط المواجهة في الاستراتيجية القومية ، دار النوال ـ بيروت ، ط ١ ـ ١٩٩٢، ص ٥٣ .
٢ـ را . م . ن ، ص ٥٤ .

مهيَّأة لما سُمّي بـ «ولادة الشرق الأوسط الجديد» .

وأهداف هذا العدوان باتت واضحة ، حتى أن مستشار الرئيس الأميركي للأمن القومي «أنطوني لايك» يتحدث عن المبدأ الإستراتيجي للولايات المتحدة في الخليج والذي يقضي «بحماية مصالح أميركية بالغة الأهمية تتمثل في أمن أصدقائها ، وفي التدفق الحرّ للنفط بأسعار مستقرّة ، وفي اتباع سياسة التوازن»[1] .

ج ـ أما إيران ، فيحدّد «لايك» الموقف الأميركي منها بالآتي :

« تخالجنا مخاوف عميقة وخطيرة حول مسلك إيران في ٥ مجالات :

ـ سعيها إلى حيازة أسلحة نووية وأسلحة الدمار الشامل ، ووسائل إطلاقها .

ـ استمرار تورط حكومتها بالإرهاب والاغتيالات على نطاق عالمي .

ـ دعمها المعارضة العنيفة لعملية السلام العربي ـ الإسرائيلي .

ـ تهديداتها ونشاطاتها الهدّامة ضد جيرانها .

ـ سجل حقوق الإنسان القاتم في الداخل»[2] .

فأميركا لا تريد لإيران أن تستقر ، وهي تناصبها العداء منذ انتصار الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ ؛ فالعلاقات الأمريكية ـ الإيرانية متدهورة ، رغم القرار الأميركي القبول بالحقيقة السياسية للجمهورية الإسلامية بعد قطيعة استمرت أربع عشرة سنة ، ومع ذلك لم تستطع أميركا أن تستميل الموقف الأوروبي إلى جانبها فيما يتعلق بعزل إيران والحصار وإدانة تسلّحها وهي تفضحها باستمرار ، وترى أن القوة العادلة كفيلة بردعها ، لذلك تعمل على جبهتين :

---

١ـ ريحانا ، النظام العالمي ، ص ٢٤ .

٢ـ م . ن ، ص . ن .

ـ جبهة العمل السياسي بشرح موقفها المعادي من الغرب ، ودعوتها إلى المساواة والعدالة وإنصاف الشعوب الإسلامية .

ـ وجبهة العمل العسكري ببناء قوتها المادية الرادعة بناء على الأمر الإلهي .

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾[1] .

وقد ظهر أنها قوّة ضرورية لحماية الإسلام من الخطر الغربي ـ الصهيوني ، وهي لذلك حصينة ، لم يجرؤ لا الغرب ولا إسرائيل ، حتى الآن ، على تنفيذ تهديداتهما ضد قوتها النووية الصاعدة .

ـ المقاومة :

إنّ نزعة الاستقلال والحرية غريزة في الإنسان ، فمن الطبيعي ، إذاً ، أن يُواجه الظلم والعدوان ؛ فالمقاومة ضرورة واجبة ، تبدأ عادة بمجموعات وأعمال فدائية، وتنمو إلى مستوى الوطن والأمة . وعندما تتوفّر مقوماتها ، يكون نجاحها مضموناً وتتحقق أهدافها .

ومن شروطها :

ـ الضرورة التي تقتضيها : وتتمثل باستفحال ظلم الأنظمة أو العدوان الخارجي، مما يجعل من الدفاع أمراً مشروعاً ؛ فيقبل الناس على الانخراط في المقاومة، ويندفع المجتمع إلى احتضانها والالتفاف حوله لحماية أمنه ومكتسباته .

ـ العقيدة : وهي الدافع المعنوي ، إذ أن كل مقاومة لا بد أن تقرن بعقيدة

---

١ـ سورة الأنفال ـ الآية ٦٠.

وطنية أو دينية تبث اليقين في نفوس أهل القضية ، فيطمئن المقاوم أن دماءه لن تذهب هدراً ، وأن القضية التي دافع من أجلها واستشهد ، بين أيدي مخلصين ، فالإيمان نصف الانتصار .

- الدعاية ،وهي التي تصب في خدمة القضية، وتوضح للجمهور طبيعة العدوان وأهدافه ، وطبيعة المقاومة وأهدافها ، فيتميّز الحقيقة في المقاومة ويؤيدها . والمجتمع المقاوم هو بالضرورة ، بفضل هذه الدعاية ، مجتمع سياسي ناضج.
- التنظيم ، ويتأتّى من خبرات سياسية وعسكرية، وقادة يمتلكون منطق المقاومة، أوفياء لهذا الهدف ، مستعدين للتضحية ، ولا ضير في الاستعانة بخبرات الآخرين في هذا المجال .
- كما أن المقاومة لا يمكن أن تستمر إلاّ بدعم مادي وعتاد وأسلحة ، وكلما توفرت الإمكانات المادية، تيقّن المقاومون من النصر، وقلّت ، بالتالي أضرار العدوان ؛ فالقوة بالإضافة إلى كونها عاملاً دفاعياً ، هي عامل ردع للمعتدين.

وبالعودة إلى الواقع ، كان لا بد أن يُواجه الإرهاب الصهيوني بفعل مقاوم ؛ فقد شكّلت بالفعل مجموعات مقاومة في البدء ، في قرى فلسطين ، إلاّ أنها لم تكن على مستوى الحدث الخطير المتمثل بالمشروع اليهودي ، حتى أن المقاومة الفلسطينية التي عُرفت بمنظمة التحرير تجاذبتها سياسات الفصائل والدول العربية ، واستدرجت إلى «كامب ديفيد» و«أوسلو» ، فوقعت في فخ المفاوضات التي كانت سبيلاً إلى إجهاض القضية والفعل معاً .

إلاّ أن روح المقاومة الإسلامية ، ممثلة بحزب الله وحماس والجهاد أعادت الحياة إلى الأمة في مواجهة الإرهاب الصهيوني والمؤامرات الغربية التي تحاك

ضدها ، بذلك نستنتج أن المؤامرة الغربية ـ الصهيونية يجب أن تُواجه بمقاومة إسلامية موحّدة ، التي بدأت ملامحها تتضح على أرض الواقع .

وقد تمكّن حزب الله بقيادته الحكيمة ، ومقاوميه البواسل من إلحاق الهزيمة بالعدو الإسرائيلي مرات عدة خلال ربع قرن ، وقدم للعالم صورة عادلة للمقاومة أزعجت المؤيدين لإسرائيل والذين لم يكفوا عن اتهامها ظلماً بالإرهاب .

أما حماس التي تولّت السلطة في المناطق الفلسطينية بطريقة ديمقراطية ، فلم تنل اعتراف الدول «الديمقراطية» التي سعت إلى محاربتها وحصارها . وها هي في «غزّة» محاصرة ، يتابع العدو اغتيال قادتها وملاحقتهم .

المقاومة الإسلامية هي بواقعها مقاومة ضد الإرهاب ، وهي السبيل الوحيد لدحر العدو عن فلسطين ، ولا دور للأمم المتحدة التي تخضع لتوجيهات الدول العظمى ؛ «فإنّ الذي يعتقد أن الأمم المتحدة تعدّ ملاذاً تدافع عنه ، وأن اليد العليا هي للقانون والعدالة والمبادئ القانون الدولي ، فهو يخدع نفسه» كما صرّح أحد أعضائها[١] .

من ذلك نتبيّن أن كل المحاولات لتطبيع المشروع اليهودي ستبوء بالفشل ، ولن يتنفّس العالم الإسلامي الصعداء إلاّ في حال دحر الغزو الغربي ، وانهيار هذا المشروع ، وزوال إسرائيل من الوجود .

---

١ـ الياسين ، الأمم المتحدة ، ص ٤٠ . وصاحب الرأي هذا هو المندوب الدائم للجامعة العربية لدى الأمم المتحدة «محمود أبو النصر» .

# سبل

# مواجهة الإرهاب

سماحة الشيخ محمد يونس

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين .

مع بداية القرن الجديد ، وبالتحديد بعد أحداث الحادي عشر من شهر أيلول ٢٠٠١ تصدر مفهوم الإرهاب واجهة الساحة السياسية في العالم ، وأعلنت أميركا ـ باعتبارها الدولة المصابة ـ الحرب على الإرهاب والإرهابيين ، وتبعها على ذلك الحلفاء والأصدقاء ، سواء من أدرك خطورة المرحلة السياسية في المستقبل أم من لم يدرك ، وعقدت من أجل تسويق هذا المفهوم الندوات وأقيمت المؤتمرات في الكثير من دول العالم تلعن الإرهاب ، وتشجب أساليبه ، وتستنكر نتائجه ، فالإرهاب عمل غير مشروع ولا يمكن لأحد أن يتبناه أو يدعمه أو يسهل أي خطر من أخطاره .

ورأت جميع الدول والأنظمة في هذا الشعار خشبة خلاص فهو وصف يمكنها أن تلصقه بأي عدو من أعدائها سواءً كان داخلياً أم خارجياً ، فراحت الدول والأنظمة توسع دائرة هذا المفهوم وتضيقها كما يحلو لها ، توزع هذا الشعار يمنة ويسرة حتى أدرج تحت مفهوم الإرهاب ما يندى له الجبين ، فشمل أي عصيان أو تمرد أو حتى حالات الاعتراض وإبداء الرأي المخالف والمطالبة بالحقوق المشروعة .

ولسنا هنا للتدقيق بمصطلح الإرهاب بالمفهوم السياسي ما دام محل خلاف كبير ، ويتسع ليشمل كل الخصوم مهما كانت قضيتهم عادلة ، وينزه الصديق والحليف وإن كان من صانعي الإرهاب ومبتكري أساليبه والمخططين لمشروعه

والداعمين له ، لا سيما أنه ، وبإطلالة سريعة على التاريخ وبالتحديد الحديث منه، ترى أن معظم الثورات التي قامت في الآونة الأخيرة والتي استتبعها نشأة دول تم اعتراف المجتمع الدولي بها إنما أقيمت على المجازر والإبادة والتطهير والعنف المسلح إلى غير ذلك من أساليب الارهاب التي تمت ممارستها ضد المدنيين في كافة أقطار العالم .

ولذلك وإنسجاماً مع موضوع المقالة لن أدخل الى عقم مسألة التعريفات ، وإنما سوف أكتفي من تعريف الإرهاب بالوقوف على هذا المفهوم الذي يتسالم عليه الجميع ويقر به كل وجدان وبالتالي الدخول الى مسألة الإرهاب بما تشكل من ظاهرة نفسية تأباها كل نفس ، وتسارع الى نبذها واستنكارها ولو دعمتها كل الدنيا وحاولت تبرئتها ، وبمعنى آخر فإن الدخول الى حقيقة هذا المفهوم يستلزم سبر أغوار النفس الإنسانية بعيداً ـ من حيث المبدأ ـ عن أي انتماء سواء كان سياسياً أو دينياً أو سوى ذلك ، لأن النفس وحدها هي الميزان الدقيق في تشخيص حالة الإرهاب وتمييزها عن سواها من حالات العنف المبرر حتى وإن كان مسلحاً.

ولذلك فإن ما يمكن التسالم عليه كقدر متيقن في تعريف حقيقة هذه الظاهرة النفسية للإرهاب هو التعريف الذي اعتبر أن الإرهاب هو عنف غير أخلاقي وغير مبرر وغير قانوني من الاستفزاز العنيف والتخويف لأسباب سياسية بصرف النظر عمن يستعملونه وضد من يستعملونه ، إذن هناك ثلاثة عناصر أساسية بدونها لا يمكن أن نعتبر هذا العمل أو ذاك إرهابياً ، العنصر الأول هو العنف كوسيلة ، والثاني هو المأرب السياسي كهدف بعيد ، والعنصر الثالث هو الخوف الذي ينتج

عن الفعل لهدف مباشر وقريب[1] .

وقبل الدخول في موضوع سبل مواجهة الإرهاب لا بد من الكلام أولاً عن الأزمة الحقيقية التي تعاني منها سياسة مكافحة الإرهاب والتي أدت الى مسخ هذا الشعار وتحويره عن المسار الذي رسم من أجله إن لم نقل أنها قضت على هذا الشعار قضاءً كلياً ، وحولت موضوع المكافحة إلى المقلب النقيض.

## الإرهاب بين الدعم والمكافحة:

إن أخطر ما تشهده البشرية اليوم لم يعد رفعها لشعار مكافحة الإرهاب للقضاء على خصومها السياسيين ، وإن كان هذا بحد ذاته جريمة مروعة بحق الإنسانية ، وإنما الخطر الحقيقي يكمن في التحول من سياسة مكافحة الإرهاب الى سياسة ترويض الإرهاب وتدجينه وتحويله الى فئات تحمي مصالح الدول والأنظمة وشماعة لا يرون حرجاً من تعليق كافة جرائمهم عليها ، وبالتالي تحويل الإرهاب الى سيف بيد الدول بدل أن تكون أسياف الدول موجهة ضده .

نعم إن السياسة المتبعة اليوم مع الإرهاب باتت تتلخص في إخضاع هذه الجماعات للسير في ركب المصالح السياسية للدول مما اقتضى تبنيها وحضانتها من قبل بعض الأنظمة المتهالكة للوقوف في مواجهة أي حركة أو تمرد أو عصيان أو مطالبة بحق وفق صفقات مصالح متبادلة ، وهي في الوقت نفسه تتبنى شعار مكافحة الإرهاب وتتغنى به وتقيم لأجل ذلك الندوات والمؤتمرات وتنفق ملايين الدولارات .

---

١ـ عاصم الدسوقي ، في التفسير الإقتصادي لظاهرة التطرف_الإرهاب في مصر المعاصرة ، بتصرف من ص ٨ الى ص١٤ .

إن خطورة الموقف الجديد يتجلى أكثر فأكثر عندما تتحول هذه المنظمات الإرهابية الى ضرورات للأنظمة الضعيفة وغير الملتصقة بشعوبها لأن ذلك يقتضي حمايتها ودعمها بالمال والسلاح وبكافة الوسائل التي تمكنها من تحقيق أهدافها ، وتصبح الجواب الرسمي لكل وجهة نظر أخرى مما يحرج الحركات الإصلاحية ويجعلها أمام خيارين لا ثالث لهما ، إما الرضوخ والإستسلام لإرادة الدول والأنظمة وإما الدخول في متاهات استنزاف ومعارك جانبية مع الإرهابيين ، بينما يقف العدو الحقيقي منها موقف المتفرج والمستهزىء في آنٍ معاً .

إن تضارب المصالح السياسية وتشابكها اليوم سواء كانت دولية أو إقليمية أو محلية عقّد مسألة مواجهة الإرهاب فتحولت من حالة ردة فعل لإثبات الذات وثورة داخلية ورغبة في الانتقام ممن يهددون كياناتهم ووجودهم الى أداة فعل وسلاح موجه ، وصار الإرهابي «مجرماً تحت الطلب» ينعم بحياة لائقة ما دام تحت النفوذ والسيطرة ، كما أضحى جزءاً من مشروعٍ سياسي للآخرين بعد أن كان يعيش بلا أي مشروع أو رؤية أو هدف سياسي .

إن العقول التي تمسك بأطراف اللعبة السياسية في العالم اليوم استطاعت أن تعقد صفقات سياسية يندى لها الجبين حين أقدمت على استغلال نقطة الضعف لدى المنظمات الإرهابية والتي تتمثل من خوف هذه الجماعات على وجودها وثقافتها وتسخير ذلك وتوظيفه بما يخدم مصالحهم وقوتهم بعد أن وفرت لهم الضمانات الضرورية لبقائهم ، فتحول الإرهاب من ردة فعل ضد الدولة الى ردة فعل الدولة ضد خصومها.

ومما لاشك فيه أن هذه الأزمة صعبت قضية معالجة أو مكافحة الإرهاب

والحد من انتشاره بعد أن أصبح هناك من يعمل على توفير المناخات الملائمة والثقافات المتطرفة في مساحات شاسعة في العالم كرصيد إرهابي يمكن الاستفادة منه في مهمات خاصة تشخصها بعض الدول والأنظمة وفق مصالحها الآنية والإستراتيجية .

إن هذا الأداء الإرهابي واقعاً كشف أن شعار مكافحة الإرهاب لم يكن سوى ساترٍ تتلطى خلفه الدول والأنظمة لتحقيق مآرب سياسية بوسائل دنيئة جداً حولت القاتل المطارد والمستهدف من الدول الى قاتل طليق ومأجور عند الدول ، بل إن هذا الفهم لحقيقة مكافحة الإرهاب يجعل السير في الرهان على الأنظمة لتحقيق الأهداف سيراً في الاتجاه الخاطىء ، ويرفع من أهمية الرهان على مستوى الشعوب إن على صعيد مكافحة الإرهاب أو على صعيد تصحيح مسار الأنظمة.

## سبل مواجهة الإرهاب:

لعله من نافلة القول أن مواجهة الإرهاب من الأمور المعقدة التي تحتاج لاستنفار كافة المؤسسات المدنية والرسمية لا سيما البحثية والعلمية منها ،وإلى تسخير الطاقات المتنوعة لدراسة جذور هذه الظاهرة في كل منطقة جغرافية على حدة ، والأسباب التي ساهمت في نشأتها ونموها وانتشارها ، لما هو واضح من أن أسباب تفشي الإرهاب ليس من الضروري أن تكون واحدة في كل مكان ، وبالتالي فإنه ليس من الضروري أن تكون سبل العلاج متطابقة كذلك ، لكن ما يهمنا هنا هو البحث في سبل العلاج بشكل عام ، والتي قد يناسب بعضها لمنطقة محددة ويناسب بعضها الآخر منطقة أخرى دون تضييق البحث والدخول في تفاصيل وحيثيات أي منطقة على الإطلاق .

ولا يخفى أن هناك مجموعة من التجارب الناجحة التي قامت بها بعض الدول العربية والغربية وفتحت الكثير من العيادات النفسية المتخصصة وأجريت الإحصاءات والدراسات التي تركت آثاراً مقبولة على هذا الصعيد لأنها انطلقت من أسس علمية ومن إرادة صادقة لتخطي مفاعيل هذه الظاهرة الخطيرة .

كتب زهير الخويلدي :

إن الخطوة الأولى في مشروع محاربة الإرهاب واجتثاث جذوره من أي مجتمع، تتطلب فهمًا جيدًا لهذه الظاهرة من جميع جوانبها، والوقوف على أسباب ظهورها، حتى يكون التعامل معها مبنيًا على أسس علمية صحيحة. إن إدراكنا للظروف التي ينمو فيها الإرهاب يجعلنا نصل إلى قناعة بأن الالتزام بمتطلبات الإصلاح السياسي والاقتصادي والثقافي هو البوابة الرئيسة الأولى لإنهاء هذه الظاهرة من مجتمعاتنا[1].

ومواجهة الإرهاب من الأمور الفطرية التي تنبع من أعماق النفس الإنسانية التي تدين أي عمل إرهابي كما أسلفنا ، وتحرك كل إنسان نحو توفير المناخ الملائم للتقدم والرقي والسعادة ، والتي يسبب تفشي الإرهاب أكبر عقبة دون ذلك لما يترك من آثار سلبية على المستوى الأمني والمعنوي فضلاًعن تهديده الاستقرار والراحة التي ينشدها كل إنسان كقاعدة ينطلق منها لتحقيق آماله وتطلعاته والأحلام .

كتب زهير الخويلدي :

إن الخروج من حالة الحرب المروعة والوضع المتفجر وإيقاف ضربات

---

١ـ زهير الخويلدي ، مجلة منبر دنيا الوطن ، مقالة بعنوان سبل معالجة مرض الإرهاب .

الإرهاب الموجعة ضرورة تقتضيها الطبيعة البشرية ذاتها، فالعقل يفرض علينا أخلاقيا أن ننشد السلم والأمن والتعايش لكونها شروطاً لتحقيق التطور الكامل للاستعدادات الإنسانية ، أو هي وسائل لإعادة التوازن المفقود بين الروح والجسد وبين الفكر والمادة وبين الأخلاق والسياسة وذلك بإخضاع التاريخ البشري للطبيعة الإنسية وتفادي التعسف والشطط في تشكيل الهوية البشرية. إن تجاوز الإرهاب مرتبط إلى حد كبير بإيجاد تدابير كفيلة بأن تجتثه من جذوره ، كالحد من مظاهر التسلط والكف عن التوسع الاستعماري والعزوف عن التبشير بعولمة ظالمة واختراقية ، وإنهاء مهزلة «بلدان مركز» و«بلدان محيط» ، واحترام الخصوصيات القومية والثقافات المغايرة وتفتيت المركزية الاثنية وتطبيق سياسة دولية عادلة وتحقيق تطور متكافئ بين الدول والشعوب والثقافات وانصاف جميع الأديان ، والايمان بتضامن الأفراد وحسن تعايشهم ضمن منظور ايكولوجي ايتيقي[1] .

كما أنه من الضروري الإشارة أن البحث هنا في سبل معالجة الإرهاب إنما هو في السبل التي تمنع حدوثه وتقي أخطاره ، وبكلمةٍ أصح فإن البحث يستهدف بعض الأمور التي تحول دون توفر الأرضية الخصبة والمؤاتية لنشر الإرهاب والخوف ، إلا أن هذا البحث قد لاينطبق بالضرورة على معالجة قضية الإرهاب بعد ظهورها وامتدادها وبلوغها واقعاً عملياً ودموياً ، فإنه والحال هذه قد يصبح الموضوع أشد تعقيداً وأصعب علاجاً ، ويحتاج لدراسة أكثر دقة وتفصيلاً في

---

١ـ زهير الخويلدي ، مجلة منبر دنيا الوطن ، مقالة بعنوان سبل معالجة مرض الإرهاب .

فهم كل حالة على حدة كما تقدم .

أما عند الدخول في عناوين السياسات العلاجية التي ينبغي اعتمادها من قبل الدول والأنظمة ويطالب بها مؤسسات المجتمع الأهلي والمدني فإني أختصر الحديث في أربعة عناوين رئيسية :

### ١ـ العدالة الاجتماعية:

وتتمثل بتوفير كامل الحقوق لا سيما السياسية والاجتماعية لكافة الناس على قاعدة المساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات أمام القانون ، هنا المبدأ الذي يرفع الشعور بأي غبن أو حرمان أو إجحاف ، وبالتالي يقضي على أي عنصر من عناصر التوتر أو الاستنفار النفسي ضد أي جهة أو فئة أو شخص للانتقام منه .

ولا يخفى أن كثيراً من حركات التمرد والعصيان وحتى العنف والعنف المسلح في العالم اليوم يرفع شعار العدالة الاجتماعية وينشدها للمطالبة بالحقوق الضائعة والمسلوبة واستردادها ، وبالتالي عدم حرمان أي فرد من حقوقه ، كما هو الحال في كثير من الأنظمة التي تحتكر هذه الحقوق في فئة خاصة بينما تكابد بقية الشعب أقسى حالات الفقر والجهل والتخلف .

إن نشر العدالة الاجتماعية أحد أهم العلاجات التي تعالج الأسباب الحقيقية لظاهرة الإرهاب وتضيق المساحة التي يعشعش فيها الإرهاب وتسحب ذرائعه ، وإن عدم توفير العدالة الاجتماعية من شأنه أن يساهم بشكل فعال في توفير المناخات الملائمة للسلوك الإرهابي ضد الأنظمة التي رفعت شعارات مكافحته وضرورة استئصاله ، مما خلق علاقة جدلية بين مكافحة الإرهاب والإصلاح السياسي الذي يعتبر ركناً أساسياً من أركان العدالة الإجتماعية .

وبكلمةٍ أصح حول هذه العلاقة الجدلية فإنه من غير المنطقي أن ترفع أية دولة شعار مكافحة الإرهاب وهي تعلم أن بذور الإرهاب إنما تزرع وتسقى بسياساتها الخاطئة ، هذه السياسات التي أفرزت ردة الفعل المتطرفة والخاطئة كذلك .

هذه العلاقة الجدلية التي لا تعفي الأنظمة من واجباتها بضرورة اتخاذ تدابير واجراءات إصلاحية على المستوى السياسي قبل التفكير بسبل العلاج ، وإلا فعلاج الإرهاب دون الإصلاحات السياسية سيبقى كمن يطفىء النار بالمواد المشتعلة التي لا تزيدها الا لهيباً واستعارا ، وكذلك الأمر فإن هذه العلاقة الجدلية لا تعطي أي تبرير أو مسوغ لأي فئة أو جهة لممارسة سلوكٍ إرهابيٍ لتحقيق أهداف مشروعة مهما كانت عادلة ومشروعة ، فإن رفع الفقر والتخلف والحرمان لا يمكن أن ننشده بما هو أقسى وأظلم .

٢ـ التعليم:

من البديهي القول إنه لا يوجد في العالم معرفة بشرية ـ بالمعنى العلمي ـ تحمي الإرهاب وتؤيده ، وهذا يعني أن العلاقة بين المعرفة والإرهاب علاقة تناقض وتنافر دائم ، فالمعرفة تتسع على حساب مساحة الإرهاب ، والعكس صحيح .

إن التعليم ونشر المعرفة والثقافة إذا راعيا الأهداف التربوية من شأنهما أن ينيرا الطريق أمام التعددية واحترام الفكر الآخر والنظر إلى منابع التعددية ومصادرها بعين التجرد والموضوعية والعقلنة بعيداً عن التعصب والآحادية ، وهذا يفتح الطريق واسعاً أمام الحد من فكرة الإلغاء والإقصاء التي تعشعش في عقل الإرهابي.

وأي نظام تعليمي عليه أن يفي بتحقيق الأهداف التالية:

١. النقل المنظم للمعلومات .

٢. التدريب على المهارات .

٣. التأهيل للحصول على شهادة تمكن من إجادة مهنة معينة .

٤. الارتقاء بمستوى الآراء على الأصعدة العملية والعقلية و الأخلاقية[١] .

وللتعليم ومؤسساته أربع وظائف أساسية تعتمد عليها التنمية هذه الوظائف هي:

١. تكوين رأس المال البشري و تنمية الموارد البشرية .

٢. الكشف عن المعارف الجديدة .

٣. تطوير الاتجاهات الفكرية و الاجتماعية بما يوفر ثقافة مشتركة و منهجا فكريا مشتركا[٢] .

تعتمد نظم التعليم في معظم الأقطار العربية على التلقين والتكرار والحفظ، وعلى حشو ذهن الطالب طوال مختلف المراحل الدراسية بمعلومات، دون إعمال للعقل ودون تحليل أو نقد. ومثل هذه النظم تفرز طالبًا يتقبل بسهولة كل ما تمليه عليه سلطة المعلم دون نقاش، وبذلك يصبح من السهل جدًا على مثل هذا الطالب أن يتقبل كل ما تمليه عليه سلطة أمير الجماعة دون تحليل أو نقد أو معارضة، ويكون عرضة للانخراط في أية جماعة أيًا كان توجهها، حيث يتم تلقين الفكر

---

١ـ د.ماجد موريس ابراهيم ، الإرهاب الظاهرة وأبعادها النفسية ، ص٤٤٧.

٢ـ حامد عمار ، دور التربية في التنمية ، دار سعاد الصباح ومركز ابن خلدون ، ص ١٨٤ .

وتقبله دون تحليل، ويسهل الانقياد بفعل إبطال عمل العقل[1] .

### ٣ـ التربية:

والمراد من التربية هنا أهمية نشر القيم الرسالية والمفاهيم الإنسانية بطريقة سليمة ، والإيمان أن المجتمعات المدنية قادرة على حل مشكلاتها بعيداً عن العنف والعنف المسلح ونشر الرعب وإخافة الناس وتهديدهم ، وذلك عبر إحياء القيم الإنسانية وتزكية روح التلاقي والحوار والتقارب .

إن التربية الواعية لمنظومة الحقوق والواجبات التي تمنحها الشرائع السماوية والأنظمة الوضعية للإنسان وإتقان قواعد الاختلاف وفن الخلاف والتمتع بروحية التسامح والترفع عن العصبيات والانقسامات المتخلفة ، من شأنه أن يخفف من حدة أي صراع ويحد من امتداد أمواج الأفكار الطوباوية القائمة على إلغاء الآخر وإقصائه ليس من الحياة السياسية فحسب ، بل وحتى من الوجود أحياناً.

إن هذه المهمة التربوية تتطلب جهوداً جبارة على مستوى وضع البرامج ونشرها وتعليمها للآخرين ، وإدخالها في البرامج الدراسية والثقافية حتى تتحول الى قناعات راسخة ينتج عنها سلوكاً يومياً راقياً يمكن الإنسان من التعايش مع كافة شرائح المجتمع مهما تعددت وتنوعت ، وعلى سبيل المثال لو أن مجتمعاً يعاني من أزمة في السير وقيادة السيارات وينتج عنها أضرار وأخطار ، وقامت الدولة بوضع إشارات وعلامات تنظم عملية القيادة والسير ، فإن ذلك لن يحل المشكلة ما لم يترافق مع حملات توعية وبرامج تربوية ، وكذلك الأمر في الكثير من

---

١ـ أبو الروس (أحمد) ، الإرهاب والتطرف والعنف في الدول العربية ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، ص٢١.

القضايا المهمة كالعنف والعصبيات والاختلافات الدينية والسياسية وفن الخلاف مع الآخر في الحياة العامة التي تحتاج الى توعية مستمرة وتربية دائمة تواكب الناس لإيصالهم الى المجتمع المدني السليم .

إن هذه المهمة الشاقة من شأنها أن تنتج مجتمعاً قادراً على حماية نفسه وتحصين أفراده في وجه كافة الرياح والأعاصير التي تهدد استقراره ووجوده ، وتبني مجتمعاً متماسكاً مقتدراً .

إن من أهم نتائج التربية الواعية أمرين أساسيين :

أـ الإيمان بإنسانية الإنسان : بعيداً عن الفوارق والمزايا الخاصة ، وإبقاء السلوك الفردي في هذا الإطار ، فإن الفرد الآخر إذا لم يكن متوافقاً في الهوية والانتماء ، يبقى متوافقاً في الخلق والإنسانية كما عبر أمير المؤمنين (عليه السلام) : فالناس قسمان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق[1] .

وكأن أمير المؤمنين(عليه السلام) يريد أن يقول إن الناس إما أخ وإما نظير ، وإن الأول يشاركك مشروعاً في هذه الحياة لكنه لا يعطيه خصوصية في الحقوق الخاصة ،كما أن الثاني وإن لم يوافقك في المشروع لكن الدين لا يحرمه من هذه الحقوق.

إن من أكبر المآسي التي يندى لها جبين العصر اليوم النظرة المتفاوتة للإنسان بين الشرق والغرب والأبيض والأسود والمنتج والمستهلك والقوي والضعيف التي جرت كثيراً من ويلات الإبادة العرقية والتمييز العنصري وسواها من الجرائم التي تشكل أهم مصداق من مصاديق مفهوم الإرهاب .

---

١ـ الامام علي(عليه السلام)، نهج البلاغة ، عهد الاشتر.

إن الإيمان بإنسانية الإنسان والنظر الى الآخر نظرة مساوية للنظرة الى الذات توفر على البشرية الكثير من سفك الدماء وقتل الأرواح التي منشؤها الشعور بالعلو والعظمة والتكبر والتعالي لا سيما ما نراه من سياسات الأنظمة الغربية إزاء الشعوب العربية ، بل أكثر من ذلك فإن هذا الأداء السياسي يخالف الطبيعة البشرية في كنهها وجوهرها ولا يمكن أن يكتب له الدوام والإستمرار .

ب ـ ترك استخدام العنف المسلح : بمعنى كونه أصلاً في التعاطي على مستوى الأفراد والدول لا يُخرج عنه إلا عند الضرورة القصوى . وتربية المجتمع على حل خلافاته بالطرق السلمية القائمة على الحوار والتفاهم وتبادل الحقوق واحترام رأي الآخر ومشاعره وسواها من القيم التي ينبغي ترسيخها في المجتمع .

إن ترك استخدام العنف لا سيما المسلح من شأنه أن ينتج أرضية واعية لا يمكن أن يجد الإرهاب له فيها مستقراً أو مقاما ، وهذه المسألة ينبغي تعميمها وتحمل مسؤوليتها من قبل الأفراد والدول على حد سواء ، أي فيما يرتبط بالتربية الفردية داخل الأسرة كما في التربية العامة خارج نطاق الأسرة .

### ٤ـ التخلي عن الأصولية في الفكر والإيديولوجيا:

ولا أريد في هذه النقطة مناقشة العلاقة التاريخية بين الدين والإرهاب ، وإنما ضرورة الفصل بينهما نظرياً وعملياً مهما كان ، فإن تقديم الإرهاب باسم الدين وفتح أبواب الجنان أمام أي عنف مسلح ضد الفريق الآخر من شأنه أن يعطي لهذا الفعل المشين صفة القداسة ، لكن الأخطر من ذلك أنه يفقد الدين نفسه عنصر القوة والجذب في النفوس والضمائر ، وبالتالي قد يعمد البعض الى الفرار من الدين بغية الفرار من الإرهاب ، ولطالما جرّ المتلبسون لبوس الدين على الأمة

الأزمات والويلات سواء حسبوا أنفسهم أنهم يحسنون صنعا أم لا .

كتب ماجد ابراهيم :

من المؤسف والمحزن أن تاريخ العنف يتقاطع في عدة نقاط مع مسيرة الأديان قديمها وحديثها ، ومصدر الإلغاز هنا لا يتأتى فقط من التناقض بين العنف وبين السلام الذي تنادي به كل الأديان ، ولكنه يتأتى أيضاً من توظيف الدافع الديني لخدمة أغراض غير دينية ، ولا يكفي لإزالة الالتباس أن ننسب العنف السلوكي الى المنتسبين للدين وليس الى الدين نفسه لأن المشكلة تزداد تعقيداً بمواقف لفيف من المنتسبين للدين يحملون نصوصه وأصوله تأويلات وتفسيرات تلبس الإرهابيين من أتباعه ثياب المخلصين الأوفياء لدينهم وعقيدتهم ، وهكذا أصبحنا نلوك كلمة «الحرب المقدسة» بمناسبة وبغير مناسبة ، وكأن الاقتران بين المقدس والدموي أصبح عرفياً بديهياً رغم ما بينهما من بون شاسع[1] .

إن الدين في جوهره ومضمونه يقف على طرف النقيض من قضية الإرهاب فهماً وأداءً وسلوكاً وممارسةً ، ولا يمكن أن يشرعه أو يحميه أو ينشر فوقه غطاءً، فرسالة الأديان تتلاقى على المحبة والتسامح واحترام الإنسان في وجوده وممتلكاته ، ورسالة الإرهاب دعوة للتخويف والترويع وسفك الدماء البريئة ، ولا يمكن لهاتين الرسالتين أن يلتقيا مطلقاً .

وكما ينبغي الاحتراز من الذين يشرعون الإرهاب باسم الدين ويضفون عليه صفة القداسة فينخدع أصحاب العقول الساذجة ، فإنه كذلك ينبغي الإحتراز من فئةٍ لا تقل خطراً عن الفئة الأولى وهم من يشوهون صور أنواع المقاومة الشريفة

---

١ـ د. ماجد ابراهيم ، الإرهاب الظاهرة وأبعادها النفسية ، ص٣١.

وهم يلبسون لبوس الدين ويلوكون ويرددون خدمةً لأسيادهم عبارات الإتهام والتجني .

وفي الختام لا بد من الاعتراف أن هذه الظاهرة اليوم تشكل أخطر الأمراض الاجتماعية والنفسية التي تعاني منها الكثير من المجتمعات ، وقد تهدد أبسط مقومات الحياة الهانئة والكريمة إذا لم يعمد الجميع الى رص الصفوف والوقوف بشتى الوسائل دون تماديها وتفشيها وسط مختلف شرائح المجتمع .